

St Clements University
Department of Political Sciences

Mat. No. 15247



Globalization within the Technical Development and Its Effects on the Future of Arab Homeland

A Thesis Submitted to
The International University of Saint Clements in
completion for the requirements of PhD Degree in the
specialty of Political Sciences

By the Student
Hamed Ahmed Mal

Supervised by
PROF.DR.
Isam Al-Atiya

1430AH

Baghdad

2009AD



جامعة سانت كليمنتس
قسم العلوم السياسية

العولمة في ظل التطور التقني وآثارها في مستقبل الوطن العربي

أطروحة قدمت إلى

جامعة سانت كليمنتس العالمية St. Clements University
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اختصاص العلوم السياسية

من الطالب

حامد أحمد مال

بإشراف

أ. د. عصام العطية

2009م

بغداد

1430هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمُ عَن دِينِكُمْ إِن
اسْتَطَاعُوا))

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة/الآية (217)

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة المعنونة (العولمة في ظل التطور التقني وآثارها على مستقبل الوطن العربي) التي تقدم بها طالب الدكتوراه (حامد أحمد مال) قد جرى بإشرافي في جامعة سانت كليمنتس وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في (العلوم السياسية) لأجله وقعت.

التوقيع:

الاسم: أ.د. عصام العطية

التاريخ:

الدكتور

عبد الأمير عبد دكسن

رئيس الجامعة




العدد: ٤٢
التاريخ: ٢٠٠٨/١٢/٢٠٠٩

جمهورية العراق
جامعة سانت كليمنتس العالمية
للدراسات العليا

إقرار المقوم اللغوي

اشهد إن هذه الرسالة الموسومة { *العولمة في ظل التطور التقني وإثرها على مستقبل الوطن العربي* } مستقبلة الوطن العربي

قد تم مراجعتها علمياً من قبلي وتعد صالحة للمناقشة.


التوقيع: اللغوي
المقوم العلمي
العنوان: عضو المجلس الأكاديمي
د. حبيب الرحمن حميد نامر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



St Clements university

جامعة سانت كليمنتس العالمية

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة مناقشة الطالب (حامد احمد مال) نشهد بأننا ناقشنا الطالب عن أطروحته الموسومة " العولمة في ظل التطور التقني وأثارها في مستقبل الوطن العربي " وقررنا قبول الأطروحة كجزء من متطلبات درجة الدكتوراه في (العلوم السياسية) بتقدير (جيد جدا)

رئيس اللجنة

الاسم : أ.م.د. سعدي كريم سلمان

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التوقيع :

عضو اللجنة

عضو اللجنة

عضو اللجنة

عضو اللجنة

عضو اللجنة

الاسم: أ.د. عصام العطية

الاسم: أ.م.د. ياسين محمد العيثاوي

الاسم: أ.م.د. عماد مؤيد جاسم

الاسم: أ.م.د. خيرى عبد الرزاق جاسم

الاسم: أ.م.د. عزيز جبر شيال

المرتبة العلمية: أ.د.

المرتبة العلمية: أ.م.د.

المرتبة العلمية: أ.م.د.

المرتبة العلمية: أ.م.د.

المرتبة العلمية: أ.م.د.

التوقيع :

التوقيع :

التوقيع :

التوقيع :

التوقيع :

مصادقة رئيس الجامعة على ماجاء بقرار اللجنة اعلاه

الأستاذ الدكتور
عبد الأمير عبد حسين دكسن
رئيس الجامعة

الإهداء

إلى والدين مؤمنين
أحباني وأدخلاني

المدرسة عام 1957...

(ربي ارحمهما كما

ربياني صغيراً)

الشكر والتقدير

هو واجب أقدمه لمن وقف معي وساعدني في أثناء مدة العمل التي امتدت حوالي السنتين ومنهم الأخوان والأخوات في دار الكتب والوثائق وبيت الحكمة، ومكتبة الجامعة المستنصرية وأصدقائي في مكتبات شارع المتنبي، الوثائق والحسيني والأريج والدكتور والعلوم، الذين لم يألوا جهداً في توفير المصادر التي احتجت إليها، والعاملين في مكتب المركز التقني لخدمات الطباعة والترجمة والاستنساخ الذين صبروا على رداءة خطي، وأفراد عائلتي الذين اجتهدوا في توفير الأجواء الملائمة والمساعدة المطلوبة، وكل من أسمعني كلمة تأييد وتشجيع ولو عبر الهاتف من بعيد، وإلى الذين عارضوني لتثبيط همتي، أشكرهم جداً لأنهم أوجدوا بي الإصرار على بلوغ الهدف.

ولايفوتني تسجيل الشكر والتقدير إلى السيدة الفاضلة سوزان مبارك صاحبة مكتبة الأسرة في القاهرة التي طبعت مليون كتاب عام 2008 في مختلف العلوم ووزعتها مجاناً في الوطن العربي فرفدت مكتباتنا العامة والخاصة بفيض من المصادر التي لاغنى عنها، والأخوان والأخوات في مكتب الجامعة في بغداد الذين بذلوا جهداً استثنائياً في ظروف عمل صعبة لإنجاز مهماتنا.

بغداد في 14 تشرين الأول 2009

المحتويات

الصفحة	الموضوع
1	المقدمة
7	الفصل التمهيدي: الإطار النظري
8	المبحث الأول- مفهوم العولمة
24	المبحث الثاني- آليات العولمة
63	الفصل الأول: العولمة في ظل التطور التقني
64	المبحث الأول- التطور على الصعيد السياسي
99	المبحث الثاني- التطور على الصعيد الاقتصادي
129	المبحث الثالث- التطور على الصعيد التقني (التكنيكي)
153	الفصل الثاني: الآثار السلبية والإيجابية للعولمة على الوطن العربي
154	المبحث الأول- الآثار السلبية
155	أولاً- الآثار السلبية في الصعيد السياسي
167	ثانياً- الآثار السلبية في الصعيد الاقتصادي
181	ثالثاً- الآثار السلبية في الصعيد الثقافي
189	رابعاً- الآثار السلبية في الصعيد الاجتماعي
199	المبحث الثاني- الآثار الإيجابية للعولمة على الوطن العربي
199	أولاً- المحور الاقتصادي
203	ثانياً- على صعيد الاتصالات
208	ثالثاً- على صعيد تقنية المعلومات
209	استخدامات تقنية المعلومات
214	كيفية الاستفادة من تقنية المعلومات
224	طرق الحصول على التقنية الحديثة
230	الفصل الثالث: الوطن العربي في ضوء تداعيات العولمة
231	المبحث الأول- استمرار تأثير العولمة
231	أولاً- في الصعيد الثقافي
240	ثانياً- في الصعيد السياسي والأمني
253	ثالثاً- في الصعيد الاقتصادي والاجتماعي
265	المبحث الثاني- احتواء تأثير العولمة
267	أولاً- في الصعيد السياسي
276	ثانياً- في الصعيد الاقتصادي
286	ثالثاً- التكامل الاقتصادي العربي
295	رابعاً- احتواء التأثير في تقنية المعلومات
308	المبحث الثالث- احتمالية تراجع العولمة
308	أولاً- العوامل الذاتية
309	ثانياً- العامل الاقتصادي

310	ثالثاً- التغيير في اتجاهات الخطاب السياسي الأمريكي
315	الخاتمة
317	الاستنتاجات
319	المصادر
342	خلاصة باللغة الإنكليزية

Abstract

Globalization has political, economic, social and security effects on World States including the Arab Homeland, where the political structures and frameworks of the Arab Homeland were exposed to a labor of change and complications which does not mean that this variable was sudden to them and they have no role in its composition; therefore, the passive impacts were tremendous including the political, economic, cultural and social fields and several generations complied to them from which resulted the great change in the individuals' behaviorism in the Arabic society in that the relations transferred far away from the value and spiritual aspect of which the Arabic society was well known and aimed at what globalization aspired to like making all human societies live within one behaviorism. Globalization also has many positive impacts, including the technical development to which the human society reached, and they can be benefited from and recruited by understanding globalization subjects and its objectives and then following self of collective development method in the Arab Homeland to cope human development. Globalization is not a solid mountain unhearing and unseeing, but wants, takes and gives even though as its interests require. One can access its different worlds by several ways and means to treat its negatives and make use of its positives, but rather it can be contained. In the Arab Homeland a

considerable capability for that if only the governments and individuals know how to use it.

Globalization as any other theories and thoughts dominated the world at various ages, has its limitation in continuity according to Hercules' law (Everything changes but the law of change) and according to Marx's law (Each system carries within itself the factors of its collapse not excluding the Communist system). Globalization is complied to unstable change and development which the world witness every day. So, new thoughts and theories can emerge making globalization invalid. Hence, in globalization being an ideology there are many factors for its retreat lying in the doctrine differences among globalization powers themselves. The economic factor remains the most important factor negatively or positively in moving globalization to the front or to the back. Moreover, we noticed a retreat in the political speech logic of the president of the globalization chief USA in 2009 in which he tried to disperse the fears of the Arab Homeland and the Islamic world from globalization hazard. The most important thing in defeating globalization is in the Arab Homeland standing on its feet in a political, economic and cultural convergence, education, development, technology, openness on the world and sticking with the nation's parameters, its great religion, deep civilization and immortal values.

Globalization is a new phenomenon in the society including all life aspects of human society, its objective lies in changing the world and putting it in one matrix of behaviorism and the living pattern similar to the western and American pattern. It grew under the technical development of human society. This development is continual and my reach to the level of replacing its mechanisms and methods with new things.

Globalization has negatives and positives in the Arab Homeland. As to the negatives, they can be treated and addressed according to the fixed cultural and value components of the nation, while the positives can be benefit from and be adapted in a way that serves the nation.

All earth peoples and nations have their own civilizations and values which may conform or may not conform to globalization topics, so the chance of globalization success in changing the world into one behaviorism is a relative issue.

Globalization can be contained by understanding it, understanding what it wants and taking from it what fits the Arabic environment and benefiting from the experiences of other nations like china and Korea. The materialistic and economic feature controls the main attitudes of globalization center in the United States, the European Union and Japan, yet there are other economic powers grow intermittently and quickly that might be competitors in the near future to

globalization centers like German economy and the economies of southeastern Asia and Latin America.

The growth of world economic blocs is expanding in all continents. The increase of these blocs will lead to protect the peoples more than before from globalization effects as well as taking the bases of scientific and technical development.

Currently, the attitude in the Arab Homeland is in making use of the opportunities globalization gives in obtaining the modern technology as in Egypt as being the pioneer in the Arab Homeland in rooting technology as well as in the society of Saudi Arabia, Tunis, United Arab Emirates... etc. At the official level, the Arabic Economic Summit was concluded in Kuwait for the first time for the period 8-9/2/2009. All of which encourages optimism that the Arab Homeland is not anymore scared of globalization and is coping with it to achieve the supreme national interest and eliminate the damage.

المقدمة

المقدمة

حفل القرن العشرين بالعديد من الأفكار والنظريات السياسية التي تم الترويج لها في أنحاء العالم، منها ما كلف البشرية ملايين القتلى بسبب حربين مدمرتين، وفي الثلث الأخير من ذلك القرن، وتحديداً في بداية السبعينات منه ظهر تيار جديد في اتجاهات التفكير في الأصدمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم، فحواه انه يريد تحويل العالم إلى قرية كونية صغيرة تعيش ضمن سلوكية ونمط حياة موحد تابع للسلوكية ونمط الحياة الغربية والأمريكية، وهذا الاتجاه اتفق على تسميته "العولمة".

وما أن انتهت الحرب الباردة حتى ساد هذا الاتجاه كل مستويات التعامل الدولي مدعوماً من القطب الأوحده في العالم -الولايات المتحدة الأمريكية- وتابعيه الاتحاد الأوروبي واليابان، وقد ساعد في سيادة تيار العولمة هذا، التطور التقني الهائل والمتسارع وثورة المعلومات والاتصالات التي دخلت في كل صعيد وكادت تحيل العالم فعلاً إلى قرية صغيرة. والعولمة نتاج التطور التقني هذا ولها أهداف معلنة في أنها تريد أن تغير ثقافات العالم وقيمه الحضارية والدينية وتحيلها إلى تابعة للسلوكية الغربية كما ورد على لسان كبار منظريها مثل فوكوياما وهنتنغتون وبريجنسكي وغيرهم، بل تعدت هذا التدخل إلى ادعائها بأن العدو القادم بعد الشيوعية هو الإسلام، كما ورد على لسان رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر. وحينما بدأ تيار العولمة يجتاح العالم ومنه الوطن العربي نهاية القرن العشرين، كان هذا الوطن العربي على حاله التي كان عليها بعد انهيار الدولة العثمانية، فقد تقاسمه ورثتها الأقوياء -أطراف معاهد سايكس بيكو سيئة الصيت- فجعلوا منه دولاً شتى متناحرة فيما بينها أحياناً، تقبع أطراف ودواخل عديدة منه تحت مظلة البؤس والفقر والتخلف والجهل والامية وحكم الدكتاتوريات الحقودة التي بددت ثروته تحت طائلة حروب

الأمجاد الكاذبة التي خدمت الأجنبي، فيما كان العالم يتطور ويركض في تقدمه إلى الأمام، في هذه الظروف دخلت العولمة الوطن العربي وبدأت تأثيراتها تظهر سريعاً في أجياله المتعاقبة، فأصبح الجري وراء الثراء والمال حلالاً أو حراماً سمة المجتمعات إلا ما رحم ربي. وازداد الابتعاد عن العلم والتعليم وقطعت الأرحام وتفشى الزنا وضعف الولاء للدين والأوطان، وأصبح الأجنبي مثلهم الأعلى. ولكن العرب لم يلبثوا في ذلك طويلاً -وان كثروا- فسرعان ماتنبهوا على أن تحدي العولمة ليس طارئاً، بل مستمر ودائم فإن تركوا أنفسهم على ما هم عليه غرقوا في بحرها، فعدوا العزم، على الرغم معنوياتهم المترجعة وإمكاناتهم المحدودة وتخلفهم العلمي، على أن يواجهوا العولمة أولاً بفهمها وفهم ماتريده ثم التسلح بالعلم والإفادة من معطياتها الإيجابية المتمثلة بالثورة العلمية المعلوماتية والاتصالية لغرض احتوائها بالإفادة من إيجابياتها لصالح الأمة ومعالجة السلبيات والعمل على تطويقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وانكب الباحثون والعلماء على دراسة الظاهرة وتفسيرها لاكتشاف عوامل القوة والضعف فيها ليتسنى لهم التعامل معها بشكل حسن.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة بما أحدثته العولمة من أبعاد على الوطن العربي، وتحاول الدراسة بيان وتوضيح تلك المشكلة وكشف تأثيراتها في الوطن العربي والتعرف عليها، ماهي العولمة وكيف نشأت وفي أية بيئة، وأهدافها القصيرة والبعيدة. لقد تمت معالجة هذا الموضوع من كثير من الباحثين العرب والأجانب، ولكن لكونه يثير اهتمامنا بشكل مستمر، نريد أن تكون هذه الدراسة إسهاماً بسيطة ومتواضعة في كشف الغطاء عن العولمة عسى أن تضيف شيئاً من الحقائق لهذا

التراكم المعرفي النبيل، ولاسيما وان العولمة قد تم تعريفها بشكل يمكن معه الإحاطة بأبعادها المختلفة. ويأتي اختيار العولمة موضوعاً لدراستنا هذه كونها تقع ضمن اهتماماتنا الشخصية ونطاق تخصصنا في العلوم السياسية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بما تثيره من تساؤلات وبما تكشفه من علائق وأبعاد العولمة على مستقبل الوطن العربي، فضلاً عن أهمية الدراسة في العلوم السياسية للمتخصصين في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية والفكر السياسي.

فرضية الدراسة:

إن العلاقة بين الوطن العربي والعولمة بوصفها متغيرين تفترض وضع تخمينات أو توقعات مؤقتة نسير بموجبها متدرجين في دراستنا للمشكلة قبل أن نستنتج الحقائق في النهاية، ومن هذه الافتراضات:

أ- نشأة العولمة في ظل التطور التقني للمجتمع البشري ولها أهداف تغيير في مجتمعات العالم.

ب- إن للعولمة آثاراً سلبية في الوطن العربي.

ج- إن للعولمة آثاراً إيجابية للوطن العربي يمكن الاستفادة منها.

د- هل ان تأثير العولمة مستمر؟

ه- هل يمكن احتواء العولمة؟ كيف؟

و- هل العولمة ظاهرة حتمية كالدين مثلاً؟

ز- هل في العولمة عوامل للتراجع او الانهيار؟ متى؟ وكيف؟

ح- هل يستطيع الوطن العربي التعامل مع العولمة بشكل يضمن مصالحه؟

منهجية الدراسة:

حيث إن موضوع دراستنا هذه -العولمة- نشأ في ظل تطور مستمر وكان نتاج تدرج في التفكير الإنساني وله علاقة مباشرة ومؤثرة في الوطن العربي، فإن الضرورة الأكاديمية تقتضي إتباع منهجية محددة تساعدنا على تتبع هذه الظاهرة والإحاطة بالجوانب المحددة للدراسة وقد وجدنا أن من المناسب لذلك منهجين من مناهج دراسة العلوم الاجتماعية، وهما المنهج التاريخي والمنهج الوصفي.

أ- **المنهج التاريخي:** ويساعدنا هذا المنهج على دراسة المراجع والوثائق والسجلات ذات الصلة بالموضوع وفهم ما نحن بصدد بالعودة إلى جذوره التاريخية وتتبع تطوره عبر العصور التاريخية المختلفة لمختلف جوانب المشكلة.

ب- **المنهج الوصفي:** يمكن استخدامه لتحديد المشكلة تحديداً دقيقاً وتفسيرها علمياً من خلال العلاقة بين الفروض والنتائج.

إن ضرورة البحث العلمي تقتضي عند معالجة أية ظاهرة في ميدان المعرفة الاجتماعية تحديد الأداة المنهجية باعتبارها أداة للوصول إلى نتائج منطقية⁽¹⁾، ولما كان موضوع دراستنا يختص بظاهرة العولمة وآثارها في الوطن العربي يكون من البديهي أن نحدد حقيقة هذه الظاهرة وأنماط سلوكها وأهدافها وآلياتها، وعلى وفق هذه المنهجية يمكن تقرير أن العولمة إذا كانت تشكل تهديداً وتحدياً للوطن العربي لاعتبارات مختلفة فإن على الوطن العربي أن يعطي أولوية لمواجهة هذا التحدي واحتوائه إذا شعر أن مصالحه تتعرض إلى التهديد المباشر، وفي ضوء الأهداف التي تتبناها العولمة تجاه الوطن العربي فنحن نعتقد أن آليات التنفيذ فيها تتحدد بمدى قدرة

(1) د. عبد القادر محمد فهمي، الصراع الدولي، بغداد، 1990، ص 15.

هذه الآليات على تحقيق أهدافها فإذا كان النمط السلوكي للعولمة يفرض على بلدان الوطن العربي تبعات ترقى إلى مستوى الأذى المباشر فإن على الوطن العربي - ضرورةً- أن يتحمل مسؤولياته في الدفاع عن مصالحه ونفسه بالأساليب التي يراها مناسبة.

هيكلية الدراسة:

في إطار المنهجية آنفة الذكر تناولنا دراسة العولمة كظاهرة مستقلة-تعريفاً ونشأة وآليات والمناخ الذي نشأت فيه والبيئة التي أخرجتها وتقوم على رعايتها وإدارتها، ثم انتقلنا إلى دراسة آثارها السلبية والإيجابية على الوطن العربي واستمرار هذا التأثير وعرضنا للجهود المبذولة من أجل احتواء العولمة ثم تطرقنا إلى العوامل الذاتية لتراجع العولمة. وعلى هذه الأسس ومن أجل تنظيم الدراسة قسّمناها إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسة وخلاصة ثم الاستنتاجات وعلى النحو الآتي:-

الفصل التمهيدي: بحثنا فيه الإطار النظري للعولمة في مبحثين:

المبحث الأول-مفهوم العولمة

المبحث الثاني- آليات العولمة

الفصل الأول: العولمة في ظل التطور التقني في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول- التطور على الصعيد السياسي

المبحث الثاني- التطور على الصعيد الاقتصادي

المبحث الثالث- التطور على الصعيد التقني

الفصل الثالث: الوطن العربي في ظل تداعيات العولمة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول- استمرار التأثير

المبحث الثاني- احتواء تأثير العولمة

المبحث الثالث- احتمالية تراجع العولمة

الخاتمة

الاستنتاجات

والله ولي التوفيق

الفصل التمهيدي
الإطار
النظري

الفصل التمهيدي الإطار النظري

يعد الإطار النظري (التأطير) المفتاح الرئيس الذي يفتح الباب أمام بقية الفصول لأنه يتولى التعريف بماهية وطبيعة العمل الذي يقوم به الباحث. وفي هذا الفصل عرض لمفهوم العولمة والتعريف بها لغةً واصطلاحاً والتميز بينها وبين ما قد يشتهر بها من مصطلحات مرادفة، ثم نتناول نشأة العولمة وجذورها وسنحاول في هذا الشأن تجنب الآراء التي تعطي لكثير من الظواهر التاريخية مثل الفتوحات الامبراطورية وتوسع الدول والأديان السماوية صفة العولمة. وفي نشأة العولمة سنبحث الاتجاهات المختلفة والمتباينة التي تبحث في نشأتها وسنتوخى الاختصار غير المضر بفحوى المعلومات واضعين في النهاية رأينا في نشأة العولمة. هذا سيكون في المبحث الأول بإذن الله تعالى.

أما المبحث الثاني فيختص في البحث عن آليات العولمة وهي كثيرة ومتشعبة تبدأ من محاولتها تغيير سلوكية الأفراد والمجتمعات وآليات العولمة هي أساليب ورسائل وطرق واختراعات تهدف إلى تحويل المجتمع البشري إلى سكان قرية واحدة يأكلون ويشربون وينامون في وقت واحد، ولكننا سنقتصر بالبحث والتقصي على ثلاثة آليات هي الآليات الرئيسة والمتمثلة في الآليات السياسية والتي نعتقد انها تشمل الديمقراطية وحقوق الإنسان والتدخل الإنساني والآليات الاقتصادية وتشمل منظمة التجارة العالمية ومؤسسات النقد الدولي والشركات المتعدية الجنسية ونادي ديفوس. أما الآليات الثقافية والإعلامية فسنتناول فيها المبادئ والتطبيق والنتائج.

المبحث الأول مفهوم العولمة

تعود كلمة العولمة بأصلها إلى عالم الاجتماع الكندي (مارشال ماكلوهن) الأستاذ بجامعة تورنتو عندما صاغ في أوائل السبعينات من القرن العشرين مفهوم (القرية الكونية) ثم تبنى الفكرة من بعده (بريجنسكي) المفكر الأمريكي والذي أصبح فيما بعد مستشاراً للأمن القومي الأمريكي والذي سعى بدوره إلى أن تقدم الولايات المتحدة ما أسماه حينئذٍ (النموذج الكوني للحدث) (2).

ومنذ ذلك الحين أصبح مصطلح العولمة واسمها في اللغة الإنكليزية (Globalization) سائراً على الأفواه والأقلام وقيل في تعريفه الكثير ولكن لم يتفق على تعريف جامع مانع له فهو نوع من المفاهيم الغامضة Fuzzy ولكنه يتفق مع طبيعة العلم ولاسيما في عصر مابعد الحدث أو مابعد الوصفية وبهذا المعنى يصبح تعريف العولمة جزءاً من سياق لغوي تتناوله مجموعة لغوية معينة (3).

أولاً- العولمة لغة واصطلاحاً:

تعني العولمة في اللغة العربية اسم مصدر على وزن (فوعلة) مشتق من كلمة العالم نحو القولية المشتقة من كلمة قالب وتنبئ هذه الصيغة عن وجود فاعل يقوم بالفعل (4)، فإذا كانت القولية تعني جعل الشيء في قالب فإن العولمة تعني جعل النشاطات الإنسانية في نطاق عالمي.

ثانياً- اصطلاح العولمة:

(2) د. أحمد صدقي الدجاني في (العرب والعولمة) ندوة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، إبريل 2000، ص62. (مجموعة باحثين)
(3) د. يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2000، 9، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص8.
(4) د. أحمد صدقي الدجاني، مصدر سابق، ص63.

العولمة ظاهرة طغت على سطح الكرة الأرضية في نهاية القرن العشرين وظهرت متغيراً مؤثراً في العلاقات الدولية. وقد استقرت دلالة هذا المصطلح على أنها ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسية والثقافة والاجتماع والسلوك الإنساني، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية وجدت فيها تحولات على مختلف الأصعدة تؤثر في حياة الإنسان ويسهم في صنع هذه التحولات ظهور فعاليات جديدة مثل الشركات متعددة الجنسية⁽⁵⁾.

والمصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع تشمل العالم بأسره، فقد استطاعت العولمة أن تفرض نهاية مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية لتبدأ مرحلة جديدة لم يعرفها العالم من قبل، إن العولمة في واقعها وحقيقتها ومضمونها ذات طابع حركي ديناميكي وهي ظاهرة متكاملة الجوانب والأبعاد معقدة في الحقيقة والمضمون⁽⁶⁾.

ومصطلح العولمة من الناحية الإدارية هي عولمة النشاط المالي والتسويقي والتقني والمعلوماتي وهي أيضاً عولمة أسواق السلع والخدمات والمال والعمالة والتكنولوجيا حيث يتعامل فيه المدير مع عالم يتلاشى فيه تأثير الحدود الجغرافية والسياسية، وتلاشت فيه أيضاً الحواجز الفكرية والثقافية بفعل ثورة تقنية المعلومات والاتصالات. والعولمة بوصفها مصطلحاً اقتصادياً يقوم على مبدأ إزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة لإتاحة حرية التنقل في السلع ورأس المال، ومع أن الاقتصاد والتجارة مقصودتان في العولمة لذاتهما إلا أنها تتجاوزهما إلى الحياة

(5) المصدر نفسه، ص 63.

(6) محسن أحمد الخضيرى، مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة اللادولة، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ب.ت، ص 16، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق.

الثقافية والاجتماعية بما تتضمنه من أنماط سلوكية ومذاهب فكرية ومواقف نفسية، وكل ذلك يصوغ هوية الشعب والأمم والأفراد⁽⁷⁾.

ويرى الدكتور محمد عبد الشفيق عيسى ان مصطلح العولمة هذا له ظاهر وباطن⁽⁸⁾، والاقتراب من الظاهر يؤدي إلى ثلاثة اتجاهات فرعية مختلفة بينها اختلافاً جماً:

الاتجاه الأول: إن العولمة ليست ظاهرة جديدة بل انها قائمة منذ القدم، ذلك ان لكل عصر عولمته القائمة على تحقيق المزيد من التواصل بين المجتمع البشري بسبب استمرار التطور في وسائل النقل والاتصال وتبادل المعارف.

الاتجاه الثاني: ان العولمة ظاهرة ليس لها نظير في التاريخ الإنساني بما في ذلك التاريخ المعاصر، ويصح القول من وجهة نظر هذا الاتجاه أن العولمة بما تعنيه من تحول العالم إلى (قرية كونية صغيرة) هي ظاهرة جديدة بالفعل.

الاتجاه الثالث: ان تقدم تقنيات الاتصال يهيئ مناخ العالم وبيئته لانبثاق نظام عالمي قائم على سهولة وسرعة وكفاءة التبادل بين المجتمعات البشرية في كل مكونات التبادل من السلع ورؤوس الأموال والخدمات والمعلومات والبشر على أساس من التعاون المشترك أو ما يسمى بلغة الاقتصاد السياسي (الاعتماد المتبادل) Interdependence.

أما باطنية العولمة عنده فهدفها دعم هيمنة الرأسمالية الغربية والأمريكية ووسيلتها في فرض الوصفة الليبرالية الجديدة على العالم غير الرأسمالي⁽⁹⁾.

(7) ناصر الدين الأسد، العولمة والهوية، الرباط، 1999، نقلاً عن: د.سناء كاظم، الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة، النجف، 2001.

(8) د.محمد عبد الشفيق عيسى، الدولة والعولمة في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص287. (مجموعة باحثين)

(9) د.محمد عبد الشفيق عيسى، المصدر نفسه، ص287.

ثالثاً- التمييز بين مصطلح العولمة وما يشته به من مصطلحات:

1- العالمية:

يراد البعض الشك في أن العولمة نظير لمفاهيم أخرى قريبة منها ومتداولة في المحيط الدولي أولها مصطلح (العالمية)، بوصفها فكرة تسابق البشر إلى الدعوة إليها على مدى التاريخ لإدارة العالم ككيان واحد يضم جميع سكان الكرة الأرضية على أساس عائلة واحدة وذلك بإلغاء جميع الحدود السياسية، ولكن العالمية شيء والعولمة شيء آخر⁽¹⁰⁾.

فالعالمية مشتقة من لفظة (العالم) الذي يطلق على كوكب الأرض وتشمل كل ما يمتد ويتسع متخطياً العوائق والحواجز ليشمل العالم كله من دون تمييز أو تفرقة، بينما العولمة تفرض وتتم البرمجة لفرضها من خلال العلم والإبداع في مجالاته وتطبيقاته التي يتحكم بنتائجها رأس المال والقوى المهيمنة⁽¹¹⁾.

والعالمية تعني تلك الدعوة التي تتبين القضايا والمهموم المشتركة للبشر جميعاً والسعي لتسخير إمكانات العالم لصالح الإنسانية جمعاء باعتبار ان البشر شركاء في هذا العالم وبهذا تكون العالمية دعوة أخلاقية تسعى لجلب الخير للناس جميعاً وتجنبهم المخاطر والشر وما دعوة الأديان السماوية السمحاء إلى ذلك إلا دليل على ما نقل وكذلك دعوات المفكرين والأنبياء والمصلحين في الأمم المختلفة فإنها قد نظرت إلى الجنس البشري نظرة متساوية وعادلة⁽¹²⁾، وليس لمفهوم العالمية هذا أية علاقة بمفهوم العولمة التي تعني فقط جعل العالم مجالاً لممارسة أي نشاط اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي أو ثقافي بدون قيود سواء كان هذا النشاط ضاراً أو نافعاً وبغض

⁽¹⁰⁾ محمد حسين الابياري، المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومة العالمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978، ص34.

⁽¹¹⁾ د.علي عقله عرسان، العولمة والهوية، مجلة أوراق، رابطة الكتاب الأردنيين، ع14، عمان، 2000، ص7.

⁽¹²⁾ د.عبد الرشيد عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص13.

النظر عن الجهة التي تقوم به وبالشكل الذي يكرس لنوع معين من السلوك والاستهلاك فارضة ثقافة واحدة هي ثقافة العولمة⁽¹³⁾.

2- التدويل:

يقصد بالتدويل جعل قضية من القضايا محور اهتمام أو تدخل أو نشاط لدول عديدة، أما العولمة فهي -كما أشرنا سابقاً- ظاهرة تعني إمكانية القيام بأي نشاط على مستوى العالم دون اعتبار لأية كيانات أو حدود أو حواجز داخلية فهي تتعامل مع العالم على أنه رقعة واحدة أو كيان واحد بغض النظر عن أية حدود سياسية أو عوامل جغرافية أو ثقافية⁽¹⁴⁾.

3- الكوكبة:

فضّل د. إسماعيل صبري عبد الله استعمال مصطلح الكوكبة بدلاً من العولمة لأنه يرى انها مشتقة من كوكب الأرض وتعني التداخل الواضح في شؤون الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك دون امتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، لكن ذلك بشكل مجرد، إذ إن العولمة تحمل فكراً تريد أن تفرض به قيماً معينة على أم ليست من بينها؛ فالعولمة تختلف عن الكوكبة من حيث البعد والمضمون والهدف بقدر ماتعني تحويل العالم إلى عالم تسوده قيم موحدة تتجاوز الأطر المحلية التي تستند إلى أساس وجود الأمة والإقليمية التي تستند إلى فكرة الحقوق المتبادلة بين مجموعة من الدول يضمهم إقليم واحد⁽¹⁵⁾.

(13) المصدر نفسه، ص 13.

(14) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، المصدر نفسه، ص 13.

(15) د. إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة: الرؤمالية العالمية مابعد الامبريالية، في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص 44-45. (مجموعة باحثين)

رابعاً- في مفهوم العولمة:

لقد أدى الاختلاف في ظروف الواقع الذي ينطلق منه الباحثون لفهم ظاهرة العولمة عن ظروف واقع آخر واختلاف المرجعيات الفكرية والثقافية التي تقيم على أساسها الظاهرة إلى التباين الواضح في فهم الظاهرة، فبعض الباحثين ركز في الجانب الاقتصادي فيها وذهب إلى ان العولمة ربما اتسمت عملياً بأنها سلسلة من الظواهر الاقتصادية المتصلة في جوهرها وهذه تشمل تحرير الأسواق ورفع القيود عنها وخصخصة الأصول وتراجع وظائف الدولة ولاسيما مايتعلق منها بالرفاهية الاجتماعية وانتشار التقنية وتوزيع الإنتاج عبر الحدود والاستثمار الأجنبي المباشر، وتشير العولمة في قالبها الأضيق إلى انتشار المبيعات ونشأة الإنتاج وعمليات التصنيع على مستوى العالم والتي تعيد معاً تشكيل تقسيم العمل عالمياً⁽¹⁶⁾.

وفي الاتجاه نفسه يشير بعض الباحثين إلى ان العولمة هي وصول الرأسمالية التاريخية عند منعطف القرن العشرين تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتجارة والسوق الاستخراج إلى دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاته أي حقبة ثالثة متميزة تضاف إلى مرحلتي الاستعمار التجاري الأولى بعد الثورة الصناعية ومرحلة الامبريالية الكلاسيكية اللاحقة⁽¹⁷⁾. غير أن باحثين آخرين ركزوا من البعد الاتصالي للعولمة واصفين إياها بأنها يمكن تلخيصها في كثافة انتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة توصلنا إلى الشعور بأننا نعيش في عالم واحد موحد⁽¹⁸⁾. أما البعض الآخر فقد أشار إلى ان جوهر العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس

⁽¹⁶⁾ سيمون رايش Simon Reich، نقلاً عن: رينشارد هيجوت (العولمة والأقلمة)، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ص28.

⁽¹⁷⁾ د. صادق العظم، ما العولمة، بالاشتراك مع د. حسن حنفي، دار الفكر، ط2، دمشق، 2000، ص107.

⁽¹⁸⁾ د. برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، بالاشتراك مع د. سمير أمين، دار الفكر، ط2، دمشق، 2000، ص21.

والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني⁽¹⁹⁾، وهي تمثل تطوراً طبيعياً لنزوع الإنسانية نحو التواصل والاندماج تنحسر فيها الحدود الجغرافية والثقافية في تقرير الترتيبات السياسية والاقتصادية والثقافية وان الناس باتوا يدركون أن هذه القيود آخذة في الانحسار⁽²⁰⁾.

إن الغالب على المفاهيم السابقة انها تنظر إلى العولمة باعتبارها تطوراً طبيعياً في الحياة الإنسانية على عكس آراء أخرى ترى بوجود قوى تسيّر هذه الظاهرة وتحدد ملامحها. فيرى بعض الباحثين ان العولمة تحتل مرحلة متقدمة من مراحل تطور الحضارة الرأسمالية وتسعى إلى تصدير القيم والمؤسسات والثقافات التي ولدتها هذه الحضارة إلى مجتمعات وثقافات أخرى ويتمثل ذلك في سياسات الانفتاح من خلال ما تلعبه المؤسسات الاقتصادية والتجارية من دور مهم في تسويق العولمة وحث الدول على إزالة القيود التجارية والموانع الثقافية سعياً إلى إزالة الحدود المجتمعية الفاصلة، فرض نموذج محدد من نمط الحياة التي تفرزها الحضارة الغربية بهدف الهيمنة والسيطرة على العالم⁽²¹⁾. ويقرر باحث آخر انه على كثرة التعريفات والمفاهيم للعولمة لم يبق إلا كلمة واحدة هي ان العولمة تعني (الأمركة)⁽²²⁾. ويرى باحث آخر أن العولمة هي فرض تغييرات قاسية على المجتمعات المحلية بواسطة قوى جبارة من الأعلى⁽²³⁾.

(19) سيد ياسين، في مفهوم العولمة، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص27. (مجموعة باحثين)
(20) كينتنشي أوهمه، نقلاً عن: العولمة والأقلمة، ص27، نقلاً عن: عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص10.

(21) د.مصطفى عبد الغني، الجات والتبعية الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999، ص72.

(22) ستيفن كاسلر، نقلاً عن: د.ناجي جواد ود.حسن علي السبطاوي في: العولمة من وجهة نظر عالم ثالثة، مجلة قضايا استراتيجية، العدد 7، القاهرة، سبتمبر 2001، ص107.

(23) ريتشارد هيجوت، العولمة والأقلمة، ص3.

وما يعزز التعريف الأخير هو ما صدر عن الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش (1989-1992) قوله (ان القرن القادم سوف يشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي)⁽²⁴⁾، وهذه الفكرة، فكرة نشر سلوك الحياة الأمريكية كانت تسيطر على تفكير معظم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية الذين تأثروا بالقيادة الأوائل أمثال جفرسون وواشنطن وشملت هذه الفكرة الكثير من المفكرين الأمريكيين، فمنذ مطلع القرن العشرين صرح البرت بيفردج عضو مجلس الشيوخ الأمريكي قائلاً ان (هدفنا أمركة العالم) ومنذ ذلك التاريخ ظل هذا الهاجس يسيطر على السياسة والزعماء الأمريكيين منذ الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الحاضر وهو تحقيق هذه المقولة بكل السبل السياسية والاقتصادية والعسكرية وهذا يعني ان الولايات المتحدة كانت تسعى دائماً للسيطرة والهيمنة على العالم بناءً على تطلعاتها العالمية التي رسمتها لها الحروب حتى أصبح من الصعوبة بمكان وضع حد فاصل بين النفوذ الأمريكي والحد الذي تبدأ معه هذه الظاهرة المسماة بالعولمة، سواء كانت شكلاً من أشكال الأمركة العالمية أم هي فعلاً ظاهرة مستقلة⁽²⁵⁾.

ومن جانبنا فنحن نتفق مع ماذهب إليه الدكتور عبد الرشيد عبد الحافظ في تعريفه لمفهوم العولمة حيث يقول (إن العولمة تعني جعل العالم مجالاً لممارسة النشاطات المتعددة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية أي إمكانية ممارسة أي نشاطات متعددة على مستوى العالم دون أية قيود أو حواجز)⁽²⁶⁾.

وميزة هذا التعريف لمفهوم العولمة الذي اختاره الدكتور عبد الرشيد عبد الحافظ واتفقنا معه، انه يتناول الظاهرة على انها واقع موضوعي دون محاولة إضفاء

(24) د. علي عقله عرسان، العولمة والهوية، مرجع سابق، ص 17.

(25) بول سالم، الولايات المتحدة الأمريكية- معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين-، كتاب العرب والعولمة (مجموعة مؤلفين)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، أبريل 2000، ص 209.

(26) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص 11.

وصف إيجابي أو سلبي عليها، وهذا حياد تقتضيه ضرورة الدراسة، إذ إن تقييم الظاهرة ومعرفة آثارها وتجلياتها، إيجابياتها وسلبياتها ينبغي أن تأتي في مرحلة لاحقة بعد فهم أساس وطبيعة الظاهرة أولاً.

خامساً- نشأة العولمة:

إن غزارة البحوث وكثرة الباحثين في ظاهرة العولمة كان بمثابة الدليل القاطع على انها ظاهرة تثير الاهتمام بشكل مستمر. ولقد أظهرت البحوث والدراسات العديدة سواء منها الذي نشأ في بيئة العولمة الغربية أو في الوطن العربي أو في أرجاء أخرى من العالم أنها قد أنتجت اتجاهات مختلفة ومتباينة في نشأة العولمة يمكن أن نحددها بالاتجاهات الآتية:

الاتجاه الأول: إن للعولمة تاريخاً قديماً يبدأ قبل الميلاد.

الاتجاه الثاني: للعولمة مراحل متعاقبة بدأت في العصور الوسطى.

الاتجاه الثالث: إن العولمة ظاهرة جديدة غير مسبوقة ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين.

الاتجاه الرابع: العولمة بدأت مع تاريخ التطور التقني.

وقبل أن نضع رأينا في نشأة العولمة سوف نتدرج بشرح هذه الاتجاهات متوخين الإيجاز غير المضر بفحوى المعلومات.

الاتجاه الأول: إن للعولمة تاريخاً قديماً يبدأ قبل الميلاد⁽²⁷⁾.

إن الذين أرجعوا ظاهرة العولمة إلى القرون القديمة تحدثوا في الواقع عن مصطلح العالمية، وهذا واضح في أطروحات الروافيين الذين نشأوا في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد إذ كانوا ينظرون إلى العالم نظرة شاملة من دون وجود رأي عامل من عوامل التمييز والتفرقة، ومن هنا جاءت دعوتهم لإقامة المدينة العالمية، كما تأثر فلاسفة الرومان بهذه الأفكار ولاسيما فيما يتعلق بالقانون الطبيعي ومبادئ العدالة

(27) السيد ياسين، في مفهوم العولمة، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص29.

العامّة والتي بموجبها استطاعت روما أن تخضع العالم لفكرة الامبراطورية الرومانية⁽²⁸⁾.

وخلال القرون الوسطى والحديثة وبعد سيادة الفوضى الدولية والحروب والمنازعات عقدت العديد من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية من أجل تنظيم المجتمع الدولي، كان من أهمها معاهدة وستفاليا 1648م التي جاءت بمبادئ هدأت المناخ الأوربي ثم عقد مؤتمر فيينا عام 1815م الذي يعد بداية للتنظيم الدولي ثم تحدد على يد بسمارك في نهاية القرن التاسع ثم مؤتمر فرساي 1919م ثم مؤتمر يالطة في أعقاب الحرب العالمية الثانية 1939-1945⁽²⁹⁾.

وهكذا شهد العالم الغربي بين مدة وأخرى مؤتمراً يحاول رسم النظام الدولي منتقلاً من نظام عسكري استعماري إلى نظام امبريالي، واليوم يسعى العالم الغربي إلى وضع نظام عالمي جديد يغطي القرن الحادي والعشرين يتسم بالأسماوية الاقتصادية⁽³⁰⁾.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن محاولة رسملة العالم ليست بالفكرة الجديدة وإنما لها أبعاد وجذور عميقة في التاريخ صاغها العديد من المفكرين والسياسيين الغربيين وكانت كل مدة محددة تحمل طرماً جديداً لفكرة قديمة مثل المرحلة التي نحن بصدها الآن من خلال نشر وتعميم لفكرة جديدة تسمى العولمة. إن العولمة ماهي إلا لفظ جديد لعملية قديمة مستمرة برزت أكثر وضوحاً في عالم أصبح بحجم

(28) محمد حسين الابياري، المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكمة العالمية، مصدر سابق، ص22.

(29) سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي في الشرق الأوسط مفاهيم عصر قادم، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1997، ص149.

(30) المصدر نفسه، ص152.

قرية صغيرة متشابكة الأبعاد ربطت بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية وقنوات التلفزيون الدولي⁽³¹⁾.

وبحسب أصحاب هذا الاتجاه فإن منطق التطور الرأسمالي يقضي بالتوسع خارج الحدود. ومع قيام الثورة الثقافية اليوم يبلغ التوسع الرأسمالي مداه الأقصى فيطرح بحدود الدولة بشكل يحد من سيادتها وهذا النمط من التوسع يطلق عليه اسم العولمة ستمه الأساسية توحيد العالم وإخضاعه لقوانين مشتركة تضع حداً لكل أنواع السيادة⁽³²⁾.

ويرى روجيه جارودي في كتابه "العولمة المزعومة" أن هذه الظاهرة ولدت منذ خمسة قرون مع ولادة التوطن وسكرة التقنية من أجل السيطرة على العالم والمجتمع البشري، إنها ظاهرة تأليه السوق مما أنتج استقطاباً متنامياً لثروة المضاربة لصالح أقلية أو عصابة المافيا وتعاسة الجمهور⁽³³⁾.

⁽³¹⁾ الفريد فرج، العولمة في مرآة الثقافة العربية، نقلاً عن: احمد مصطفى عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، مجلة المستقبل العربي، ع256، حزيران 2000، ص72.

⁽³²⁾ عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص317.

⁽³³⁾ روجيه جارودي، العولمة المزعومة- الواقع والجذور، تعريب: د.محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء، 1998، ص17.

الاتجاه الثاني: مراحل العولمة.

يعتمد أصحابه على رأي رولاند روبرتسون الذي استعرضه السيد ياسين في مفهوم العولمة، حيث إن روبرتسون صاغ نموذج تطور العولمة مقسماً على خمسة مراحل هي⁽³⁴⁾:

- 1- المرحلة الجينية: تمتد ما بين القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر.
- 2- مرحلة النشوء: وتبدأ من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام 1870م.
- 3- مرحلة الانطلاق: استمرت من عام 1870 إلى العشرينات من القرن العشرين.
- 4- مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: وتمتد من عشرينات القرن العشرين حتى منتصف الستينات منه.
- 5- مرحلة عدم اليقين: بدأت منذ الستينات وأدت إلى اتجاهات وأزمات نهاية القرن العشرين.

ولكل مرحلة من هذه المراحل سمات مميزة تبد عند روبرتسون من ظهور المجتمعات القومية إلى تبلور المفاهيم الدولية وحدوث الحرب العالمية الأولى ونشأة عصبة الأمم والحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان ومن ثم هبوط الإنسان على القمر وسباق الفضاء ونهاية الحرب الباردة.

الاتجاه الثالث: ظهور العولمة في النصف الثاني من القرن العشرين.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن ظهور العولمة يرتبط بانتعاش الاقتصاد الأوربي في نهاية خمسينات القرن العشرين وبسبب إزالة القيود النقدية على المدفوعات بالدولار وزيادة التجارة الدولية، إذ زاد حجم التبادل التجاري بين عامي 1950

⁽³⁴⁾ السيد ياسين، في مفهوم العولمة، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص29.

و1973 بنسبة 9.4 بالمئة، لكن مرحلة الثمانينات زادت تدفق الاستثمارات الأجنبية بنسبة 200% وتعود زيادة الاستثمارات الأجنبية إلى إزالة القيود على حركة رؤوس الأموال وقيام بعض الدول النامية ودول الكتلة الشرقية بإزالة القيود على المدفوعات الخارجية وإزالة القيود هذه ساهمت في تحسين التجارة الدولية وهذا هو السبب الأول لظهور العولمة⁽³⁵⁾. أما السبب الثاني فهو تبني الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث مبدأ الخصخصة بعد تبنيه وفرضه من قبل الدول الرأسمالية. والسبب الأخير بحسب أصحاب هذا الاتجاه هو تفاقم المضاربات المالية بالعملات القابلة للتحويل، وبلغ الحجم السنوي لهذه العملات عام 1995 حوالي 73 مرة حجم الصادرات الدولية من سلع وخدمات في ذلك العام⁽³⁶⁾، هذه الأموال يسميها اللاعبون الرئيسون الذين يحركونها باسم الاستثمارات المصرفية، ويرى أحمد ثابت أن هذه الأموال تفوق في قيمتها ما لا يقل عن ثلاثين مثلاً لمجموع قيمة التجارة العالمية في السلع والمنتجات المنظورة وغير المنظورة⁽³⁷⁾.

⁽³⁵⁾ د. عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، مجلة المستقبل

العربي، العدد 1، بيروت، 2001، ص 61.

⁽³⁶⁾ محمد الأطرش، العرب والعولمة والعمل، المستقبل العربي، السنة 20، العدد 229،

بيروت، 1998، ص 105.

⁽³⁷⁾ أحمد ثابت، العولمة والخيارات المستقلة، المستقبل العربي، السنة 21، العدد 240،

شباط 1999، ص 8-21.

الاتجاه الرابع: اقتران العولمة بالتطور التقني.

يعتمد أصحاب هذا الاتجاه على ما طرحه جان شولت (J.Sholt) من مجموعة أحداث هي التي مهدت لظهور العولمة منذ ظهور أول خدمة للتلغراف عبر المحيطات عام 1866 وتوقيت كرينتش وظهور الراديو وانتقال الأموال من دون فرض ضرائب وإطلاق أول قمر صناعي عام 1957 مروراً بأول اتصالات دولية عبر الأقمار الصناعية في المؤتمرات الدولية للتنمية البشرية وصولاً إلى عام 1977م حيث حدث ربط كامل من الأنسجة البصرية حول العالم الأمر الذي سهّل عملية استخدام الوسائل المتعددة والمحمولة وعلى هذا الأساس يعدّ أصحاب هذا الرأي أن العولمة ليست أمركة بدليل أن الحوادث السابقة نشأت بعيدة عن رغبة زعيم سياسي بل نشأت بفعل مجموعة من العوامل والتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية التي أفرزتها عقول البشرية عبر مسيرتها الطويلة⁽³⁸⁾.

ومن جانبنا وإزاء الآراء المختلفة التي أوردناها في نشأة العولمة فنحن نتفق مع رأي الدكتور عبد الجليل كاظم الوالي في أن العولمة ظاهرة متصلة بمسيرة المجتمعات الإنسانية منذ وجد الإنسان على الأرض وإلى الآن وتحديداً فإنها ترتبط بالجانب السياسي الخاص بإنشاء الامبراطوريات والذي يعتمد أصلاً

⁽³⁸⁾ بيتر مارتين وهارالد شومان، فخ العولمة- الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، تقديم: رمزي زكي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص329، نقلاً عن: د. عبد الجليل كاظم الوالي، مصدر سابق، ص63.

على تطور العلم في تثبيت كيانه وترسيخ استقلاله⁽³⁹⁾. ومع رأي السيد جميل مطر بأن هذا الجانب السياسي يرتبط بالهيمنة السياسية من جانب دولة مهيمنة أو مركز امبراطوري سواء كان هذا المركز أثينا أو روما أو دمشق أو بغداد أو لندن أو غيرها من العواصم الأوروبية والآن هي في الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁴⁰⁾.

(39) عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، مصدر سابق، ص58.
(40) جميل مطر، ضمن المناقشات حول بحث السيد ياسين في مفهوم العولمة، المستقبل العربي، السنة 20، العدد 228، شباط 1998، ص60.

المبحث الثاني آليات العولمة

بعد انتهاء الحرب الباردة في أواخر القرن العشرين، تم تدويل بعض القضايا التي تتجاوز مجالها المحلي والإقليمي إلى المستوى العالمي لأنها مثلما يزعم صنّاع القرار في المركز الرأسمالي المتمثل بـ(الاتحاد الأوربي واليابان والولايات المتحدة) بحاجة إلى تشريعات وسياسات ومؤسسات عالمية، ولا يمكن أن تُحل إلا بإجراءات جماعية، وتأتي في مقدمة هذه القضايا، الإرهاب، التطرف الديني، حقوق الإنسان، الديمقراطية، وبعد أحداث أيلول المدبرة عام 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية تم استخدام الاستراتيجية الوقائية عسكرياً، واستخدمت قوى العولمة آليات سياسية تنادي بها بقوة جنباً إلى جنب مع تلك الاستراتيجيات لتحقيق أهدافها النهائية، إلى جانب الآليات الاقتصادية التي تباشرها عن طريق المؤسسات الدولية والآليات الثقافية والإعلامية والتي وظفت وسائل الاتصال الحديثة لها. وسنتدرج في هذا المبحث في شرح هذه المعطيات حسب الترتيب الآتي:

أولاً- الآليات السياسية.

ثانياً- الآليات الاقتصادية.

ثالثاً- الآليات الثقافية والإعلامية.

أولاً- الآليات السياسية:

دأبت قوى العولمة على استخدام ثلاثة عناوين في هذا المجال بشكل مركز هي الديمقراطية وحقوق الإنسان واعتماد مبدأ التدخل الإنساني.

1- الديمقراطية: أجمعت العديد من المؤلفات وآراء المفكرين والفلاسفة التي تناولت مفهوم الديمقراطية على أنها حكم الشعب بالشعب وللشعب. وقد اشتقت هذه الكلمة من اللغة اليونانية وهي مركبة من مقطعين هما Demos بمعنى الشعب و cratos بمعنى

حكم وبإدماج الكلمتين يتكون معنى (حكم الشعب)⁽⁴¹⁾. وقد عرفها شوميز بأنها عبارة عن ترتيبات مؤسسية للوصول إلى قرارات سياسية حيث يتسنى للأفراد الحصول على السلطة اللازمة لصنع تلك القرارات عن طريق التنافس على أصوات الناخبين⁽⁴²⁾. كما تم تعريفها على أنها شكل الحكومة في قرارات مسؤولة تحكم في نظام يؤكد فيه احترام كل شخص لرأيه⁽⁴³⁾.

والديمقراطية أصبحت مبدأ قانونياً على أثر قيام الثورة الفرنسية 1789م وتجلت في أنها مذهب سياسي بعيد عن أي طابع آخر تضع الأفراد جميعاً في حالة المساواة أمام القانون، وهكذا اتجهت معظم شعوب الأرض إلى الأخذ بالديمقراطية نظاماً للحكم على الرغم مما يعترضها من سلبيات، كأفضل وسيلة لتحقيق العدالة- وإن كان تطبيقها يختلف بحسب البيئات الاجتماعية، وأصبحت الديمقراطية مبدأ سامياً تسعى إليه الشعوب في مختلف الأقاليم والأزمان كونها اقترنت بالمساواة أمام القانون⁽⁴⁴⁾.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين تم الترويج من الغرب لما سمي بالديمقراطية الليبرالية، والتي تعني إعطاء الحرية للفرد مع وضع قيود على سلطة الدولة بوصفها مفهوماً اقتصادياً⁽⁴⁵⁾، فأصبحت الديمقراطية في الغرب تعني تمكين

(41) خالد بن عبد العزيز الشريدة، رؤية نقدية لاشكالية الشورى والديمقراطية، بحث مقدم إلى مؤتمر الديمقراطية والتربية في الوطن العربي، جامعة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص38، نقلاً عن: سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص106.

(42) درجاء بهلول، حكم الله حكم الشعب حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية، دار الشروق، عمان، 2000، ص82.

(43) William, H. Rikey, Democracy in the US, The Meamilak Company, London, 1970, P.31.

نقلاً عن: د. سناء كاظم كاطع، المصدر نفسه، ص106.

(44) د. عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية، أسس التنظيم السياسي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص199-200.

(45) السيد ياسين، الطريق الثالث- ايدولوجية سياسة جديدة، مجلة السياسة الدولية، العدد 139، القاهرة، يناير 1999، ص70.

الأفراد من مشاركتهم السياسية والتمتع بحقهم الانتخابي وفي الوقت نفسه تعني حرية اقتصادية للفرد ليقوم بنشاطه الاقتصادي بمطلق حريته وبوسائله الخاصة⁽⁴⁶⁾. وقد كان هذا الطرح محل نزاع في حقبة الصراع الايديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية خلال الحرب الباردة حيث تمسكت الشيوعية بما أسمته الديمقراطية الاجتماعية التي زعمت انها تعني العدل مع ظهور محاولات من كلا الطرفين لفرض نموذج على الطرف الآخر⁽⁴⁷⁾، ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومنذ العقد الأخير من القرن العشرين سعت الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها من أجل عولمة الديمقراطية الليبرالية حتى انها جعلتها من أولويات سياستها الخارجية حيث عبر عن ذلك (نيل لويس) المراسل الدبلوماسي لجريدة نيويورك تايمز بقوله (ان التوق لرؤية الديمقراطية على الأسلوب الأمريكي وهي تسود في أرجاء العالم كان محوراً دائماً في السياسة الخارجية الأمريكية ولاسيما بعد دخولها الحرب الباردة التي عدت ان ماجاءت به نهاية هذه الحرب يمثل انتصاراً لديمقراطيتها، وهذا ما عبّر عنه الكاتب الأمريكي فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ⁽⁴⁸⁾، فالولايات المتحدة تعزز بديمقراطيتها الليبرالية وتعدّها نموذجاً عالمياً يجب الاحتذاء به، وزعم الرئيس الأمريكي في بداية السبعينات من القرن العشرين أنه من الممكن أن تكون الولايات المتحدة أكبر دولة مناصرة للديمقراطية في العالم مثلاً واضحاً للآخرين كي يحذوها⁽⁴⁹⁾. ويقول أحد الباحثين العرب إن الديمقراطية الليبرالية تواجه أزمة تتعلق بمستقبل الديمقراطية نفسها على المستوى العالمي فكما تسعى الدول الغربية للسيطرة على السوق

(46) نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998، ص377.

(47) المصدر نفسه، ص378.

(48) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والرجل الأخير، ترجمة وتعليق: د.حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، 1993، ص84.

(49) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة- التحديات التي تواجه أمريكا في عالم ليس به إلا قوة عظمى واحدة، ترجمة: أحمد صدقي مراد، دار الهلال، 1992، ص22.

الاقتصادية العالمية تسعى كذلك للسيطرة على السوق السياسي ومن ثم فإنها تسعى لترويج الديمقراطية بالقدر نفسه الذي تسعى فيه لترويج منتجاتها المادية والاقتصادية. ويسلط الباحث العربي برهان غليون الضوء على مغالطة أساسية في هذه الديمقراطية، إذ يبين ان الغرب الليبرالي شجع وسوف يشجع الديمقراطية في الدول العربية وغير العربية التي لاتخضع لسيطرته من أجل انتزاعها من نفوذ القوى الأخرى المناوئة له، ولكنه لن يشجع على التحول الديمقراطي في المناطق التي تخضع لسيطرته ونفوذه، فبقدر ما يعمل على تشجيعه على الديمقراطية في المناطق الخارجة عن سيطرته على فتح ثغرة تساعد على الدخول إليها بشكل الانفتاح الديمقراطي في الأقطار التي تخضع خضوعاً مطلقاً له إلى فتح ثغرة في نظام سيطرته على نفسه يمكن أن تستغلها القوى المناوئة له في هذه الأقطار، فهو في هذه الحالة يربح على حساب غيره وهو في الحالة الثانية يخسر من سيطرته المطلقة لحساب قوى مناوئة له قد تكون إقليمية أو اجتماعية محلية⁽⁵⁰⁾.

لقد ارتبطت الديمقراطية الليبرالية باقتصاد السوق وقد ارتبط هذا مع مصلحة الموظفين للثروة العالمية وتصاغ لصالح المؤسسات المالية الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية) التي ربطت مساعداتها بمدى طبيعة الدولة وتطبيقها للأساليب الديمقراطية في الحكم، فهي ديمقراطية مرتبطة باقتصاد السوق، وأساس هذه الفكرة الجديدة على تحقيق أهداف سياسية مما يفقد الحكومات إزاء قوى السوق القدرة على فرض الضوابط المناسبة والتي تعرقل تبني سياسات التحرر الاقتصادي⁽⁵¹⁾. وهكذا تبدو العولمة ليست فقط ظاهرة للتدخل والتوسع الاقتصادي بل إنها تمتد لتشمل ديناميكيات العلاقات الدولية، ويتحدث عن هذه

⁽⁵⁰⁾ برهان غليون، حول الخيار الديمقراطي (دراسات نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص27.

⁽⁵¹⁾ د. أرشي خان، العولمة والألفية الليبرالية السعيدة في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، بيت الحكمة، بغداد، 2000، ص37. (مجموعة باحثين)

الديناميكيات د. أرشي خان، حيث يبين في دراسته عن الليبرالية السعيدة أن جذور العولمة تمتد في مذهب العصر الألفي الليبرالي السعيد الذي يرحب بعصر جديد من الحرية المطلقة للديمقراطيات الليبرالية الغربية بشكل رئيس للتعامل باختياراتها ورغباتها الذاتية دون الأخذ بعين الاعتبار النتائج والمؤثرات الناجمة عن ذلك وبعكس تحول الديمقراطيات الليبرالية الغربية الاجتماعي والسياسي فإن العديد من المجتمعات الأفروآسيوية والأمريكية اللاتينية التي تشكل العالم غير الغربي لم تشهد تغيرات راديكالية كتلك التي حدثت في العالم الغربي كذلك فإن الكثير من بلدان المستعمرات القديمة في أمريكا وآسيا والتي استعارت المبادئ السياسية للديمقراطية الغربية فشلت في إدخال تغييرات على غرار التغييرات الغربية، والنظام الذي استعارته قد فشل في تحقيق النتائج التي حققها في الديمقراطية الغربية ويعود السبب في ذلك بالدرجة الأولى إلى عامل الموقع والبيئة والقيم السائدة التي تختلف في الشرق عما عليه في الغرب، لذا فإن مجتمعات المستعمرات القديمة التي عاد إليها الغرب بطريقة استعمارية فكرية تسمى العولمة يمكن تسميتها مجتمعات (تاريخية) وليست (حديثة) حسب تصنيف علماء الاجتماع⁽⁵²⁾.

2- **حقوق الإنسان:** في المعاجم الفلسفية يتحدد مفهوم الحق بالإشارة إلى ان الحق يعني لغوياً معنى الثابت الذي لا يبرر أفكاره، واليقين بعد الشك، وهو العدل والأمر المقضي والمال والملك وصدق الحديث وهو من أسماء الله تعالى أو من صفاته⁽⁵³⁾. وفي الفقه القانوني فإن للحق معنيين، الأول ما كان فعله مطابقاً لقاعدة محكمة، أي

(52) د. أرشي خان، المصدر نفسه، ص38.

(53) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت- القاهرة، ط1، 1997، ص28.

ثبت ووجب وحق المرء أن يفعل كذا. والثاني ما تسمح بفعله القوانين الوضعية أو ماتسمح به العادات والتقاليد والأخلاق⁽⁵⁴⁾.

وجاء في لسان العرب أن الحق نقيض الباطل قال تعالى ((ولاتبسوا الحق بالباطل)) (البقرة/الآية 42) وحقَّ الأمر صار حقاً وثبت الحق وأحقه كان منه على يقين، والحقُّ اسم من أسماء الله تعالى وقيل من صفاته قال تعالى ((ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق)) (الأنعام/الآية 62)⁽⁵⁵⁾. ويعرّف بعض الباحثين مصطلح حقوق الإنسان بأنه (تلك الحقوق التي تهدف إلى ضمان وحماية معنى الإنسانية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية)⁽⁵⁶⁾.

أما في حدود الأصول الفكرية لحقوق الإنسان فالملاحظ ان إعلانات حقوق الإنسان التي تمخضت عنها ثورات القرن الثامن عشر في أوروبا وبشكل خاص الثورة الفرنسية 1789 انطلقت من الفكر الليبرالي وهي تعني بوجه خاص بالحقوق الفردية ضمن إطار عناية تلك الثورة بتلك الحقوق بالدرجة الأولى والأخيرة على حد تعبير (بردو) ويخدمها أي نص اجتماعي⁽⁵⁷⁾. وقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر حركة فكرية وفلسفية متأثرة بشكل أو بآخر بمدرسة القانون الطبيعي تمثلت بالاستناد على فكرتين أساسيتين هما الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الفرد بوصفه ذا صفة إنسانية فضلاً عن حالة الفكرة الأولى السابقة لوجود المجتمع وكان من أهم

(54) د. عبد المنعم الصدة، مبادئ القانون والحق، منشورات جامعة قاربيونة، ط2، ليبيا- بنغازي، 1998، ص59، نقلاً عن: د. عامر حسن فياض، الرأي العام وحقوق الإنسان، ص131.

(55) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج10، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ، ص49-50، نقلاً عن: د. سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص85.

(56) د. جابر إبراهيم الراوي، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 1999، ص166.

(57) البير باييه، تاريخ إعلان حقوق الإنسان، ترجمة: محسن مندور، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1950، ص103-111، نقلاً عن: د. عامر حسن فياض، ص142.

رواد هذه الحركة الفكرية (هوبس، لوك، وروسو) وعلى الرغم من ان خط انطلاقهم كان واحداً من شرح حالة الفطرة الأولى وتفسيرها إلا انهم اختلفوا بشأن وصف الحالة الطبيعية والعقد الاجتماعي ومضمونهما⁽⁵⁸⁾. وعلى الرغم من ان حقوق الإنسان لم تُؤطر بشكل قانوني، إلا انه صيغت العديد من المواثيق الدولية التي حاولت تأكيد حقوق الإنسان في العالم، كان أهمها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان في 10 كانون الأول 1948 الذي نص بمواده الثلاثين على كرامة الإنسان وحقوق الأفراد وضرورة التمتع بها وهذا واضح في مادته الأولى والثانية. ويرى الدكتور رياض عزيز هادي انه ينطوي على الشمولية كونه يدعو إلى تحقيق حقوق الإنسان لكل شعوب العالم وأمه فضلاً عن انها تعني قابلية مبادئه للتطبيق في المجتمعات الإنسانية المختلفة من دون تمايز⁽⁵⁹⁾. ولكن يلاحظ في هذا الميثاق أنه قد عبّر عن وجهة نظر الدول الغربية التي صاغته فهو لم يعد سوى محاولة لتثبيت المذهب الفردي، في الوقت نفسه دخل الاختلاف في مجال حقوق الإنسان في صراع ايديولوجي بين المذهبين الفردي والجماعي أبان مدة الحرب الباردة والتي سعى كل طرف إلى إثبات أحقيته في حقوق الإنسان فضلاً عن محاولات كل منهما المتكررة لانتهاك حقوق الآخر⁽⁶⁰⁾. فالمذهب الفردي ركز في الحقوق المدنية والسياسية، أما المذهب الجماعي الماركسي فقد ضمن الحرية الفردية لصالح المجتمع مركزاً في

(58) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة: حسن جلال العروسي، ج2، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص239-240.
(59) د.رياض عزيز هادي، العالم الثالث وحقوق الإنسان، سلسلة آفاق عربية، العدد 19، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000، ص23.
(60) د.محمد فهيم يوسف، حقوق الإنسان في ضوء التجليات السياسية للعولمة، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 35، بيروت، أيلول 1998، ص65.

الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث عدّ الدولة الشخص الأسمى على الفرد عكس المذهب الفردي⁽⁶¹⁾.

ومع انتهاء الحرب الباردة وظهور المتغيرات الدولية التي رافقتها، انتفى ذلك الصراع بشكل لم تنتفِ معه تلك الحقوق التي آمنت بها جهة المذهب الجماعي. وإنما قامت الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1992 بالمصادقة رسمياً على الاتفاقية الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تلك التغيرات حملت معها بعض المفاهيم العالمية باتجاه جديد مؤطرةً كلاً منها بإطار غربي بما فيها حقوق الإنسان، ومحاولة تعميمه على وفق الرؤيا الأمريكية، رؤية الطرف الأقوى في العالم فضلاً عن إلحاقه بالسياسة الخارجية الأمريكية ومصالحها الكبرى عبر العالم⁽⁶²⁾. وهكذا أصبحت حقوق الإنسان تعبر عن إطار عام لنشر المفاهيم المرتبطة بالفكر الرأسمالي من خلال دعوتها إلى تلك الحقوق التي أضافت لها حقوقاً أخرى إلى جانب الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي الحق في التنمية والحق في بيئة نظيفة⁽⁶³⁾.

فقد أقر المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان المنعقد في فيينا عام 1993 مبدأ الحق في التنمية المستدامة الذي كان محل رفض الغرب ولكن سعي دول العالم الثالث إلى تحقيقه عدتها وسيلة للحصول على مزيد من المساعدات إلا أن هذا الحق لم يضيف جديداً لمنظومة حقوق الإنسان وإنما عمل على ربط هذه الحقوق بعملية التنمية بأبعادها المختلفة وعدّها حقاً من الحقوق وليس مجرد طلبٍ يطالب الأفراد به⁽⁶⁴⁾.

(61) سعد زيد، في الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان في الوطن العربي، في كتاب حول التيار الديمقراطي، دراسات نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص172، نقلاً عن: د.سنا كاطم كاطم، مرجع سابق، ص90.

(62) علي أو مليل، عن عالمية حقوق الإنسان، مجلة المنتدى، مج8، العدد 91، نيسان 1993، ص3.

(63) د.رياض عزيز هادي، مصدر سابق، ص28.

(64) د.كريمة كريم، ورقة تقدمت بها إلى ندوة حقوق الإنسان والتنمية، القاهرة، 7-9 حزيران 1999، عدّ تقريرها: محسن عوض، مجلة المستقبل العربي، العدد 45، تموز 1999، ص159.

وهكذا أصبحت مرحلة ما بعد الحرب الباردة مرحلة تغيير مفاهيمية، وان الحديث عن حركة حقوق الإنسان في إطارها النظري الغربي يثير إشكالية العلاقة بين حقوق الإنسان ومنظومة القيم في مجتمعات عالمية مختلفة تنظر إلى حقوق الإنسان نظرة مغايرة، ومنها البيئة العربية والإسلامية مما يثير إشكالية في العلاقة بين حقوق الإنسان وتلك البيئات، أو التنازع على حقوق الإنسان بين الغرب وتلك المجتمعات وصولاً إلى إشكالية الخصوصية والعالمية في حقوق الإنسان⁽⁶⁵⁾. ويؤكد راشد الغنوشي سيطرة الغرب على موضوع حقوق الإنسان في زمن العولمة من خلال تأكيده ان النظام الدولي الجديد ليس جديداً من حيث مضمونه الفكري وايدولوجيته أو دينه إلا من خلال القوة التي اكتسبتها ايدولوجية حقوق الإنسان من خلال السيطرة الأمريكية على العالم ومحاولة تغليف هذه السيطرة المادية بغلاف ايدولوجي هو حقوق الإنسان⁽⁶⁶⁾.

ولا يمكن إنكار أن المقولات الكبرى المطروحة في عصر العولمة الذي نعيشه مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان تنطوي كل منها على جانب عالمي وجانب محلي في آن واحد بناءً على الظروف البيئية والقيم السائدة، وقد ازدادت صعوبة التفرقة في هذا الشأن بين العالمي والخاص في ظل التشابك مع آليات العولمة ذات الصلة القوية بالتغريب الغربي حيث النزوع القوي نحو استبعاد شعوب وثقافات معينة بزعم أن أنماط التفكير والسلوك وأنساق القيم لديها تتسم بالانغلاق والتحول وعدم التسامح ورفض الاندماج في تقاليد أسلوب الحياة الغربية والأمريكية وقيمها⁽⁶⁷⁾. ومن الملاحظ ان التركيز في احترام حقوق الإنسان بالمعنى الغربي يؤدي إلى نتائج

⁽⁶⁵⁾ برهان غليون وآخرون، حقوق الإنسان العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سلسلة كتب المستقبل العربي 7، ط 1999، ص 20.

⁽⁶⁶⁾ نقلاً عن: زكي أحمد، النظام العالمي الجديد في تصور الإسلاميين العرب، المستقبل العربي، ع 157، بيروت، آذار 1992، ص 137.

⁽⁶⁷⁾ أحمد ثابت، العولمة والخيارات المستقلة، المستقبل العربي، العدد 2، 1999، ص 37.

عكسية في المجتمعات الأخرى، وقد تستخدم النظم السياسية هذه المقولة ذريعة لرفض احترام حقوق الإنسان جملة وتفصيلاً، بل انها قد تتمتع حينذاك بتأييد عام⁽⁶⁸⁾.

3- اعتماد مبدأ التدخل الإنساني:

أ- في السياق التاريخي: تعدّ سياسة التدخل في شؤون الدول الأخرى مبدأ قديماً لدى الدول وتجلّى في العصر الحديث في أوائل القرن التاسع عشر وتحديدًا في عام 1815 ليضم التحالف الدولي الغربي ضد الامبراطورية العثمانية والذي ضم النمسا وبروسيا وروسيا وانكلترا وفرنسا بحجة حماية السكان المسيحيين المضطهدين وذلك بعث لجسور منطق الحروب الصليبية، حيث لم يتغير جوهر سياسة القوة الذي يرتدي في آن أشكالاً متعددة برّاقة على مستوى التبرير النظري والسياسي والأخلاقي⁽⁶⁹⁾. إن سياسة القوة والعدوان لم ولن تعدم أن تجد منظريها الذين يتفانون في صياغة القواعد الأخلاقية والرأسمالية اللازمة لتحرير النزعات وبحركات قد تكون مفرطة في وحشيتها وأنانيتها، ومن ثم فإن تناول مبدأ التدخل الإنساني لا ينحصر في حظيرة المناقشات العقلية للقانون الدولي وإنما يمتد بالضرورة إلى ميادين المجادلات السياسية والايديولوجية، ويكتسب طابع اللحظة التاريخية المعيشة بكل آلياتها وتوازاناتها وطروحاتها المتصارعة⁽⁷⁰⁾. ومن الملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الأطراف الدولية تحمساً وتطبيقاً للتدخل الإنساني الآن، وكانت من أشد معارضي التدخل في شؤون أمريكا الجنوبية عندما ذهبت الدبلوماسية والفقهاء القانوني الأوربيان إلى تبرير شرعية التدخل العسكري لحماية مصالح المواطنين الأوربيين المقيمين هناك في مواجهة ما عرف بمبدأ (كالفو) الفقيه

⁽⁶⁸⁾ محمد صفي الدين طربوشي، العولمة ودراسة العلوم السياسية في الجامعات العربية، مجلة المجتمع، العدد 3، القاهرة، أبريل 2000، ص34.

⁽⁶⁹⁾ مصطفى مجدي الجمال، تأصلات في أيديولوجيا التدخل الإنساني، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص137. (مجموعة باحثين)

⁽⁷⁰⁾ المصدر نفسه، ص138.

الأرجنتيني في منتصف القرن التاسع عشر والقاضي بعدم شرعية تدخل الحكومات الأجنبية في شؤون القارة، حتى إن تعرض الأجانب لمعاملة غير عادلة لأن التدخل يعني انتهاك السيادة الوطنية للدول المضيفة⁽⁷¹⁾. ومع ذلك ظلت الدبلوماسية الأمريكية على وعي كامل بدورها المتناقض في هذا الشأن وحرصت على قصر عدم تدخلها على أوروبا، بينما حرصت بشدة أن ينسحب هذا المبدأ بالقدر نفسه على حق التدخل الأمريكي فبالرغم من توقيعها عام 1993 على اتفاقية مونتفيدو بشأن حقوق وواجبات الدول التي أبرمتها الدول الأمريكية ونصت على عدم أحقية التدخل من جانب أية دولة في الشؤون الداخلية والخارجية لدول أخرى، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تحفظت على مأسمتها الحقوق المكتسبة من قانون الأمم المتحدة المعترف به بشكل عام⁽⁷²⁾. وفي هذا السياق يمكن فهم مبادئ عديدة حاولت القوى العظمى إرساءها قواعد حاكمة في العلاقات الدولية، ومن أمثلة ذلك مبدأ ايزنهاور الذي حدد الاستراتيجية الأمريكية بعد أزمة قناة السويس عام 1956 والذي فرض بمقتضاه الكونغرس الأمريكي صلاحية استخدام القوة العسكرية لضمان التكامل الإقليمي والاستقلال السياسي لأي دولة في الشرق الأوسط تتعرض لتهديد من أي مصدر تدعمه الشيوعية الدولية⁽⁷³⁾، كذلك مبدأ برجنيف في أعقاب تدخل الاتحاد السوفيتي في جيكوسلوفاكيا عام 1968 لمنع أي انسلاخ من الكتلة الشيوعية.

(71) المصدر نفسه، ص139.

(72) محمد محمود ربيع، د.إسماعيل صبري مقلد (محرران)، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1996، ص696-697، نقلاً عن: مصطفى مجدي الجمال، المصدر نفسه، ص139.

(73) Boutwell Jeffrey (Reporter) and Pugwash Workshop Intervention Sovereignty and International Security, Como, Italy, Sep. 2000, P.24.

نقلاً عن: مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص139.

ب- المبدأ والممارسة:

لعل القرن العشرين هو الذي أدخل في فقه القانون الدولي الثابت من الاتفاقيات والأعراف الجديدة التي حاولت تنظيم العلاقات بين الدول بما في ذلك تلك العلاقات الدموية والعنيفة في صورة الحروب والنزاعات، غير أن التاريخ يقول إن القانون الدولي الإنساني أعمق من ذلك بكثير⁽⁷⁴⁾، فكانت نظرية الحرب العادلة التي صاغها توما الاكويني. ومن المحطات الهامة اتفاقية جنيف 1864 التي تتعلق بحياة الأجهزة الطبية وتقديم المساعدة واحترام الأطقم الطبية التي تضع شارة الصليب الأحمر، ثم اتفاقية لاهاي 1899 التي أخضعت الحرب البحرية لاتفاقية جنيف آفة الذكر. ومنذ ذلك الحين توالت الاتفاقيات والمواثيق والإعلانات ذات الطابعين الخاص والعام، فكانت الاتفاقيات الخاصة بجرائم إبادة الجنس البشري وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية مكافحة العبودية والاتجار بالمختبرات والأشخاص والعمل القسري ومكافحة التمييز العنصري وحماية الأجانب واللاجئين وعديمي الجنسية وغيرها، فضلاً عن المواثيق ذات الطابع العام مثل حقوق الإنسان والعهديين الدوليين للحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية⁽⁷⁵⁾. وبذلك فإن للقانون الدولي الإنساني أبعاداً متعددة أكثر عمقاً في إطار عام من ازدهار الثقافة المناصرة لحقوق الإنسان واحترام كرامته ومحاولة تنظيم علاقة الفرد بالدولة والعلاقات بين الدول على أسس العدل والتوازن وحماية مستقبل الحياة البشرية⁽⁷⁶⁾. وقد حرصت الدول على أن تضع في دساتيرها ما يفيد احترامها لحقوق الإنسان وظل الاتجاه العام هو ان الدولة الوطنية هي الضامن الأول لهذه الحقوق. إلا ان ظهور مفاهيم جديدة

(74) عامر الزمالي، مدخل إلى القانون الدولي الإنساني، منشورات المعهد العربي لحقوق الإنسان واللجنة الدولية للصليب الأحمر، تونس، 1997، ص142.

(75) حقوق الإنسان في القوانين والتشريعات الدولية، في جلال عبد الله معوض: موسوعة أحداث القرن العشرين، ج2، دار المستقبل العربي، 2000، ص93.

(76) المصدر نفسه، ص93.

مثل الجرائم ضد الإنسانية وهي لا تشترط بالضرورة وقوع صراع مسلح، ووضع هذه المفاهيم في صورة قواعد واتفاقيات دولية، وكذلك تشكيل محكمتين دوليتين جنائيتين خاصتين بقرار من مجلس الأمن الدولي لملاحقة مجرمي الحرب في رواندا ويوغسلافيا السابقة كانا تطورين مهمين في هذا المضمار، حيث تم رفع المركز القانوني للأفراد إلى نطاق القانون الدولي⁽⁷⁷⁾. وكان التطور الأشد أهمية هو تشكيل محكمة الجنايات الدولية التي أصدرت أول قرار لها في 2009/3/4 بتوقيف ومحاكمة الرئيس السوداني بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية في إقليم دارفور في السودان⁽⁷⁸⁾.

إن الكثير من هذا التراث القانوني الإنساني الآخذ في الاتساع والتعمق لم يكن من السهل تطبيقه بمعيار واحد وبدقة في كل المجالات والمدد المختلفة ولكنه مورس في أغلب الحالات على وفق المصالح الخاصة بكل مجموعة دولية منخرطة في الصراع الدولي على وفق معاييرها الذاتية. ولقد تواترت حالات التدخل الأجنبي في الدول الأخرى، رفعت جميعها رايات إنسانية غير ان انتهاء الحرب الباردة وتحدد حلف شمال الأطلسي (الناتو) أديا إلى أن أصبحت الساحة الدولية مهياة لتعميق مفهوم هذا التدخل وممارسته على الأرض، سواء كان ذلك بموافقة المنظمة الدولية أم بدونها. مع الإشارة إلى ان حقوق الإنسان في الدول العظمى أبان الحرب الباردة كانت فوق كل مساءلة ولا تلجأ تلك الدول إلى ردع حلفائها أو تعديل سلوكهم إلا في الأوقات التي تنذر بانفجارات غير محسوبة⁽⁷⁹⁾.

وفي الممارسات فإن تاريخ البشرية حافل بحروب التدخل ودلالاتها ومن هذه الحروب قد تماشت وتداخلت مع الحروب العالمية والإقليمية وحتى النزاعات

⁽⁷⁷⁾ أحمد عبد الحليم، حرب البلقان والدوافع السياسية والاستراتيجية للناتو، ملف الأهرام الاستراتيجي، نقلاً عن: مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص143.

⁽⁷⁸⁾ الباحث.

⁽⁷⁹⁾ مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص143.

المحلية، معظم هذه الحروب أو جلها قد رفع شعارات إنسانية إلا ان التدخل المباشر بالمفهوم الحديث قد دشن في حقيقة الأمر مع توسيع الولايات المتحدة وبريطانيا لحرب تحرير الكويت عام 1991 لتدخل مرحلة تدمير العراق واحتلاله بتأمر واضح على البلاد من النظام الدكتاتوري الذي تعد حصاراً اقتصادياً على الشعب بقسوة متناهية، وبعد ذلك كانت عملية استعادة الأمل في الصومال تحت راية الأمم المتحدة ولكنها فشلت بسبب تدخل القوات الدولية بالحرب الأهلية ثم جاءت بعد ذلك حملة القصف الوحشي في يوغسلافيا السابقة، وكانت السابقة الأولى في التاريخ الحديث لممارسة حق التدخل بدعوى حماية الأقلية الألبانية⁽⁸⁰⁾. وكانت النتيجة هي تدمير مقدرات الشعب العربي وتفاقم الكارثة الإنسانية للألبان أنفسهم فضلاً عما تركته هذه العملية من أثر سلبي غير مباشر، حيث أشاعت في المناخ الدولي الإحساس بأن قانون القوة هو الأعلى صوتاً في العلاقات الدولية⁽⁸¹⁾. ومن ثم أصبح بإمكان قوى إقليمية الاعتداد بذلك وأن تمارس الحق نفسه للتدخل في شؤون الآخرين أو تأديب الأقليات على أراضيها⁽⁸²⁾.

ج- السيادة الوطنية للدول:

لاشك أن الزخم الايديولوجي الذي رافق عملية مايسمى العولمة قد أسهم بدور كبير في إشاعة مبدأ التدخل الإنساني، وقد كانت الطروحات المواكبة لعملية العولمة على وعي عميق بمصالحها، فصبت معظم طاقاتها على مبدأ السيادة الوطنية للدول

(80) مالك عوني، الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وموقعها من السياسة الخارجية الأمريكية، السياسة الدولية، العدد 127، القاهرة، يناير 1997.

(81) مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص146.

(82) محمد حيدر، مقولة السيادة الوطنية بعد الحرب الباردة- الدولة الهالكة، مجلة الطريق، بيروت، 2000.

المستقرة إلى حدٍ بعيدٍ في كل من القانون الدولي والعلاقات الدولية⁽⁸³⁾. وتأخذ العولمة أبعاداً وتجليات سياسية وعسكرية وثقافية وإعلامية تعمل في تساقق تام من أجل إرساء هيمنة الثالوث الرأسمالي العالمي (الولايات المتحدة الأمريكية، أوروبا الغربية، اليابان)، إذ هي تحتكر في المقام الأول المال والإعلام والتكنولوجيا والسلاح الفاتك بالبشر، والسيطرة على منظمات الجماعة الدولية. وبيت القصيد في عملية العولمة هذه هو تفكيك وشائج السيادة الوطنية للدول المتوسطة والصغيرة بدرجات متفاوتة وعلى آجال مختلفة لصالح تايكونات كونية وفي الوقت نفسه لصالح سلطات تحت مركزية ومقننة تنشأ بفعل العولمة نفسها ولفائدتها⁽⁸⁴⁾، فحينما –وأينما– تتعارض الحدود المفتوحة مع مصالح المراكز الرأسمالية المتقدمة تكون هذه المراكز هي أول من يغلق حدوده ويفرض الضوابط –وفي الوقت نفسه– العمل على الحد من السيادة الوطنية للدول المتوسطة والأخيرة في الوقت الذي تتفاقم قوة الدولة في المراكز الثلاثة إلى حد بعيد بالرغم من كل الادعاءات⁽⁸⁵⁾.

إذاً في مقابل مبدأ سيادة الدولة الذي استقر بوصفه أحد أسس الأمن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية أصبحنا أمام نظام عالمي جديد يعطي الأولوية المطلقة لحرية السوق والمشروع الخاص مع تسخير مسميات مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان في خدمة ذلك، أي استخدام وظيفي لتسوية التدخل في شؤون الدول القائمة في أطراف النظام الدولي الرأسمالي⁽⁸⁶⁾. ومن المبررات التي تقدم في هذا الصدد أن العالم أصبح يعاين أخطاراً جديدة بعد انتهاء الحرب الباردة تتمثل في الإرهاب والمخدرات

(83) أسامة أمين الخولي (محرر) في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 31. (مجموعة باحثين)

(84) منير الحمش، الطابع المزدوج الذي تفرضه العولمة على الدولة الوطنية، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص 168.

(85) مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص 153.

(86) مصطفى أمين، التدخل الإنساني ضد الإنسانية- الطريق، بيروت، أكتوبر 2000، نقلاً عن: مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص 145.

والهجرة البشرية غير المسيطر عليها وتآكل البيئة وتدهورها وانتشار الجريمة المنظمة وتعاضم تهديدات الأمراض والأوبئة وعالمية هذه الأخطار تتطلب بالضرورة مقاومة عالمية مبنية على أسس ديمقراطية لاتعرف التمييز أو الاستغلال وعلى الرغم من ادعاءات النيوليبرالية بأن هدفها الأول هو لا تسييس للاقتصاد، فإن سياساتها دأبت على نقل صناعة القرار الاقتصادي والاجتماعي- حتى على المستوى الجزئي- إلى طاولة التفاوض مع مؤسسات فوق قومية مزعومة الحياد والضبط المالي، بل إن بعض التنظيمات الأصلية والمحلية في البلدان الأقل نمواً أصبحت تقوم بوظائفها الدولة نفسها. ومع ذلك يجب ملاحظة أن هذا اليتيم في الغالب في إطار حركات اجتماعية تروج لأيديولوجيات وافدة تعود إلى منظمات المجتمع المدني في الشمال، ولقد أصبح جلياً زيف الادعاء بحياد المنظمات العالمية وخبرائها⁽⁸⁷⁾.

إن مفهوم سيادة الدولة وحقوق الإنسان الفردية قد تطور معاً بشكل تكاملي منذ قرون ولكن الجديد هو مفهوم الأمن الجماعي الذي نشأ مع عصبة الأمم عام 1919 ومن الصحيح أن السيادة لم تكن أبداً مفهوماً اطلاقياً مغلقاً، وحتى تكون السيادة إيجابية فإنها يجب أن تقوم على التوازن بين المناطق والجماعات والأفراد في إطار الدولة الوطنية⁽⁸⁸⁾، ولكن لا يمكن أن يتحقق الأمن الجماعي في ظل اختلاف أو غياب التوازن على المستوى الدولي نفسه بين سيادات آخذة في الضعف أو التعرض للإضعاف المخطط وبين سيادة دول عظيمة آخذة في التوحش وإن لبست رداء الحمل⁽⁸⁹⁾.

(87) جان قوسي، دولة الحد الأدنى ومساراتها الخفية، مصر والعالم العربي، العدد 5، القاهرة، يونيو 1995، نقلاً عن: مصطفى مجدي الجمال، مصدر سابق، ص 149.

(88) المصدر السابق، ص 150.

(89) أحمد الرشدي، حول بعض إشكاليات حقوق الإنسان/ الديمقراطية، العدد 2، القاهرة، 2000، ص 23.

ويرى المفكر العربي محمد سيد أحمد أن نظاماً دولياً يقوم على هذه الأسس المختلفة لا يمكن له الاستمرار بذات المواصفات نفسها طويلاً لأنه لا يمت للنظام بصلة، بل انه نقيض فكرة النظام ويصبح شيئاً أقرب إلى التكتيك وليس الاستراتيجية وإن السيولة الراهنة في العلاقات الدولية جعلت اللعبة الدولية بلا حكم، ويكاد يترحم على ضوابط الحرب الباردة التي قامت على الروائع المتبادلة وحيث كانت الدول العظمى تعرف حدودها⁽⁹⁰⁾.

ويبدو ان من أخطر ما جلبته العولمة نزعتها إلى تفنيت الأمم والتكتلات القومية خارج المركز الرأسمالي العالمي في الأطراف على أسس عرقية وطائفية وجهوية حيث يسهل عليها دمج هكذا كيانات في السوق العالمية ورغم أن نزعة التفنيت هذه ليست جديدة تماماً فإنها أصبحت ممكنة في ظروف انهيار التعدد القطبي في العالم⁽⁹¹⁾.

ثانياً- الآليات الاقتصادية:

تتحكم قوى العولمة بالاقتصاد العالمي من خلال مجموعة وسائل هامة

ومؤثرة هي:

- 1- منظمة التجارة العالمية.
- 2- مؤسسات بريتون وودز.
 - أ- صندوق النقد الدولي.
 - ب- البنك الدولي.
- 3- الشركات متعددة الجنسية.

⁽⁹⁰⁾ محمد سيد أحمد، هل الأمم المتحدة فقط لملء الفراغ، السياسة الدولية، العدد 2، القاهرة، أكتوبر 1995، ص 23.

⁽⁹¹⁾ حسنين توفيق إبراهيم، العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية، عالم الفكر، م 8، العدد 2، الكويت، أكتوبر-ديسمبر 1999، ص 64.

4- المنتدى الاقتصادي العالمي (دافوس).

1- منظمة التجارة العالمية:

أ- إنشاء المنظمة: نشأت منظمة التجارة العالمية المعروفة اختصاراً بكلمة (WTO) في أبريل عام 1994 في اجتماع مراكش في المغرب ودخلت اتفاقياتها حيّز التنفيذ في 1/1/1995 بعد أن تمخضت عن المراحل النهائية لمفاوضات أورغواي الثامنة في إطار اتفاقية الجات، وفكرة هذه المنظمة وإنشاؤها ليست جديدة وإنما تعود إلى بدايات القرن العشرين عندما اقترح (كورديل هل) عضو مجلس النواب الأمريكي أثناء الحرب العالمية الأولى إنشاء مثل هذه المنظمة، غير انها لم تنشأ وأعيد طرحها مجدداً في المؤتمر الاقتصادي العالمي عام 1927 والمؤتمر السابع للدول الأمريكية عام 1933 وبعد ذلك جدد الفكرة الرئيس الأمريكي (روزفلت) ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل من أجل تمكين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من الوصول إلى المواد الخام الأولية وراء البحار⁽⁹²⁾، وكان المخطط أن تنشأ المنظمة الدولية للتجارة بمقتضى ميثاق هافانا عام 1948 لكن عدم عرض المشروع على الكونغرس من قبل الرئيس الأمريكي (ترومان) أصاب الفشل ذلك المشروع وظلت الدول الرأسمالية تفكر في ولادة مثل هذا المشروع ومحاولة تحفيز الولايات المتحدة الأمريكية للتوقيع عليه، فكان أن بدأت مناقشات في نيويورك تم التوصل فيها إلى التفاهم بشأن نصوص اتفاقية سميت اتفاقية الجات بدلاً من إنشاء منظمة دولية للتجارة ودخلت حيّز التنفيذ عام 1948 بتوقيع 23 دولة⁽⁹³⁾.

وقد عُدت اتفاقية الجات (الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية) المحفل الدولي المعني بشؤون المفاوضات التجارية المتعددة الأطراف فضلاً عن انها محكمة لتسوية الخلافات التجارية بين الأطراف المتعاقبة. وعقدت منذ عام 1948-1986 ثمان

⁽⁹²⁾ كامل أبو صقر، العولمة التجارية والإدارية والقانونية، سلسلة العولمة والاستثمار (1)، منشورات دار الوسام، بيروت، 2000، ص405.
⁽⁹³⁾ نقلاً عن: أحمد جامع، العلاقات الاقتصادية الدولية، ج1، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1979، ص289.

جولات من المفاوضات التجارية المتعددة الأطراف ضمن اتفاقية الجات، كان آخرها جولة الأورغواي التي بدأت عام 1986 وانتهت عام 1993 شارك فيها ممثلو (107) دول وعند التوقيع وصل إلى (117) دولة. وكانت النتائج النهائية لجولة أورغواي هي صدور 28 اتفاقاً كان أهمها اتفاقية تأسيس منظمة التجارة العالمية في 1995/1/1 بانتساب (130) دولة⁽⁹⁴⁾.

ب- الفلسفة الاقتصادية للمنظمة:

1) كانت فلسفة الخطاب الذي سيطر على جلسات جولة أورغواي هي حرية التجارة التي تركزت على إزالة الفكر الحمائي بإزالة جميع الحواجز والقيود الجمركية التي تحد من حرية التجارة فكان ذلك أساس الدعوة إلى قيام المنافسة التسويقية والنفوذ إليها⁽⁹⁵⁾.

2) تمثلت الفكرة الأساسية ذات الاستلهام السكسوني في أن تحرير التجارة الدولية أمر محبب لأنه يشجع التقسيم الدولي للعمل أي تخصص كل بلد في النشاط الأكثر تهيؤاً له الأمر الذي يلزم معه القضاء على كل عائق للتبادل التجاري وقامت المنظمة على أساس مبدئين:

المبدأ الأول: الإحاطة الوطنية للواردات الأجنبية بالقضاء على كل تمييز ضمن

الواردات الأجنبية.

⁽⁹⁴⁾ منظمة التجارة العالمية وأثرها على الاقتصادات العربية، أوراق عربية، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، العدد 4، بغداد، 1998، ص2-3.
⁽⁹⁵⁾ د.فلاح سعيد جبر، اتفاقيات الغات ونظام الايزو وأثرها على الأمن الغذائي والصناعات الغذائية في الوطن العربي، الاتحاد العربي للصناعات الغذائية، 1996، ص59.

المبدأ الثاني: مبدأ شرط الدولة الأولى بالرعاية ومقتضاه ان تستفيد كل دولة في الاتفاقية من أية مزايا خاصة بتحرير التجارة الدولية تمنحها دولة عضو لدولة أخرى بمقتضى اتفاق ثنائي بينهما⁽⁹⁶⁾.

3) كانت النقلة الكيفية في الاتفاق على تحرير التجارة الدولية من خلال مفاوضات أورغواي 1986-1993 شهدت اتجاهاً نحو التكيف المتزايد لعالمية تقسيم العمل الرأسمالي الدولي الجديد القائم على تقسيم العمليات المختلفة اللازمة لإنتاج ناتج واحد بين بلدان متعددة، تقوده الشركات دولية النشاط وهي تحقق مزيداً مستمر من درجة تمركز رأس المال على الصعيد العالمي⁽⁹⁷⁾.

4) في مفاوضات أورغواي ظهرت مسألة أساسية، تم معارف بالتأثير المتبادل في ناحيتين مهمتين:

أ- الضغط نحو الليبرالية الجديدة على الصعيد الدولي من جانب رأس المال الدولي تقوده الشركات دولية النشاط الأمر الذي يتعين ضم اقتصاديات عالمية أخرى وتركز هذا الضم على جنوب شرق آسيا.

ب- الأهمية المتزايدة للتجديدات التكنولوجية في النشاط الاقتصادي بوصفه أساساً لاكتساب مزايا نسبية جديدة خاصة في مجالات التكنولوجيا الأمامية الأمر الذي يضاعف من فرص المساس بالمزايا المكتسبة من قبل، ومن هنا جاء الحرص من جانب مهندسي اتفاقية منظمة التجارة العالمية على إبراز أهمية توحيد السياسات الحكومية وهو توجيه يكون بطبيعة الحال لمصلحة الأقوى اقتصادياً وتكنولوجياً⁽⁹⁸⁾.

⁽⁹⁶⁾ د. محمد دويدار، المنظمة العالمية للتجارة فلسفتها الاقتصادية وأبعادها القانونية، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص 29. (مجموعة باحثين)

⁽⁹⁷⁾ المصدر نفسه، ص 32.

⁽⁹⁸⁾ محمد دويدار، المصدر نفسه، ص 33.

جـ الأبعاد القانونية لاتفاقية منظمة التجارة العالمية:

1. حلت منظمة التجارة العالمية محل اتفاقية الجات التي عملت مراقباً مؤقتاً للتجارة العالمية منذ عام 1947 ولحين إنشاء المنظمة عام 1994 فأصبحت المنظمة بذلك مؤسسة قانونية ودستورية لنظام تجاري عالمي، وهي هيئة دائمة أقرت من قبل الحكومات⁽⁹⁹⁾.
2. حسب الفقرة (4) من المادة (2) من اتفاقية منظمة التجارة العالمية أصبحت الاتفاقيات والإجراءات القانونية كافة المقترنة بها جزء من اتفاقية إنشاء المنظمة وهي ملزمة لجميع الأعضاء والدول التي ستتنضم إليها فيما بعد⁽¹⁰⁰⁾.
3. حسب الفقرة (5) من المادة (3) من الاتفاقية فإن أعمال التنسيق والتعاون قد اقتصر على كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والوكالات التابعة لهما⁽¹⁰¹⁾.
4. بعد مفاوضات الجات في جولة أورغواي تم تبني إعلان (بوننادست) الذي ينص على تحمل الدول النامية التزامات تتعارض مع خططها التنموية والاقتصادية وعدم إلزام الدول النامية بالكامل ما لا بد أن تلتزم به الدول المتقدمة⁽¹⁰²⁾.
5. في الوقت نفسه فإن الدول المتقدمة زادت من استعمالها للقيود غير الجمركية بهدف الحد من دخول بعض السلع لأسواقها إذ ان نتائج مفاوضات أورغواي

(99) المصدر نفسه، ص34.

(100) المصدر نفسه، ص34.

(101) برهان محمد نوري، آفاق التطورات الاقتصادية الدولية المعاصرة، العولمة وتحرير

التجارة، بيت الحكمة، بغداد، 1999، ص86.

(102) المصدر السابق، ص87.

أظهرت أنها تقييدات جديدة لحركة الاقتصاد للدول النامية بشكل يرغمها على التخلي عن بعض قراراتها الاقتصادية لصالح القرارات العالمية⁽¹⁰³⁾.

6. إن منظمة التجارة العالمية التي انبثقت في العقد الأخير من القرن العشرين تعد الركيزة الثالثة للنظام الاقتصادي الدولي الجديد مكتملة لأثر كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في تحويل الاقتصاد العالمي إلى اقتصاد معولم.

2- مؤسسات النقد الدولي- بريتون وودز:

أولاً- **النشأة:** ظهر نظام النقد الدولي بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة ما أحدثته هذه الحرب من دمار وفوضى حدث بالدول الغربية إلى التفكير بإعادة وتنظيم مادمته الحرب في مختلف الميادين فكان أن توصل الحلفاء (وهي الدول المنتصرة في الحرب) إلى إنشاء منطمتين دوليتين في مجال العلاقات النقدية والمالية الدولية بدعوة من الولايات المتحدة الأمريكية لعقد مؤتمر حضرته وفود من (44) دولة وهو (المؤتمر النقدي والمالي) المعقود في مدينة بريتون وودز في ولاية نيوهامشر شمال الولايات المتحدة الأمريكية وكانت نتيجة هذا المؤتمر الذي انتهت أعماله في 22 تموز 1944 الاتفاق على إنشاء مؤسستين هما⁽¹⁰⁴⁾:

أ- صندوق النقد الدولي لتنظيم العلاقات الدولية.

ب- البنك الدولي للإنشاء والتعمير لتنظيم العلاقات المالية الدولية.

⁽¹⁰³⁾ د. محمد صفوت قابل، مؤتمر سياتل والمكسب والخسارة في تحرير التجارة، مجلة أخبار النفط والصناعة، الإمارات العربية المتحدة، س38، ع354، آذار 2000.

⁽¹⁰⁴⁾ نقلاً عن: أحمد جامع، العلاقات الاقتصادية الدولية، ج1، النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1979، ص289.

وتقرر أن يكون مقر هاتين المؤسستين في العاصمة واشنطن بناءً على توجيه الرئيس الأمريكي آنذاك ترومان للوفد الأمريكي قائلاً (ان هذا الاختيار لمدينة واشنطن هو توجيه مطلق لا يمكن أن يحدوا عنه تحت أي ظرف من الظروف)⁽¹⁰⁵⁾.

أ- **صندوق النقد الدولي**: كان الهدف من إنشائه تثبيت الأوضاع النقدية في التطلع إلى اقتصاد مفتوح عالمي في ظل غياب قاعدة الذهب التي كانت قد قامت بهذه الوظيفة منذ الحرب العالمية الأولى، وكان الهدف المعلن من إنشاء الصندوق هو تشجيع التعاون النقدي الدولي والعمل على تحقيق النمو المتوازن في التجارة الدولية وتجنب فرض القيود على المدفوعات الخارجية والوصول إلى نظام دولي متعدد الأطراف للمدفوعات والعمل على تثبيت أسعار تبادل الصلات بين الدول الأعضاء⁽¹⁰⁶⁾، وتخضع القرارات في الصندوق الدولي إلى نظام التصويت ويتوقف عدد الأصوات على نسبة مساهمة الدولة في رأسماله، وبناءً عليه فالدول الغربية تمتلك 62.3% من الأصوات أما الولايات المتحدة فتملك 20% من الأصوات⁽¹⁰⁷⁾.

ب- **البنك الدولي ومؤسسات التمويل الدولية**: هو المؤسسة الثانية التي انبثقت عن مؤتمر بريتون وودز عام 1944 وأنشئت إلى جانبه مؤسسات مالية دولية أخرى هي بنك التسويات المالية ومؤسسة التمويل الدولية ووكالة التنمية الدولية⁽¹⁰⁸⁾.

ثانياً- الوظيفية وآليات العمل والأهداف:

⁽¹⁰⁵⁾ أحمد جامع، المصدر نفسه، ص89.

⁽¹⁰⁶⁾ د.سمير أمين، في مواجهة أزمة عصرنا، سينا للنشر، القاهرة، ومؤسسة الانتشار، بيروت، 1997، ص38.

⁽¹⁰⁷⁾ د.رياض المؤمني، صندوق النقد الدولي وأزمة المديونية العالمية، مجلة اليرموك، ع37، الأردن، 1989، ص44.

⁽¹⁰⁸⁾ د.سمير أمين، المصدر السابق، ص40.

كلف البنك الدولي مستر بيرسون وضع تقرير حول مسألة التنمية والاستثمارات الأجنبية وقد رسم هذا التقرير لأول مرة وبشكل محدد وعلى أساس عالمي الأسس المطلوب توافرها بالبلاد الممثلة في صدد تعاملها مع الاستثمارات الأجنبية الخاصة، وقد عرفت فيما بعد بمبادئ بيرسون⁽¹⁰⁹⁾ وأهمها:

- (1) على الدول المتخلفة البدء فوراً في تحسين المناخ العام بالنسبة للاستثمارات الخاصة المحلية والأجنبية.
- (2) منح الاستثمار الأجنبي امتيازات ضريبية وتقديم الأراضي بأسعار رخيصة.
- (3) توقيع اتفاقية لضمان وحماية الاستثمارات الخاصة المحلية والأجنبية.
- (4) تطوير قوانين الشركات لتحقيق درجة أكبر من الانفتاح بالمشروعات المحلية والأجنبية ودعم تنمية سوق رأس المال المحلي.
- (5) السماح للشركات الأجنبية بالاقتراض من أسواق رأس المال المحلي.
- (6) تصفية القطاع العام ونزع مضمونه الاجتماعي⁽¹¹⁰⁾.

وفي ضوء هذه المبادئ صاغ البنك الدولي سياسته وبرامجه وتوجيهاته معاً مع سياسة صندوق النقد الدولي ليشكلا متحدين الجهد المشترك للرأسمالية العالمية وقد قدمت هذه المبادئ إلى البلدان النامية والمتخلفة على شكل نصائح تضمنت تشجيع السياسات المتجهة للتصدير التخلي عن نزعة حماية الصناعات المحلية وإلغاء الدعم الحكومي للأسعار وتخفيض عجز الميزانية والتخلص من القطاع العام عن طريق الخصخصة.

كانت سياسة كل من صندوق النقد والبنك الدوليين في ظل الأوضاع المتغيرة اقتصادياً تؤديان أثراً مهماً في تأكيد وتثبيت السياسات الاقتصادية في ظل الاقتصاد

⁽¹⁰⁹⁾ د.رياض المؤمني، المصدر السابق، ص44.

⁽¹¹⁰⁾ ماذا يجري في العالم الفقير - شركاء في التنمية-، ترجمة: إبراهيم نافع، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص23.

المعولم فأصبحت وظيفة الصندوق تحديد مسار التغيير الذي يعد ملائماً للتنمية الاقتصادية الملائمة للاقتصادات الوطنية التي تكفل انسجام النشاط الاقتصادي على الصعيد الدولي⁽¹¹¹⁾، كما ينصب على تحقيق التحررية الاقتصادية طبقاً لرؤية البنك الدولي، وما رافقها من إجراءات وشروط مقيدة⁽¹¹²⁾، فضلاً عن ذلك أصبحت للصندوق أعباء إضافية بجانب دوره الأساس وذلك لقيامه بمتابعة برامج الإصلاح الهيكلي التي تعد من صميم عمل البنك الدولي⁽¹¹³⁾.

إن سياسة مؤسسات (بريتون وودز) المتبعة في ظل المتغيرات المتعددة تمثلت بإدخال برامج الإصلاح الاقتصادي في إطاره بهدف إزالة الاختلالات الدولية والخارجية في إطار تحرير الاقتصاد وتحويله إلى اقتصاد يعتمد على آليات السوق مما نجم عنه تدفق رؤوس الأموال بشكل كبير وسريع من مكان لآخر وتقتسم هذه المؤسسات تلك البرامج الإصلاحية بشكل يجعل عملها متكاملًا، فبرامج التثبيت المالي والنقدي تجري في الأجل القصير ويقوم عليها صندوق النقد الدولي، أما التكيف الهيكلي في الأجلين المتوسط والطويل فيتولاه البنك الدولي، وهذا يعني التكيف الاقتصادي وإعادة الهيكلة الاقتصادية أي قيام الدول التي تقبل بشروط البنك الدولي بتغيير أوضاعها على وفق أيديولوجيته وبالتنسيق بينهما يتم الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية⁽¹¹⁴⁾. ويوضح الدكتور أحمد جلال- الخبير الدولي، أن البنك الدولي بدأ سياساته الجديدة الرامية إلى تشجيع الخصخصة في

(111) د.آمال شلاش، سياسات ووسائل التنمية الاحتكارية- قراءة الآليات الاختراق والتدخل الاقتصادي، الندوة الفكرية السياسية الدولية من أجل عالم عادل وتقدم دائم، بيت الحكمة 5-7/ آذار/ 2000، بغداد، 2000، ص141.

(112) د.حميد الجميلي، آليات الهيمنة والاحتكار الجديدة، الندوة الفكرية السياسية الدولية من أجل عالم عادل وتقدم دائم، بيت الحكمة، بغداد، 2000، ص97.

(113) التقرير الاستراتيجي السوداني 1998، شركة الشاهد للخدمات الإعلامية، الخرطوم، مايو 1999، ص128، نقلًا عن: د.سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص57.

(114) سياسات صندوق النقد الدولي وآثارها على الأوضاع في اليمن، تقرير مجلة أوراق يمانية، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، صنعاء، 1999، ص18.

القطاع الخاص، وفي هذا الإطار تجمعت معالم سياسة تحرير التجارة واكتسب هذا التحرير زخماً خاصاً بالنسبة للنقد والعملات والأوراق المالية⁽¹¹⁵⁾. وعلى هذا الأساس تستطيع مؤسسات بريتون وودز ممارسة سيادتها والضغط على البلدان المكبلة بالمدىونية وأن تفرض على العالم كله نمطاً للتنمية هو الأكثر ملائمة واستجابة للمصالح الاحتكارية العالمية فضلاً عن الاحتفاظ بمعدلات غير متكافئة في تقسيم العمل الدولي بشكل لا يستجيب إلا لمصالح دول الشمال⁽¹¹⁶⁾. ودعماً لذلك تقوم الدول الصناعية المانحة للمساعدات والقروض بتعليق برامج مساعدتها مقتصرة على تقديمها للدول التي تتجه إلى الأخذ باقتصاد السوق وتطبيقه⁽¹¹⁷⁾.

3- الشركات متعددة الجنسية:

أ- **التسمية والمفهوم:** يقصد بالشركات متعددة الجنسية تلك الشركات التي تقود فعاليات وأنشطة تتجاوز الحدود القومية للدول لذا يدعوها البعض متعددة القومية أو فوق القومية وهي ليست متعددة الجنسية، إذ إن لها جنسية واحدة هي جنسية (الوطن الأم) ولكنها تعمل على نطاق عالمي في مرحلة تحول الرأسمالية من الرأسمالية القومية إلى رأسمالية ماوراء البحار ووراء الحدود القومية لدولها. وقد كان لهذه الشركات دور أساسي في هذا التحول فأصبحت المنظم المركزي للأنشطة الاقتصادية في اقتصاد عالمي يتزايد تكاملاً كما يقول تقرير الاستثمار في العالم⁽¹¹⁸⁾.

⁽¹¹⁵⁾ د.احمد جلال-الخبير الدولي، البنك الدولي يعيد هيكله سياساته، مجلة اقتصاديات السوق، شركة كندا للنشر والمعلومات المساهمة المحدودة، ص 2 ع 23، كانون الأول 1998، ص 43، نقلاً عن: د.سنا كاطم كاطم، ص 59.

⁽¹¹⁶⁾ روجيه جارودي، العولمة المزعومة، مصدر سابق، ص 23.

⁽¹¹⁷⁾ تقرير مجلة أوراق يمانية، مصدر سابق، ص 15.

⁽¹¹⁸⁾ د.منير الحمش، فرض جدول أعمال اقتصادي وسياسي على الدول الأجنبية، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصدر سابق، ص 128.

إن ظاهرة الشركات متعددة الجنسية ليست جديدة بل هي قديمة يمكن إرجاعها إلى القرن السابع عشر حيث وجدت شركات احتكارية عملاقة في مجال التجارة الخارجية مثل الشركة البريطانية للهند الشرقية وتدعى متعددة الجنسية كونها تتعدى الجنسيات والحدود القومية للدول ذات السيادة⁽¹¹⁹⁾. ولكن ازدادت هذه الظاهرة ووضوحاً بازدياد ظهور هذه الشركات في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية إذ استطاعت أن تتحول إلى قوة من القوى الحاكمة المتنفذة بمجرى التطورات الاقتصادية والسياسية في العالم المعاصر، فقد رافق ظهورها هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها للمبادرة الاقتصادية على صعيد عالمي، كما شهدت حقبة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين تطورات كبيرة دفعت بالرأسمالية نحو التوجه عالمياً متخذةً أشكالاً متعددة من بينها النفوذ المتنامي للمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسية التي تستعمل لتطوير اتجاهات الرأسمالية الجديدة⁽¹²⁰⁾، فهي لم تنشأ بسبب ظروف سياسية أو اقتصادية معينة بل تجسيدا لمبدأ الرأسمالية التوسعية الاستعمارية المتمثلة بتكريس رأس المال على صعيد عالمي عن طريق نشر نشاطاتها على الأصعدة العالمية المختلفة⁽¹²¹⁾.

ب- **النشاط:** لا تستقر الشركات متعددة الجنسية في البلد الأم وإنما تنطلق لتحقيق استثماراتها خارج حدود بلدها كونها قادرة على تحقيق معدلات ربح في الخارج أكثر من معدلات الأرباح داخل وطنها لذلك تبدو هذه الشركات وكأنها الوعاء المادي لشبكة معقدة من خلال الترابط بين مختلف النقاط البعيدة في العالم من خلال مد

⁽¹¹⁹⁾ د. أنطونيوس كرم، العرب أمام تحديات التكنولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مج59، 1982، ص98.

⁽¹²⁰⁾ د. سيد شوربجي عبد المولى، المتغيرات الدولية وانعكاساتها على الأمن العربي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1992، ص67، نقلاً عن: د. سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص70.

⁽¹²¹⁾ محمد السيد سعيد، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية، سلسلة عالم المعرفة، ع107، الكويت، تشرين الثاني 1986، ص34.

أذرعها الأخطوبوية لتصل إلى أبعد نقطة ممكنة يمكن الحصول فيها على أي حد من الربح⁽¹²²⁾.

لقد شهدت الشركات متعددة الجنسية توسعاً هائلاً خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين فقفزت من (7000) سبعة آلاف شركة عام 1970 إلى (37000) سبعة وثلاثين ألف شركة في عام 1995 تعمل من خلال (200.000) مئتي ألف فرع في أنحاء العالم، وتضاعفت مبيعاتها مرتين مابين 1980-1992 فزادت عن 2.4 تريليون دولار إلى 5.5 تريليون دولار⁽¹²³⁾، مثل شركة جنرال الكتريك التي تتجاوز الحجم الاقتصادي لكثير من البلدان، حيث يبلغ رقم مبيعاتها 70 بليون دولار، ويعزو رئيس مجلس الإدارة فيها ذلك إلى نتيجة التطور التكنولوجي الهائل حيث يبين أن مجال الأعمال يواجه تغييرات كبيرة في العقد الأول من القرن 21 أكثر مما واجهه في القرن السابق، إن الاتصالات تغير وجه العالم وطريقته في شراء وتوزيع السلع والخدمات مؤكداً أن نجاح هذه الشركات يعود إلى رفع الحواجز والقيود الجمركية⁽¹²⁴⁾.

و غالباً ماتنتهي المنافسة بين الشركات متعددة الجنسية بالاندماج أو التعاون أو بإحداث شركات تابعة مشتركة للقيام بنشاط معين كان موضوع منافسة شديدة وتخصص هذه الشركات أموالاً طائلة للبحث العلمي والتطوير وبرامج الإعلان الواسعة وتركز على إنتاج الأسلحة وتطويرها وتسويقها وتوفير عن طريق الإنتاج الجديد تمويلاً هائلاً يستخدم من جديد في مجال التطور التقني ولإنتاج سلع جديدة وخدمات مدنية⁽¹²⁵⁾. وللتدليل على مكانة الشركات متعددة الجنسية في الاقتصاد

(122) د. أنطونيوس كرم، مصدر سابق، ص 107.

(123) عبد الواحد العصفوري، العولمة والجات: التحديات والفرص، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 15.

(124) المؤتمر القومي العربي السادس، حال الأمة العربية، بيروت، نيسان 1996، ص 313.

(125) المصدر نفسه، ص 313.

العالمي (دون احتمال خطأ كبير) أن إيرادات هذه الشركات أكثر من نصف الناتج الإجمالي في العالم. أما قيمة الأصول فكانت 2.24 تريليون دولار وعدد العاملين فيها 8.300 مليون عامل وصافي الأرباح 452 مليار دولار⁽¹²⁶⁾.

وتتوزع أكبر الشركات متعددة الجنسية الخمسمائة حسب مجلة فورشين عام 1998 وفقاً لمقراتها القانونية على النحو الآتي:

- 1- الاتحاد الأوروبي: 150 شركة + سويسرا 12 شركة.
- 2- الولايات المتحدة الأمريكية: 175 شركة + كندا 8 شركات.
- 3- اليابان: 112 شركة + كوريا الجنوبية 12 وتايوان 1.
- 4- باقي دول العالم: الصين 4، الهند 6، البرازيل 5، المكسيك 2.

وتتوزع الإدارات العليا لهذه الشركات مثلثة بشيء من التقريب بين الأقطاب المتكافئة الثلاث الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان، أما الشركات التابعة فتنتشر إداراتها في أنحاء العالم⁽¹²⁷⁾.

وتستخدم الشركات متعددة الجنسية حكومات مقراتها الرئيسية من أجل الحصول على صفقات تجارية لدى الدول الأخرى وغالباً ما نجد رؤساء دول كبرى يزورون دول أخرى (خاصة النامية) يرافقهم أصحاب الشركات العملاقة لغرض عقد صفقة مع تلك الدول، وإلى جانب الزخم الحكومي تستخدم الشركات العملاقة شتى الأساليب للحصول على العقود بما في ذلك الرشاوى مما أسهم في انتشار الفساد وخفض من قوة الدول وهيبتها وقد تستخدم هذه الشركات إمكاناتها الهائلة لتدبير وتمويل انقلابات عسكرية أو إحداث اضطرابات في البلدان التي لا تتعاون معها⁽¹²⁸⁾.

⁽¹²⁶⁾ د. إسماعيل صبري عبد الله، في توصيف الأوضاع العالمية المعاصرة، أوراق مصر، 2002، منتدى العالم الثالث، القاهرة، بلا، ص 95.

⁽¹²⁷⁾ المصدر نفسه، ص 16.

⁽¹²⁸⁾ المصدر نفسه، ص 71.

لقد ازدادت الشركات متعددة الجنسية نمواً ونشاطاً وقوةً في فتح الأماكن جميعها أمامها وفي اكتسابها الحرية في المجالات المختلفة، الأمر الذي أدى إلى انتقالها إلى المستوى الكوني⁽¹²⁹⁾، واستخدمت أفضل التقنيات المتقدمة التي تجعل العالم بأسره سوقاً واحدة⁽¹³⁰⁾، فهي بما تمتلكه من شبكة واسعة من التفرعات والأنشطة المتعددة مكنتها من ممارسة أثر محوري على صعيد الاقتصاد العالمي وأصبحت ترى نفسها عجالات تسيرها العولمة الاقتصادية⁽¹³¹⁾، حيث تسعى الرأسمالية العالمية إلى المزيد من احتكار الاقتصاد العالمي، تلك الرأسمالية التي تتكون من الشركات متعددة الجنسية والفاعلين الجدد والمصارف العالمية التي أخذت الدول الرأسمالية تساندها وتعمل على توسيعها في إطار عملية الخصخصة والتي تؤدي إلى المساس بسيادة الدول الوطنية عن طريق فرض الليبرالية الاقتصادية الجديدة كلياً⁽¹³²⁾.

4- المنتدى الاقتصادي العالمي (منتدى دافوس):

لقد كان وراء هذه العملية الاقتصادية المتداخلة الأبعاد والمتعددة للأليات والوسائل العديد من الشخصيات العالمية البارزة في مجال الاقتصاد والمال والتجارة، وهذه المجموعة تشكل القوة المؤثرة والمحركة ليس فقط للعملية الاقتصادية فقط وإنما السياسية أيضاً، فهؤلاء هم (مديرو العالم حاضراً ومستقبلاً) كونهم صنّاع

(129) د. عبد الكريم كامل بوهات، الشركات متعددة الجنسية والعولمة، دراسة في التحولات الأساسية، العولمة والمستقبل العربي، سلسلة المائدة الحرة، بيت الحكمة، ع37، بغداد، 1999، ص80

(130) جلال أمين، العولمة والدولة، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص159.
(131) د. أسامة عبد الرحمن، تنمية التخلف، سلسلة ثقافة قومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص144.

(132) جورج قرم، الفوضى الدولية الجديدة، في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص100.

العولمة الجديدة، والمخططين لاقتصاد العالم عن طريق الأخذ بمفاهيم الليبرالية الجديدة⁽¹³³⁾.

فهؤلاء هم الفاعلون الجدد الذين يقومون بدعم العولمة والسير بها قدماً عن طريق القبض على جميع اللقاءات والاجتماعات الدولية التي تعقد في المنتدى الاقتصادي العالمي في (دافوس) بسويسرا والذي يجتمع في لقاءات سنوية للتفاوض والمناقشة في مختلف القضايا التي تشهدها الأوضاع الدولية⁽¹³⁴⁾. وفي اجتماعاتهم التي وقعت بداية عام 1997 جعلوا من العولمة أهم القضايا في مناقشاتهم وبحثوا كيفية توظيف الاقتصاد في خدمة السياسة بحيث يحقق هذه العملية بصورة أسرع⁽¹³⁵⁾.

لقد أصبح لهذا المنتدى أثراً كبيراً في توجيه صناعة القرار السياسي والاقتصادي في العالم وعلى أعلى المستويات ومن وراء الكواليس، فاللقاءات السنوية لرجال المال والأعمال في جميع أنحاء العالم أصبح له من القوة ما يستطيع التأثير بها بشكل كبير على أصحاب القرار وتوجههم بشكل يخدم اتجاهات هذا المنتدى ومصالح المجتمعين فيه نحو مزيدٍ من الانفتاح للأسواق العالمية وتوجيه الاقتصاد عالمياً محاولين جذب اهتمام الآخرين للعولمة عن طريق إبراز محاسنها بما لها من قدرة على التحول إلى عنصر فاعل وضاغط يرغم دولاً وشركات ومنظمات دولية على تعديل منهجها⁽¹³⁶⁾.

(133) سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي في الشرق الأوسط- مفاهيم عصر قادم، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1997، ص149.

(134) المؤتمر القومي العربي التاسع، حال الأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص156، نقلاً عن: د.سنة كاظم كاطع، مصدر سابق، ص79.

(135) نبيل شبيب، ندوة دافوس العالمية- عولمة الهيمنة، مجلة قضايا دولية، ص8 ع372، فبراير-مارس 1997، ص4.

(136) تقرير المؤتمر القومي العاشر، المستقبل العربي، ع255، بيروت، آيار 2000، ص116، نقلاً عن: د.سنة كاظم كاطع، مصدر سابق، ص79.

ثالثاً- الآليات الثقافية والإعلامية:

1- الآليات الثقافية:

أ- الأسس النظرية: في دراسة وضعت في الولايات المتحدة الأمريكية في سبعينات القرن العشرين لمكونات ماعرف بـ(الثقافية الإعلامية الجماهيرية) توصلت هذه الدراسة إلى نتيجة مفادها بأن ثقافة (الاختراق) التي تهدف إلى اختراق الأفكار والمكونات الثقافية للمجتمعات الأخرى تقوم على أسس وفرضيات ومسلمات أطلق عليها اسم (الأوهام)⁽¹³⁷⁾، وهي:

- 1) **وهم الفردية**: يعمل على تمزيق الشعور الجمعي ويبعد الفرد من الشعور بالجماعة أو المجتمع الذي يوجد فيه وعليه فإن الفردية تعني الدعوة إلى إلغاء السياق أو الإطار الاجتماعي مهما تكن طبيعة هذا الإطار وماهيته.
- 2) **وهم الخيار الشخصي**: ويكمن في طمس روح الجماعة والوعي الطبقي أو القومي واعتداد الفرد بشخصه لذاته فقط.
- 3) **وهم الحياد**: يعني عدم الالتزام بأية قضية وطنية أو قومية أو حتى أخلاقية ولايحرك ساكناً تجاه أي أمر يستوجب الاهتمام أو التضحية.
- 4) **وهم الاعتقاد بالطبيعة البشرية التي لا تتغير**: وهي بالدرجة الأساس ضد كل شيء اسمه الحركة أو التغيير حتى وإن كان مردود ذلك إيجابياً ولايعترف هذا النوع من هذه (الأوهام) بوجود الفوارق بين الأغنياء والفقراء أو أية فوارق أخرى بين الناس ويعتبر ذلك كأمر طبيعية، وبذلك يكرس الاستغلال وعدم المساواة.

⁽¹³⁷⁾ د.محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2000، ص302-303.

5) وهم غياب الصراع الاجتماعي: ويعني الاستسلام لجميع أنواع الاستغلال مهما كان مصدره كما يعني إلغاء الصراع بجميع أشكاله وتجميد الكفاح وغلق الأبواب أمام التغيير نحو الأفضل.

هذه الأوهام أسماها الدكتور محمد عابد الجابري بأيدولوجية (الفردية المستسلمة)⁽¹³⁸⁾.

ب- التطبيق: ولغرض وضع هذه المبادئ موضع التطبيق وتحقيق أفضل النتائج اتبعت قوى العولمة وسائل عديدة للتأثير في تفكير وقناعات المواطن العربي من أهمها:-

- 1) إشاعة مصطلحات جديدة ذات مضامين مختلفة تحل محل المضامين الأصلية التي تتصل بحياة وشخصية الأمة العربية وبعض البلدان الإسلامية وإسرائيل مثل مصطلح الشرق الأوسط، وكان الغرض من إشاعة هذا المصطلح واضح وهو إحلال تسمية الشرق الأوسط الذي يضم بعض الدول الإسلامية مثل إيران وأفغانستان وتركياً بدلاً من تسمية (الوطن العربي) ودمج إسرائيل به ومحو الصفة العربية عن قضية فلسطين لتصبح قضية (الشرق الأوسط)⁽¹³⁹⁾.
- 2) نشر أنظمة التعليم والفكر والمفاهيم الخاصة بالعولمة وتبني النموذج الغربي والأمريكي في المؤسسات التعليمية ومن ضمنها الجامعات⁽¹⁴⁰⁾.

⁽¹³⁸⁾ محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998، ص178-238.

⁽¹³⁹⁾ ناصر الدين الأسد، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن-عمان، 2000، نقلاً عن: د.عبد المنعم الحسني، العولمة والأمن الثقافي، في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج6، الكتاب الثقافي، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص51.

⁽¹⁴⁰⁾ المصدر نفسه، ص39.

3) نشر الأفلام السينمائية والتلفزيونية والأغاني الأجنبية والموسيقى ومحاولة جعل مضمونها يسود بالتدريج كنمط تفكير وسلوك للأفراد في الوطن العربي والدول النامية⁽¹⁴¹⁾.

4) تم الترويج لتجارة هذا النوع من السلع كالمطبوعات والأدب والموسيقى وأفلام السينما والتلفزيون حتى أصبحت التجارة الثقافية بالغة الأهمية من الناحية الاقتصادية كما يذكر تقرير برنامج التنمية البشرية للأمم المتحدة، حيث أشار هذا التقرير إلى أن تجارة هذه المواد زادت ثلاث مرات في قيمتها تقريباً خلال إحدى عشرة سنة، فقد كانت 67 مليون دولار عام 1980 وأصبحت (200) مليون عام 1991. وأخذ التركيز والاستقطاب يسود في الأسواق العالمية للمنتجات الترفيهية (الأفلام والموسيقى ومواد الجنس) وتهيمن عليها بشكل متزايد المنتجات الأمريكية، ومع أن الهند تعد أكبر منتج للأفلام في العالم إلا أن هوليوود استطاعت أن تصل إلى كل سوق وفاقته الهند اتساعاً وانتشاراً وتحصل على أكثر من (50%) من إيراداتها من الخارج بعدما كانت (30%) عام 1980، في حين نجد أن الأفلام الأجنبية في سوق الأفلام السينمائية في الولايات المتحدة الأمريكية لاتزيد نسبتها عن 3%⁽¹⁴²⁾.

ج- النتائج:

1) تبنت قوى العولمة هذه المبادئ وعملت فيها بشكل مبرمج وجاد لتحقيق تأثير قوى على أفكار وثقافات العالم، فقد قال بريجنسكي مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس كارتر أواخر السبعينات (تحتل الأفلام والبرامج التلفزيونية

⁽¹⁴¹⁾ ناصر الدين الأسد، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، المصدر نفسه، ص39.

⁽¹⁴²⁾ البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية لعام 1999، البحرين، ص33، نقلاً عن: د. عبد المنعم الحسني، مصدر سابق، ص49.

الأمريكية ثلاثة أرباع السوق العالمية ويشابهها في ذلك انتشار الموسيقى الشعبية الأمريكية، في حين تتوسع باستمرار دائرة الذين يقدرون التقليعات والملابس وحتى العادات الغذائية الأمريكية في جميع أنحاء العالم⁽¹⁴³⁾.

(2) لقد أثرت هذه الهجمة الإعلامية المكثفة في تفكير المواطن العربي وسلوكيته. وتلك حقيقة لا بد من مواجهتها. فقد ظهرت عناصر جديدة في التفكير والسلوك لدى المواطن العربي أبرزها مايسمى (الاغتراب) والنظرة الفردية والمادية والاستهلاك الترفي ويعني هذا أن الثقافة العربية تواجه تحدياً وخطراً يهدد مسلماتها بهدف شل قدرة الإنسان العربي على مواصلة التحدي⁽¹⁴⁴⁾.

(3) تتجه العولمة إلى بلورة ثقافة عالمية تتميز بخصائص مشتركة، وقد أثر سقوط الحواجز وتقريب المسافات بالاتصالات في تمكين الإنسان في أرجاء الكرة الأرضية من معرفة كل شيء بسبب تدويل الثقافة، فأصبحت العولمة الثقافية تشكل خطراً يتهدد الثقافة الوطنية، وتهدد نزعة القيم الأصلية وتغير صفات الثقافة المحلية إلى درجة تهيمشها⁽¹⁴⁵⁾.

(143) د. عبد المنعم الحسني، العولمة والأمن الثقافي، في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، الكتاب الثقافي، ج6، بيت الحكمة، بغداد، 2002، ص22.

(144) الباحث بالاتفاق مع رأي الباحثين الآخرين.

(145) أحمد مجدي حجازي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، نقلاً عن: د. عبد المنعم الحسني، مصدر سابق، ص58.

الفصل الأول
العولمة في ظل
التطور التقني

الفصل الأول العولمة في ظل التطور التقني

تمهيد:

يشهد العالم ثورة تقانية عارمة ستحدث تغييرات حادة وبشكل متسارع لم يشهده الإنسان من قبل على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية والعسكرية، ولكي يمكننا أن نستوعب ذلك لابد من التخلص من أسر التعريفات الضيقة لمصطلح (تقانة) والتي تحصره في شقه الفني (التكنيكي) بوصفه وسيلة لتطبيق "الاكتشافات أو الأساليب العلمية أو المعرفة المنظمة لإنتاج أدوات معينة". ولهذا فإن التقانة والتطور التقني هو عملية تتسع لتشمل الظروف السياسية والاجتماعية التي أفرزتها وهي تطور الجوانب المختلفة للسلوك الإنساني والاجتماعي في ما يخص تطبيقها. وفي هذا الإطار يصبح للتقانة ثلاثة أبعاد: البعد الفني (التكنيكي) والبعد التنظيمي والبعد الثقافي المعرفي الأخلاقي⁽¹⁴⁶⁾، فقد جاءت تقانة المعلومات لتضيف العديد من الأدلة التي تؤكد صحتها بعد أن أصبحت المعلومات والمعرفة أهم مصادر القوة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. ولم يعد العلم ابداعاً يقوم به فرد بل مشروعاً ضخماً لا تقدر على القيام به إلا المؤسسات، انه عمل مراقب ومنظم ومقيّد بضغوط السلطة بأنواعها. وفي هذا الإطار سنتدرج في عرض التطور التقني لعملية العولمة في الأبعاد السياسية والاقتصادية والفنية (التكنيكية) في المباحث الثلاثة القادمة.

⁽¹⁴⁶⁾ نبيل علي، ثورة المعلومات (الجوانب التقانية) في كتاب العرب والعولمة، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص104.

المبحث الأول

التطور على الصعيد السياسي

مرّت على المجتمع الإنساني مراحل عديدة في تطوره السياسي منذ عصور ما قبل التاريخ ودول المدن وفجر السلالات إلى الوقت الحاضر، وهي تطورات شملت الفكر السياسي وأنظمة الحكم والتنظيم السياسي الدولي والصراع المستمر على النفوذ والثروة ومصالح الدول، وقد تخللت هذه المراحل حروب مدمرة ذهبت بالملايين من البشر وشغلت هذه التطورات المفكرين والفلاسفة فوضعوا نظرياتهم السياسية وأفكارهم في آلاف المجلدات المكتوبة، بحيث لا يمكن لمبحث لا يتجاوز صفحاته الثلاثين مثل مبحثنا هذا أن يتسع لكل ذلك التطور إلا أن يتم تناوله بإيجاز غير مخل بطبيعته، لذلك رأينا أنه من المناسب تقسيم التطور على الصعيد السياسي إلى ثلاثة مراحل نعتقد أنها تغطي مساحة الزمن وتفي بهدف المبحث وهي:

المرحلة الأولى: من العصور القديمة إلى عصر النهضة.

المرحلة الثانية: من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية.

المرحلة الثالثة: من الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الحاضر.

المرحلة الأولى: من العصور القديمة إلى عصر النهضة

تاريخياً، تدرج الإنسان في مراحل متعددة قبل ولوجه حياة الاستقرار، حيث كان هائماً على وجهه لجمع قوته مما تحسن عليه الطبيعة من ثمار ونبات لا يعرف لغة محددة، واستغرق وقتاً طويلاً قبل أن يكتسب تجاربه البدائية مثل إشعال النار واستخدام القوس والسهم إلى أن تعلم مزايا العمل والحياة المشتركة مع أبناء جنسه، كما تعرف على تبادل السلع ومبادئ الاقتصاد القائم على الجماعة⁽¹⁴⁷⁾. وقد اكتشفت آثار كثيرة في بلاد ما بين النهرين فيما يعتقد علماء الآثار أنها قرى نشأت بحدود

(147) ديوسف حتي، المدينة رمز الحضارة، آفاق عربية، 1995/10/9، ص28.

5000 (خمسة آلاف سنة قبل الميلاد) وفي المتحف البريطاني رُقم تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد تشير إلى توصل الإنسان إلى إيجاد حلول هندسية لمشكلات حياتية مثل إقامة السدود وشق القنوات⁽¹⁴⁸⁾. لقد عرف الإنسان أنظمة الري منذ تحوله من العصر الحجري إلى العصر البرونزي أي في بداية تحوله إلى عصر فجر السلالات، وبموجب حتمية التطور للإنسان، فإن الأعمال الكبيرة لا بد أن تكون جماعية وبيتكر ويصنع أدوات العمل وهذا بدوره قاد إلى الحياة المشتركة والتعاون بين (الأسرة- القبيلة- القرية والمدينة). ومن هنا كانت الحياة المشتركة أساساً لبناء المجتمع البشري الأول⁽¹⁴⁹⁾ الذي قاد بدوره إلى اختراع وسائل التبادل، وتقسيم العمل الاقتصادي والاجتماعي، تنظيمياً أدى إلى نشوء دول المدن والممالك وبعد ذلك بدأ التفكير السياسي لضبط حركة المجتمع الناشئ ووضع القوانين التي تحكمه، ففي عصر الممالك والامبراطوريات تكون إرث ثقافي قابل للتراكم في وعي البشر بما يشكل ثقافة سياسية وتجارب في الحكم والسياسة⁽¹⁵⁰⁾، فقد قامت الدول والامبراطوريات وبنيت الحضارات في الصين والهند واليمن وبلاد سومر ووادي النيل واليونان ووجدت فيها أشكال الحكم ومجالس الشورى والدساتير والقوانين ومفاهيم العدالة والحرية والفضيلة⁽¹⁵¹⁾. ومن تلك النظريات ما كان لها أثر بارز وشكلت أساساً في التطور السياسي اللاحق، وهذا مانجده في الحضارة اليونانية مثلاً واضحاً للعصور القديمة.

الحضارة اليونانية:

(148) د. أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها، بغداد، 1978، ص145.
(149) ديفيد وجوان أوتيس، نشوء الحضارة، بغداد، 1988، ص231، نقلاً عن: د.ض.رغام عبد الله، تطور أنظمة الحكم والسياسة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2007، ص16.
(150) د. أحمد سوسة، مصدر سابق، ص157.
(151) أحمد سوسة، مصدر سابق، ص157.

بدأت الحضارة اليونانية في القرن السادس ق.م وعلى وجه التحديد بطاليس الذي عاش في 624-546 ق.م وهو أحد الحكماء السبعة، ولكن كانت هناك مرحلة سابقة له وهي المرحلة الأسطورية التي مثلها هزيود وهوميروس والتفكير فيها غامضٌ باهت يصور الطبيعة على أنها حية ماردة وأن الآلهة يعيشون في جبال الألب⁽¹⁵²⁾. أما المرحلة الثانية فقد تجاوزت المرحلة الأسطورية وبدأت في البحث عن أصل الوجود، ثم ظهرت الفيثاغورية نسبةً إلى فيثاغورس (572-497 ق.م) الذي قسّم الناس في اليونان إلى ثلاث طبقات هي: الفلاسفة والعمال والطبقة الحقيرة استناداً إلى أفعالهم حول ملعب أولمبياد. وعكست الفيثاغورية الروح اليونانية برمتها في أن النظر للسادة والتجربة للعبيد، وبعد ذلك ظهر الفكر السفسطائي بزعامة كليخس السفسطائي الذي جاء بنظرية (الحق للأقوى) والتي كان أثرها كبيراً في تاريخ الفكر السياسي وأنظمة الحكم في العصور اللاحقة، وبعدها بدأ عصر الحكمة في التفكير السياسي اليوناني ممثلاً بالفلاسفة الثلاثة سقراط وأفلاطون وأرسطو⁽¹⁵³⁾. ونظراً لما لأفلاطون وأرسطو من باع طويل في تأصيل النظريات السياسية نجد من المناسب أن نعرض فكرهما بشكل مختصر.

أولاً- أفلاطون:

ولد وعاش أفلاطون في أثينا في المدة (427-347 ق.م) وتلمذ على يد أستاذه سقراط وأخذ عنه فكرته الأساسية في الفلسفة السياسية وهي (الفضيلة هي

⁽¹⁵²⁾ د.محمد علي محمد ود.علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص56.
⁽¹⁵³⁾ المصدر نفسه، ص58.

المعرفة⁽¹⁵⁴⁾، له عدة مؤلفات أهمها كتاب (الجمهورية) جمع فيه معظم أفكاره السياسية تقريباً منها:

1- نشأة الدولة والمدينة: كان التنظيم السائد المعروف في زمانه هو دولة

المدينة City State ورأى أفلاطون أن افتقار الفرد إلى الآخرين بسبب عدم قدرته على سد احتياجاته هو السبب الرئيس لنشوء الدولة والمدينة. وتكلم بمثاليته المعروفة على ما أسماه (المدينة الفاضلة) التي تصورها، فذهب إلى أن حاجات الإنسان الطبيعية من القوت والمسكن والكساء هي التي تظهر التعاون وان التعاون يقتضي تقسيم العمل بين أصحاب المهن كل بحسب مواهبه الخاصة، وهكذا يستطيعون تشكيل المجتمعات لتعيش في مدن محددة يجلس فيها الناس على أسرة مصنوعة من السرو والآس راشفين الخمر مكللين بالغار معاشرين أزواجهم، ومع مرور الزمن يتكاثر الناس فيحتاجون إلى مناطق أخرى فيضطرون إلى فتح مناطق جديدة بواسطة الحرب ومن ثم يحتاجون إلى تشكيل جيش من الجنود المحترفين وتوفير العتاد الحربي ثم إلى عقل مدبر لهذه الأمور وهو الحاكم⁽¹⁵⁵⁾.

2- الحاكم: يتحدث أفلاطون عن ان الحاكم يجب أن يتصف ببعض الصفات

الفطرية، منها أن يكون فلسفي النزعة محباً للمعرفة وديعاً مع أصحابه شديداً مع أعدائه⁽¹⁵⁶⁾. ورأى انه يجب أن يربي الأحداث المعدين للحكم على وفق مواصفات خاصة، منها أن يكون الواحد منهم شجاعاً، صادقاً لايفرط في

(154) د.قحطان أحمد سليمان الحمداني، النظرية السياسية المعاصرة، دار الحامد للنشر

والتوزيع، عمان- الأردن، 2003، ص96.

(155) حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، مكتبة الأنكلو مصرية، القاهرة،

1992، ص57.

(156) المصدر السابق، ص59.

الضحك ومتحرر من حب المال، وان يكون طعام الحكام بسيطاً ومعتدلاً
وصحياً ويجب القيام بالتدريبات الرياضية ويرى أفلاطون انه من هذه الفئة
يجب اختيار القضاة والحكام⁽¹⁵⁷⁾.

3- أنواع الحكومات: ذكر أفلاطون خمسة أنواع رئيسة للحكومات هي على
التوالي: الأرستقراطية والثيوقراطية والاوليجارشية والديمقراطية والطغيان،
ويتوالى نشوء هذه الحكومات عنده بعد انهيار الحكومة السابقة وتقوم هذه
الحكومات عنده بعد انهيار الحكومة السابقة على أساس دستور صيغت مواده
من النظم السياسية التي أشار إليها أفلاطون في محاوره السياسية⁽¹⁵⁸⁾.

⁽¹⁵⁷⁾ عزت قرني، المنهج عند أفلاطون، في موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت،
1993-1994، ص208.
⁽¹⁵⁸⁾ المصدر السابق، ص211.

ثانياً- أرسطو:

هو تلميذ أفلاطون أخذ عنه أفكاره وتأثر به وخالفه في بعضها ربط بين السياسة والأخلاق⁽¹⁵⁹⁾. ويمكن الاستنتاج أن السياسة عند أرسطو ماهي إلا الجانب الاجتماعي للأخلاق فهي أخلاق موسعة وتشمل العلوم جميعاً ويذهب إلى أن العلوم كلها تخدم علم السياسة العلم الرئيس عند أرسطو⁽¹⁶⁰⁾.

1- الدولة: إن قيام الدولة عند أرسطو يبدأ بالاجتماعين الأولين بين السيد والعبد والزوج والزوجة فينتجان العائلة والقرية ناتجاً تجمع عدد من العائلات وعند تجمع عدة قرى في كيان سياسي واحد تقوم الدولة⁽¹⁶¹⁾.

2- الإنسان كائن اجتماعي بالطبع وهو في هذا لا تقل قابليته عن النمل وسائر الحيوانات التي تقيم اجتماعاتها بالطبع والبدية⁽¹⁶²⁾.

3- يرى أرسطو أن الحياة لم تخلق عبثاً وإنما من أجل الإنسان والإنسان متخصص منذ الولادة للطاعة أو الإمرة، والحرب والغزو والسبي والاحتلال عنده وسائل مشروعة للتملك (ولكنها مشروعة فقط لطائفة من البشر هم الإغريق)⁽¹⁶³⁾.

4- البشرية عند أرسطو تنقسم إلى سادة وعبيد واليونان وحدهم هم السادة.

5- وبذلك وضع أرسطو الأساس الأول للنظريات العنصرية فأخذها عنه المجرم الألماني الذي لبس ثوب الفلسفة (هيجل) الذي عدّ العنصر الألماني سيد

⁽¹⁵⁹⁾ حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، مصدر سابق، ص 61.

⁽¹⁶⁰⁾ عزت قرني، المنهج عند أرسطو، في موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1994-1992، ص 301.

⁽¹⁶¹⁾ نقلاً عن: د. قحطان الحمداني، مصدر سابق، ص 101.

⁽¹⁶²⁾ أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، منشورات الفاخرية، الرياض، بلا، ص 328.

⁽¹⁶³⁾ الباحث.

البشر، فغذى التكبر والتسلط عند الألمان، فقادتهم عنصريتهم إلى حربين عالميتين ذهبت بأرواح ملايين البشر⁽¹⁶⁴⁾.

العصر الروماني:

أعقت الفلسفتين الكبيرتين الإغريقيتين (فلسفة أفلاطون-أرسطو) ما عرف بالفلسفة الرواقية التي امتدت قرناً طويلاً كان آخرها تلك التي حملها من هم من أصل روماني أو الذين هاجروا إلى روما⁽¹⁶⁵⁾. وكان لظهور الديانة المسيحية الأثر الأكبر في اتجاهات الفكر السياسي ونظام الدولة والحكومة، فظهرت السلطة الكنسية سلطة أولى في توجيه السياسيين، وظهرت محاولات الفصل بين السلطة الكنسية سلطة أولى في توجيه السياسيين الدنيوية التي كان يترأسها الامبراطور وبين السلطة الكنسية التي يتزعمها البابا وظهرت الدعوة القائلة (اعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله)⁽¹⁶⁶⁾. وقد كانت الأفكار والمبادئ والنظريات السياسية في هذا العصر معبرة عن الظروف والملابسات التي واكبت الحضارة الرومانية ابتدأت من كون روما دولة مدنية إلى تأسيس الجمهورية إلى تحولها إلى الامبراطورية الرومانية، وزاد احتكاكها بالعالم الخارجي فكان من الضروري أن تلجأ إلى وضع مبادئ وأحكام تحدد علاقة الرومان بالأجانب الذين لا يخضعون للقوانين الرومانية فظهر ما يعرف بقانون

(164) الباحث.

(165) د.محمد علي محمد ود.علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص 91-92.

(166) Ernest Barrier, Principles of Social and Political Theory, Oxford University Press, 1951, P.7.

نقلاً عن: المصدر نفسه.

الشعوب ثم ظهرت فكرة "العالمية Universalism" وما يترتب على هذه الفكرة من إمكانية البشر من العيش معاً في مجتمع عالمي واحد⁽¹⁶⁷⁾.

ومن أهم الفلاسفة الرومان شيثرون الذي عاش في روما بين عامي 106-43 ق.م وأبدى إعجابه بجماليتها واشتهر بمبادئه بنظرية الدساتير المختلطة وبتوازن السلطات والتحام الملكية بالارستقراطية والديمقراطية⁽¹⁶⁸⁾.

ظهور الدولة القومية:

في القرن الرابع الميلادي اعترف الامبراطور قسطنطين بالمسيحية ديناً رسمياً للامبراطورية الرومانية وبذلك أصبحت الدين الرسمي الوحيد المسموح به في الامبراطورية وكان السبب وراء اعتراف الامبراطورية بالمسيحية ديناً رسمياً هو حاجته إلى تأييد الكنيسة ومن ثم تأييد رجالها للدولة ولكن السلطة الكنسية ما لبثت أن ثارت بوجه الامبراطور عندما حاول التدخل في شؤون الكنيسة وتعاليمها فحدث الاضطراب في أواسط العصور الوسطى من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر بسبب مبدأ ثنائية السلطة الدينية والدنيوية وهو اضطراب كان له أثر بالغ في التطور السياسي لأوروبا تمخض عن ظهور الدولة القومية⁽¹⁶⁹⁾. فقد شهدت القرون الأخيرة من العصور الوسطى اضطرابات حادة وتناقضات كبيرة بين تيارين الأول يدعو لإقامة مجتمع عالمي خاضع لحكومة إلهية واحدة وتيار إقامة الدولة القومية ولقد كتب النجاح للتيار الثاني فقامت الكثير من الدول القومية ووضعت لنفسها

⁽¹⁶⁷⁾ حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، مصدر سابق، ص73.

⁽¹⁶⁸⁾ المصدر نفسه، ص74.

⁽¹⁶⁹⁾ Duning, A History of Political Theories, Book 1, Oxford University, P.157.

نقلاً عن المصدر نفسه.
نقلاً عن: د.محمد علي محمد ود.علي عبد المعطي محمد، مصدر سابق، ص102.

القوانين والأنظمة في سائر شؤونها الاجتماعية إلى جانب الاستقلال الديني⁽¹⁷⁰⁾. لقد أسهمت عوامل عديدة في انتصار تيار الدولة القومية منها العامل السياسي المتمثل في ظهور وانتشار الشعور القومي رد فعل للتقلبات والكوارث الداخلية الناجمة عن الحروب ورداً على التحديات الخارجية؛ ومنها العامل الاقتصادي الذي تمثل بالتقدم التجاري وما نجم عن الاكتشافات الجغرافية مما كان يتطلب نظاماً مركزياً له أسباب النجاح، ومنها العامل الفكري الذي كان يتجه إلى إصلاح الأفكار الكلاسيكية والمثالية ومنها العامل الديني الذي فصل الكنائس عن الكنيسة الرئيسية في روما؛ وجعل هذه الكنائس الوطنية خاضعة لسلطة الحاكم في كل دولة تحت نظام (الحاكم الأعظم)⁽¹⁷¹⁾.

المرحلة الثانية: من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية (العصر الحديث)

أولاً- عصر النهضة:

يمكن تحديد عصر النهضة تاريخياً من النصف الأول من القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن السادس عشر ودلت كلمة النهضة Renaissance على

⁽¹⁷⁰⁾ د. محمد علي محمد ود. علي عبد المعطي محمد، مصدر سابق، ص 102.

⁽¹⁷¹⁾ المصدر نفسه، ص 103.

حركة الإحياء لجميع المعارف والفنون والفلسفة والآداب بغية مزيد من التحديد والتغيير والابتكار وكانت إيطاليا على وجه الخصوص زعيمة أوربا فيها⁽¹⁷²⁾.

وقد بدأ هذا العصر من خلال احتكاك الأوربيين بالحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (أسبانيا الحالية) من خلال إطلاعهم على حركة إحياء العلوم القديمة وكانت التجارة أحد أهم أسباب الاحتكاك والتفاعل ولاسيما في المدن الإيطالية مثل جنوة⁽¹⁷³⁾ وأهم ما امتاز به عصر النهضة أنها زودت الحركة الثقافية الإنسانية بمفاهيم جديدة للحياة والعالم وامتازت بأصالة الفكر السياسي.

وفي عصر النهضة حدثت تطورات سياسية على جانب كبير من الأهمية كونها أخذت بالوعي الاجتماعي إلى ميادين جديدة فقامت حركة الإصلاح الديني في ألمانيا في القرن السادس عشر التي قادها (مارتن لوثر) ضد البلاط البابوي وبيع صكوك الغفران للمسيحيين حيث نادى بتقية الدين المسيحي من الانحرافات الفاسدة ومن دعوته هذه نشأ المذهب البروتستانتي وكانت أفكاره في العدالة أحد أسباب ثورة الفلاحين الألمان 1524-1525م أما كالفن فقد دعا إلى عبادة الله ودعم الكنيسة وإيجاد رابطة قوية بين السلطتين الدينية والدينية من شأنها منع سوء استخدام السلطة⁽¹⁷⁴⁾ وفي عصر النهضة ظهر فلاسفة ومفكرين غيروا طبيعة النظر إلى السلطة والحكم والدولة والسلطة وأهمهم ميكافيلي وبودان⁽¹⁷⁵⁾ ونجد من المناسب عرض أفكارهما بشكل موجز لإتمام الفائدة.

1- ميكافيلي:

(172) المصدر نفسه، ص111.

(173) د. حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، مصدر سابق، ص74.

(174) المصدر نفسه، ص125.

(175) المصدر نفسه، ص125.

وهو أديب ومفكر وسياسي إيطالي ولد في فلورنسا وعاش ما بين عامي 1469-1527م. أهم مؤلفاته كتاب (الأمير The Prince) يعدّ من أهم المفكرين السياسيين الذين أدركوا خط التطور السياسي في أوروبا خلال النصف الأخير من القرن الخامس عشر وأدرك أن النظم السائدة آنذاك فاسدة وعقيمة أما بسبب ضعف شخصية الحكام أو لتدخل الكنيسة في السياسة⁽¹⁷⁶⁾. وتمزق قلبه لحالة التمزق والشقاق والانقسام التي سادت بلاده فراح يدعو إلى الوحدة الوطنية وتحقيقها ولو بالقوة، واعتقد أن إيطاليا لن تتوحد إلا بيد أمير يتميز بالقوة والجبروت والمكر والخداع ويتخذ من الوسائل الأخلاقية والذراع اللاتينية أدوات لتحقيق الوحدة⁽¹⁷⁷⁾ وأقصى الأخلاق والدين من دائرة السياسة وأكد أن الدولة أسمى صورة من صور التجمعات الإنسانية وهي تعلو على الفرد مادامت قادرة على تحقيق رفاهيته وحمايته ومن ثم فإن مهنة السياسة لن تخضع لحساب دقيق للاهتمامات الإنسانية في أية ناحية ويرتكز على استخدام أمهر الوسائل في مواجهة الصعاب⁽¹⁷⁸⁾.

في عام 1515م وضع ميكافيلي أهم مؤلفاته السياسية وهو كتاب (الأمير) عالج فيه موضوع الحكومة الموناركية (حكم الفرد) التي يؤمن بها وأساليب الحكم والوسائل التي تؤدي إلى قوة الدولة والسياسة العامة التي تمكنها من تحقيق أهدافها وتكاد التدابير السياسية والعسكرية تكون أهم عناصر هذا الكتاب، حيث قال فيه ماكسي Maxey (أن كتاب الأمير كتاب عملي يفسر فن الحكم الناجح)⁽¹⁷⁹⁾ وقال فيه

(176) نيقولا ميكافيلي، الأمير، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1930، ص19.

(177) المصدر السابق، ص22.

(178) المصدر السابق، ص22.

(179) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة د. علي مقلد، الدار العالمية، بيروت،

1987، ص230-235.

دانينغ (لقد أعطانا ميكافيلي في هذا الكتاب فاسقة عن فن الحكم ووسائله أكثر من إعطائه لنا نظرية عن الدولة)⁽¹⁸⁰⁾.

أما أمير ميكافيلي هذا الذي يتحدث عنه فهو تجسيد كامل للفكر الذكي والثاقب الذي يستغل فضائله وذرائله على حد سواء، بل يزيد قليلاً عن صورة الطاغية الإيطالي في بداية القرن السادس عشر، حيث يقول ميكافيلي في كتابه الأمير "أني اعتقد تماماً أن كل إنسان سوف يوافقني على أنه من خير الأمير أن يستغل من الصفات ما يشاء في سبيل رفعته غير ناظر إلى قيمة أخلاقية أو دينية فهناك من الفضائل ما قد تؤدي إلى تدهوره وانهيار حكمه كما أن هناك من الفضائل ما قد تؤدي إلى ازدهار ورفعته"⁽¹⁸¹⁾. لقد خلق ميكافيلي أكثر من أي مفكر سياسي آخر، المعنى الذي ذاع وانتشر في غالبية بلدان العالم وبغالبية اللغات وهم المعنى الذي صاغه في قوله الشهير (أن الغاية تبرر الوسيلة وأن الضرورة لا تعرف القانون)⁽¹⁸²⁾.

(180) المصدر نفسه، ص230-235.

(181) ميكافيلي، الأمير، مصدر سابق، ص25.

(182) د. محمد علي محمد ود. علي عبد المعطي محمد، مصدر سابق، ص118.

2- بودان Jean Bodin:

جان بودان رجل قانون ومفكر سياسي فرنسي عاش ما بين 1520-1596م وترجع أهميته إلى مؤلفيه (منهج في الفهم الميسر للتاريخ) الذي وضعه عام 1566 و (سنة كتب عن الدولة) الذي وضعه عام 1576 ويعد كتابه هذا أول مؤلف عن علم السياسة بالمعنى الحديث فقد كانت اهتماماته منصبه على التفسير العلمي للظواهر السياسية غير ناظر إلى قوى غيبية ولاهوتية⁽¹⁸³⁾.

نظرية السيادة: لعل نظرية السيادة هي أول ما ساهم به بودان في التفكير السياسي وعلى الرغم من أن هذه النظرية كانت موجودة في القانون الروماني، إلا إن بودان كان أول من حدد بدقة متكاملة وصاغ توصيفها ومعنويتها في فلسفة سياسية⁽¹⁸⁴⁾. فالدولة عنده تتكون من تجمع العائلات وممتلكاتها المشتركة وتحكم بواسطة القوى العظمى والعقل) وفي هذا التعريف تأكيد لمبدأ السيادة وهو أهم جزء في فلسفته السياسية إذ إنه يرى في وجود السلطة ذات السيادة العلامة البارزة التي تميز الدولة عن جميع التجمعات الأخرى التي تسلكها العائلات وليس الأفراد، والسيادة عنده هي القوة العظمى المفروضة على المواطنين والأشياء وهذه القوة ليست عظمى وحسب، بل هي دائمة أيضاً⁽¹⁸⁵⁾.

وقد أصبح من الواضح أن بودان يدرك السيادة على أنها الإرادة العليا التي يمكن أن توجد في المجتمع وأن الوظيفة الأولى والرئيسة للسيادة هي تطبيق القوانين على المواطنين والأفراد لا على الحكام، لأن الحكام منبوع القوانين ولما كان نظام

(183) المصدر نفسه، ص118.

(184) المصدر نفسه، ص120.

(185) المصدر نفسه، ص121.

الحكم الأمثل عنده يتمثل في الموناركية فقد أوضح أن ذلك لا يمكن أن يكون مقيداً بقوانين وضعها هو بنفسه.

ما بعد عصر النهضة (العصر الحديث):

كانت القرون الأربعة الأخيرة التي تلت عصر النهضة (من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين) حافلة بالتطورات السياسية المتواترة على صعيدي الفكر السياسي والتنظيم السياسي الدولي الذي ظهر في العلاقات الدولية في القرن السابع عشر الميلادي، ولضرورة البحث سنتناول بالشرح الموجز الفكر السياسي أولاً ثم التنظيم الدولي.

أولاً- الفكر السياسي:

في الواقع أن كل النظريات المعاصرة كانت لها أسس تاريخية اعتمدت على من سبقها منذ عصر الفلسفة اليونانية. ولكن الفلاسفة المعاصرين توسعوا في التفاصيل والخصائص والمحددات لها فالتصقت بهم واشتهروا بها⁽¹⁸⁶⁾.

1- نظرية الفصل بين السلطات:

دعا لها الفيلسوف الإنكليزي جون لوك (1632-1704م) غير أن الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو (1689-1755م) اجتهد في تثبيت دعائم هذه النظرية فكان من أبرع دعائها: حيث لاحظ بالتجربة أن القوى المتصارعة داخل الدولة لا بد أن تكون بينها حدود فاصلة تحدد واجباتها وصلاحياتها ولا يمكن لها أن تتجاوز تلك الحدود إلى صلاحية سلطة أخرى وبذلك يمنع التعسف بوقوف كل سلطة بوجه الأخرى قوة

(186) د. محمد علي ود. علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص 142-150.

حافطة لاختصاصاتها ومراقبة لتصرف سلطة أخرى⁽¹⁸⁷⁾. وقال مونتسكيو في كتابه (روح القوانين أنه من أجل الفصل بين سلطات الدولة الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية يتوجب سن دستور للدولة يتكون جهازها النيابي عن مجلسين يراقب كل منهما الآخر والمجلسان تراقبهما السلطة التنفيذية وهما معاً يراقبانها. وأكد طبيعة انفصال كل هيئة عن بعضها ولكنه استدرك القول بأن الطبيعة البشرية تفرض أن تتحرك هذه الأجهزة بشكل متعاون لضمان المصلحة العامة⁽¹⁸⁸⁾.

2- الليبرالية (المذهب الفردي):

استندت في جذورها إلى الفكر الإغريقي في القرن الخامس قبل الميلاد إلى الثورة الإنكليزية عام 1680 وقامت على مبدئين.

المبدأ الأول: هو استقلال الفرد وأهميته قبل المجتمع والدولة والاعتراف بحقوقه المطلقة والمستقلة لأنها سابقة على الدولة والمجتمع حسب القانون الطبيعي.

المبدأ الثاني: حصر دور الدولة في الدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي وحماية الأمن الداخلي وتنفيذ العقود التجارية والصناعية ومنعها من التدخل في ميادين حياة الأفراد كافة، لأن ذلك يعد اعتداء على الحرية الشخصية⁽¹⁸⁹⁾.

3- الديمقراطية:

وتعني حكم الشعب بالشعب بمعنى أن الشعب هو صاحب السيادة، وليس الفرد أو الفئة كما في الليبرالية أصلها يوناني وهي على أنواع عديدة منها:-

(187) مونتسكيو، روح القوانين، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1953، ص29.

(188) مونتسكيو، المصدر نفسه، ص31.

(189) محمد محمود ربيع، الليبرالية في موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1993-1994، مصدر سابق، ص410-413، نقلاً عن قحطان محمد في ص134.

- 1- الديمقراطية الغربية: وتسمى (الديمقراطية الحرة وهي ديمقراطية سياسية وليس اجتماعية وتمتاز بالفردية الاقتصادية والاجتماعية)⁽¹⁹⁰⁾.
- 2- الديمقراطية الاجتماعية: وهي التي تضع الاعتبار الدور للمجتمع قبل الفرد وتسعى لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والسلطة بين الهيئة الحاكمة⁽¹⁹¹⁾.
- 3- الديمقراطية الشعبية: وهي التي استوحى النظرية الماركسية وتطبيقاتها في البلدان الشيوعية وتدعي تمثيل الشعب ومصالحه⁽¹⁹²⁾.
- 4- الديمقراطية الجديدة: أطلقت على الممارسة السياسية في الصين بعد عام 1949 كان واقعها شكلياً بسبب هيمنة الحزب الشيوعي على السلطة⁽¹⁹³⁾.
- 5- الديمقراطية الاشتراكية: وهي الديمقراطية التي تبنتها الأحزاب الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق والدول الاشتراكية وحقيقتها هي الدكتاتورية⁽¹⁹⁴⁾.
- 6- الديمقراطية النخبوية: تؤمن بضرورة اعتماد النظام الديمقراطي على حكمة القيادات السياسية ومهاراتها بسبب عدم كفاءة ونقص وجهل المجتمع⁽¹⁹⁵⁾.

4- الاشتراكية (المذهب الاجتماعي):

-
- ⁽¹⁹⁰⁾ د. إبراهيم عبد العزيز شبحا، مبادئ الأنظمة السياسية (الدول والحكومات)، الدار الجامعية، بيروت، 1982، ص142.
- ⁽¹⁹¹⁾ المصدر السابق، ص216.
- ⁽¹⁹²⁾ عبد الفتاح العدوي، الديمقراطية وفكرة الدولة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1964، ص17.
- ⁽¹⁹³⁾ ماوتسي تونغ، الديمقراطية الجديدة، تعريب احمد الشيباني، دمشق، 1965، ص3.
- ⁽¹⁹⁴⁾ د. علي الدين هلال، مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث في كتاب (أزمة الديمقراطية في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص45.
- ⁽¹⁹⁵⁾ د. ثناء فؤاد عبد الله، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص37.

ظهرت الاشتراكية في أوروبا رد فعل لحالة الفقر والبؤس ومعاناة المجتمعات من ساعات العمل الطويلة بأجور متدنية. دعت إلى تملك الدولة لوسائل الإنتاج الرئيسية وبذلك تكون الاشتراكية قد وقفت ضد المذهب الفردي⁽¹⁹⁶⁾ وقد توزعت المفاهيم الاشتراكية إلى أنواع عديدة منها:-

1- الاشتراكية المثالية (الخيالية): دعت إلى وجوب قيام نظام اجتماعي على

أسس عقلية قادر على تحقيق السعادة للناس من دعائها الألماني فخته⁽¹⁹⁷⁾.

2- الاشتراكية الفابية: نسبة إلى القائد الروماني فابيوس الذي كان يؤمن بإنهاك

العدو بالتدريج دون الاشتباك معه في معركة حاسمة تبنتها الجمعية الفابية في

بريطانيا تدعو إلى التطور التدريجي من روادها برنارد شو⁽¹⁹⁸⁾.

3- الاشتراكية الديمقراطية: ترفض احتكار السلطة من قبل الملوك والطبقة

الأرستقراطية وإجبار الرأسمالية على الخضوع لإرادة الشعب⁽¹⁹⁹⁾.

4- الاشتراكية النقابية: يقصد بها الملكية الجماعية وليس ملكية الدولة وقامت

لإعادة النقابات الحرفية التي كانت تمتاز بالاستقلال⁽²⁰⁰⁾.

5- الاشتراكية القومية: هي الاشتراكية التي مزجت بين القومية والاشتراكية

والتي دعت إلى تدخل الدولة الكامل في الحياة الاقتصادية ومنع الملكية

⁽¹⁹⁶⁾ احمد جامع، المذاهب الاشتراكية، المطبعة العانية، القاهرة، 1967، ص29، نقلاً عن

د. قحطان الحمداني، مصدر سابق، ص146-155.

⁽¹⁹⁷⁾ المصدر نفسه، ص146-155.

⁽¹⁹⁸⁾ المصدر نفسه، ص146-155.

⁽¹⁹⁹⁾ سي. آر. كروس، مستقبل الاشتراكية، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص89.

⁽²⁰⁰⁾ رامزي ماكدونالد، الحركة الاشتراكية، ترجمة محمود حسين العزاوي، المطبعة

المصرية، القاهرة، 1969، ص106.

الخاصة، وقد جسدتها النازية المقبورة في ألمانيا والفاشية سيئة الصيت في إيطاليا(201).

6- الاشتراكية الدولية الثانية: وهي التي تعبر عن منهج عام دولي وإنساني يدعو إلى التعاون مع الحكومات الدستورية وتدعو إلى التدرج للوصول إلى النظام الاشتراكي مثلها (جهاز فينا الدولي) سميت بهذا الاسم لتميزها عن الاشتراكية الشيوعية التي أخذت اسم الاشتراكية الدولية Comintern. وهناك أنواع أخرى من الاشتراكيات نشأت في أوروبا في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر مثل: اشتراكية الأساتذة والجماعية والدولة والاشتراكية الفوضوية(202).

5- النظرية الماركسية:

تنسب هذه النظرية التي ظهرت حوالي منتصف القرن التاسع عشر إلى كارل ماركس وهو فيلسوف ألماني عاش ما بين عامي 1818-1883م، وزميله ورفيق عمره فردريك أنجلز 1820-1895م. ومن مؤلفات ماركس رأس المال، وبؤس الفلسفة ونقد الاقتصاد السياسي أما أنجلز فقد ألف في أصل العائلة، والملكية الخاصة(203).

(201) إبراهيم البرابري، الديمقراطية التعاونية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص18.

(202) ج.ه. كول: الرواد والدول الاشتراكية، ترجمة محمد عبد الله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص153، نقلاً عن د. قحطان الحمداني، مصدر سابق، ص146-155.

(203) محمد محمود ربيع، منهج المادية الجدلية عند ماركس وأنجلز، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1993-1994، ص309.

آمن كل منهما بالديالكتيك ولكنهما قلبا الأساس الروحي لهذا الجدل إلى أساس مادي، واقفين بذلك ضد فلسفة هيغل وذهبا إلى أن المادة أساس كل شيء وجوهر كل فكر وأخلاق، وأن الاقتصاد هو العامل الهام في مجالات الحياة كلها، والمادة عند ماركس هي كل ما يوجد ومظاهر الوجود المختلفة ناتجة عن تطور

متصل للقوى المادية علاوة على أن الإنتاج والمادة هما شرطا تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية⁽²⁰⁴⁾ وتقوم المادية الجدلية عند ماركس على قوانين ثلاثة هي:-

1- قانون وحدة الأضداد وصراعها: كل ظاهرة تشتمل على طرفي تضاد لا

يمكن أن يظان بسلام فمن المحتم أن يتولد الصراع بينهما مما يفضي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم فيحدث التحول، وهذا هو سبيل التطور برأيه⁽²⁰⁵⁾.

2- قانون الانتقال من التغير الكمي إلى التغير الكيفي: فالتغير الكمي يحدث من

ناحية المقدار والكيفي من ناحية الكيف والصفات فإذا اختلفت الملكية الرأسمالية وهي عنده الكيفية الأساسية للنظام الرأسمالي فان نظاماً جديداً سيحل محله وهو نظامه الاشتراكي⁽²⁰⁶⁾.

3- قانون سلب السلب: يرى ماركس أن التاريخ الإنساني يتألف من حلقات نفي

وسلب النظم الجديدة للنظم القديمة فالتطور يشتمل على عدد لا حصر له من السلوب المتتابعة وهو استمرار تغلب الجديد على القديم إلى مالا نهاية⁽²⁰⁷⁾ وأكد ماركس حقيقة هامة ذهبت بمجمعه الاشتراكي وشيوعيته هي أن كل

(204) المصدر نفسه، ص354.

(205) أ. م. جون، النظرية السياسية الحديثة، ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب، مطابع مصر، القاهرة، 1964، ص70-71.

(206) المصدر نفسه، ص74.

(207) د. عادل فتحي ثابت عبد الحافظ، النظرية السياسية المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص215.

نظام يشتمل في نفسه على مبادئ كامنة في ذاته تكون هي السبب في القضاء عليه ولم يستثن مجتمعه الاشتراكي⁽²⁰⁸⁾.

ثانياً- النظام الدولي:

احتوى الفكر السياسي على تعريفات متعددة للنظام الدولي، فقد عرفه هولستي (بأنه تجمع يضم فئات سياسية مستقلة قبائل-مدن-دول-أمم أو إمبراطوريات تتفاعل فيما بينها بتواتر دائم حسب عمليات منتظمة)⁽²⁰⁹⁾ ويرى كابلان وهو من أشهر المنظرين في النظام الدولي بأنه (مجموعة من المتغيرات المترابطة فيما بينها والتميزة عن محيطها وتستند على قواعد سلوكية تميز العلاقات الداخلية القائمة على مجموعة من المتغيرات الفردية عن تجمع المتغيرات الخارجية)⁽²¹⁰⁾ أما جوزيف فرانكل فقد كان يرى النظام الدولي بأنه (مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة تتفاعل بشكل منظم)⁽²¹¹⁾.

ويندرج تحت تسمية النظام الدولي أنظمة فرعية تتشكل على أساس إقليمي تتحدد خصائصها في نشوء التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدث

(208) د. عادل فتحي ثابت عبد الحافظ، النظرية السياسية المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص215.

(209) Y.J. Holsti, International Politics, Frame world for analysis, N.J. Prentice Hall, 1974, P.232.

نقلاً عن د. عبد القادر محمد فهمي، الصراع الدولي وانعكاساته على الصراعات الإقليمية، بغداد، 1990، ص68-73.

(210) Morton A. Kaplan, New approaches to international resolution S.N.Y st, Martins press, 1968, P.XIV.

نقلاً عن د. عبد القادر محمد فهمي، الصراع الدولي وانعكاساته على الصراعات الإقليمية، بغداد، 1990، ص68-73.

(211) Joseph Frankel, International Politics, Conflict and Narmony, London, Penguin press, 1969, P.43.

نقلاً عن د. عبد القادر محمد فهمي، الصراع الدولي وانعكاساته على الصراعات الإقليمية، بغداد، 1990، ص68-73.

بين وحدات متقاربة جغرافياً تربط بينها أهداف ومصالح مشتركة مثل الاتحاد الأوروبي.

ويرى بعض منظري النظام الدولي أنه نظام غير مستقر نتيجة الصراع بين وحداته السياسية واستقراره يتوقف على قدرته على احتواء عناصر الصراع والاضطرابات التي تعتريه⁽²¹²⁾.

مراحل النظام الدولي:

بعد ظهور الدولة القومية في أواخر العصور الوسطى دخلت أوربا في صراع التوسع وبسط النفوذ بين الدول إلى أن استقر الرأي بينها على الصلح والاتفاق وبذلك دخل النظام مرحله الأولى لأول مرة في تاريخ العلاقات الدولية.

المرحلة الأولى- نظام توازن القوى:

عقدت بين الدول الرئيسة حينذاك معاهدة وستفاليا 1648م بين كل من إنكلترا وفرنسا وأسبانيا والسويد وروسيا وهولندا وهانوفر للمصالحة فيما بينها انطوت على مبادئ للعلاقات بين الدول، وهذه المعاهدة تعد الخطوة الأولى في التنظيم الدولي الحديث حيث تمخضت عما عرف بنظام توازن القوى⁽²¹³⁾ ومن البدع التي جاءت بها معاهدة وستفاليا هذه:-

1- أنه نظام أوروبي من الناحية الجغرافية ثم يشمل آسيا وأفريقيا وأمريكا.

2- يزيد عدد أطرافه عن اثنين.

⁽²¹²⁾ جيمس دورثي روبرت بالتغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، مكتبة شركة فاطمة للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 1985، ص123.
⁽²¹³⁾ كارل دويتش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة محمود نافع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص149.

- 3- جرى التوازن في القوة بأسلوب التسليح رغم تباين قوة الدول.
- 4- لم تعتمد الدول الأعضاء على أيديولوجيات سياسية ولم يحرم المنتصر المهزوم من العودة والانضمام إلى المعاهدة⁽²¹⁴⁾.

المرحلة الثانية-نظام الأمن الجماعي:

بعد معاهدة وستفاليا الأنفة الذكر دخل الصراع الدولي مراحل جديدة وقام العصر الكوئبالي فانتهدت الدول الأوربية سياسة الاستعمار لآسيا وأفريقيا وأمريكا المكتشفة حديثاً، وانهارت الدولة العثمانية وقامت الحرب العالمية الأولى 1914 بسبب العنصر السيئ في النظام الدولي ألمانيا، وبذلك أنهار نظام توازن القوى⁽²¹⁵⁾ وظهر نظام الأمن الجماعي حاملاً معه مبادئ جديدة لتنظيم العلاقات الدولية منها انضمام جميع دول العالم تقريباً إلى المنظمة الدولية التي شكلت بعد الحرب (عصبة الأمم) عدا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لعدم دخولهما الحرب العالمية الأولى. وبموجب هذا النظام الجديد يفترض أن:-

- 1- تتخلى الدول عن تصريف علاقاتها بأسلوب توازن القوى.
- 2- التخلي عن الدبلوماسية السرية.
- 3- فض المنازعات بالطرق السلمية⁽²¹⁶⁾.

لقد تباينت قدرات وإمكانات الدول في هذا النظام المتعدد الأطراف فمنها ما شكل قوة ذات نفوذ متميز تمتلك إمكانات هائلة من القدرات للتأثير به وأصبح هناك

(214) المصدر نفسه، ص151.
(215) د.محمود إسماعيل محمد، نظريات الصراع الدولي وتوازن القوى، اللجنة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، عدد1، م19، القاهرة، يناير 1982، ص72.
(216) المصدر نفسه، ص74.

تفاوت في توزيع مصادر القوة والتأثير بين وحدات النظام الدولي إذ إن 5% من الدول استحوذت على (75%) من مصادر النفوذ والتأثير في حين أن الدول المتبقية ليس لها إلا 25%⁽²¹⁷⁾. أن هذا التفاوت إلى جانب عناصر أخرى دفعت الدول إلى الدخول في مرحلة جديدة من الصراع الأيديولوجي والعسكري تكلفت هذه المرحلة بقيام الحرب العالمية الثانية عام 1939، ومرة أخرى بسبب العنصر الشرير في النظام الدولي (ألمانيا)، وبذلك انهار نظام الأمن الجماعي متعدد الأطراف وظهر على أنقاضه نظامان جديدان هما على التوالي نظام القطبية الثنائية ونظام القطب الواحد جرياً مع التطور السياسي السريع والمتلاحق في العالم، وهذا ما ناقشته في المرحلة الثالثة والأخيرة من بحثنا هذا.

⁽²¹⁷⁾ Robert Lewendzel, International politics policy making, J.Y. Jon Wiley Sons, 1981, P.101.

المرحلة الثالثة- من الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الحاضر:

أولاً- الفكر السياسي:

بعد الحرب العالمية الثانية حدثت انعطافات كبيرة في الفكر السياسي تمثلت بمعالجة المنظرين السياسيين لما أحدثته نتائج الحرب العالمية الثانية في المجتمع الدولي وظهر لدى الباحثين استعارات من علم الأحياء مثل التحليل البنيوي structure والنماذج النسقية الوظيفية، كما ورد في كتابات جبريل الموند الذي أكد أن مقتضيات المجتمع والجهاز السياسي ينطلق من قدرات تنظيمية واستخراجية واستجابية وتوزيعية وقال إن هناك وظيفة تحويلية ووظيفة إيفائية يقتضيها بقاء الجهاز السياسي واستمراره⁽²¹⁸⁾. أما أستون فقد وضع توصيفاً مناسباً للوظيفة السياسية كونها فرض القيم فرضاً سلطوياً على مستوى المجتمع الكلي من خلال قوانين ملزمة بالإكراه المادي عند الضرورة⁽²¹⁹⁾. وأكثر ما يهمننا في هذا المجال هو نماذج النظريات التي استندت إلى مفهوم القوة بمدلوله العلمي وأبرزها نظرية هانز مورجنتاو وصاحب نظرية القوة والمصلحة وأرون في فهم وتحليل السياسة الدولية وكابلان في التحليل النسقي.

(218) Gabriel A. Almond, Comparative system, Journal of politics, XVII, August 1955, P.397.

(219) David Easton, The political system, New York, Knoff Alfred 1953, P.100.

1- نظرية مورجنتاو:

طرح المفكر الأمريكي هانز مورجنتاو أفكاره السياسية في كتابه الشهير (السياسة بين الأمم politics among nations)⁽²²⁰⁾ منطلقاً من مفهوم القوة عاديّاً أن القوة مفهوم أساسي لتفسير علاقات القوى المتعددة وعليها ترتكز سياسات الدول وأن هناك ثلاثة نماذج عن السلوك الدولي هي:-

1- سياسة المحافظة على الوضع القائم.

2- السياسة التوسعية.

3- سياسة الحصول على المكانة الدولية.

بهذه النماذج يرى مورجنتاو الذي نشر نظريته في بداية ستينات القرن العشرين، أن الدولة تتحكم من المحافظة على ذاتها وإعادة توزيع القوة في النسق الدولي لتحقيق مصالحها العليا ولتغيير سلوك الدول التي لا تتفق مع مصالحها، ويرى أنه لغرض تغيير هذه الوسيلة يجب استخدام وسيلتين هما الدبلوماسية الرسمية والتلويح بالقوة كونها القدرة في التأثير النسبي الذي تمارسه الدولة في علاقاتها الخارجية⁽²²¹⁾. وتتمثل المصلحة الوطنية في فكرة الأمن القومي من أجل استقرار الدولة بشكل مستمر والمحافظة على استقرارها وأكد أن المصلحة الوطنية أعلى من الأيديولوجيات وتصورات القادة لأنها تتحدد في ضوء قوة الدولة، وهو يرى أن سعي الدولة للقوة ومضاعفتها ظاهرة حتمية نظراً لغياب الحكم الأعلى في العالم. وفي

(220) هانز مورجنتاو، السياسة بين الأمم، ترجمة خيرى حماد، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1965.
(221) المصدر نفسه، ص67.

التوازن الدولي يرى مورجنتاو أنه "يجب إتباع أحد أسلوبين أما أسلوب فرق تسد Divide and Rule أو في سياسة الأحلاف Alliances"⁽²²²⁾.

2- نظرية ريمون أرون:

في كتابه "الحرب والسلام"⁽²²³⁾ قدم المفكر الفرنسي ريمون أرون تحليله للموقف السياسي الدولي الذي يفتقر لوجود سلطة عليا باحثاً عن مفهوم أساسي لا يستند إلى القوة في تحقيق المصالح الوطنية فهو يرى أن الحرب ليست غاية بذاتها إذ إن العنف وحده لا يحقق الأهداف وإنما هناك وسائل أخرى كالمهارة الدبلوماسية والدراية الاستراتيجية لأن العلاقات الدولية ليست علاقات القوة الخام فحسب وإنما تفاعل الإرادات الدولية، وطرح أرون ثلاثة نماذج في العلاقات الدولية لتحقيق السلام هي:-

- 1- التوازن بين القوى القطبية من حيث توزيع القوة.
- 2- سيطرة وهيمنة كل قوة قطبية على عدة وحدات سياسية.
- 3- قيام إمبراطورية عالمية⁽²²⁴⁾. وانتهى أرون إلى أن مفهوم وحدة السياسة الخارجية بوجهيه الاستراتيجية والدبلوماسية الخارجية هو وحدة الذي يستقيم بوظيفة البيئة الدولية على انه مفهوم أساس لتحليل واقعها⁽²²⁵⁾.

⁽²²²⁾ د. عادل فتحي ثابت، النظرية السياسية المعاصرة، مصدر سابق، ص 331.
⁽²²³⁾ Raymond Aron, Peace and War, Translated by Howard R. and Fox A.B., Double day 2nd company INC, New York, 1966, PP.39-45.

نقلاً عن د. قحطان الحمداني، مصدر سابق، ص 189.
⁽²²⁴⁾ د. عادل فتحي ثابت، عبد الحافظ، النظرية السياسية المعاصرة، مصدر سابق، ص 308-309.
⁽²²⁵⁾ د. محمد طه بدوي، النظرية العامة للمعرفة السياسية، المكتبة المصرية الحديثة، القاهرة، 1986، ص 118.

3- نظرية كابلان:

يعد مورتون كابلان -المفكر الأمريكي- واحداً من أهم أقطاب التحليل النسقي القائم على التوازن النمطي في العلاقات الدولية وطرح أفكاره السياسية في كتابه (النسق والعمليات في السياسة الدولية) عام 1964م⁽²²⁶⁾.

يرى كابلان أن لكل نسق دولي تتحكم فيه مجموعة متغيرات مترابطة ومتداخلة ومتفاعلة فيما بينها ويؤدي تفاعل وحداته إلى أنماط (Norms) متميزة عن السلوك الدولي على أساس أنه عند تحليل التأثير المتبادل بين متغيرات النسق يتم الوصول إلى الكيفية التي يتم بها توازن النسق واستقراره وتبعاً لذلك يمكن التعرف على خصائص النسق وتوزيع القوة بين وحداته ومعرفة المتغيرات التي قد تطرأ على التوازن الدولي⁽²²⁷⁾.

وقدم كابلان عدة أنواع من الأنساق الدولية النظرية لكل منها خصائصه التي تستند على قواعد سلوكية وحدد هذه المتغيرات في خمسة مجموعات أساسية هي:-

1- متغيرات متعلقة بتحقيق التوازن داخل النسق الدولي وتستند إلى قواعد

أساسية واجبة التطبيق والتقييد بها يحقق التوازن داخل النسق الدولي.

2- متغيرات متعلقة بتحول النسق من شكل إلى آخر وتستند على قواعد تحليلية.

3- متغيرات متعلقة بتصنيف القوى الفعالة في النسق الدولي على رأسها القوى

القطبية.

4- متغيرات متعلقة بحجم إمكانات القوى القطبية ومستوى تسجيلها درجة التقدم

التكنولوجي.

(226) Morton A. Kaplan, System and process in international politics, New York, Wiley and sons, 1964.

نقلاً عن د. قحطان الحمداني، مصدر سابق، ص194.

(227) المصدر نفسه، ص194.

5- متغيرات متعلقة بالمعلومات التي تؤثر بشكل فعال في عمليات الاتصال الدولي ومستوياته⁽²²⁸⁾.

وقدم كابلان تصوراً من عدة فروع لأشكال النسق الدولي منها:-

1- نسق ميزان القوة: ونموذجه النسق الأوربي خلال القرن التاسع عشر حيث

تحكمت فيه قوى نمطية متعددة كانت تسعى لحماية مصالحها في مواجهة

بعضها البعض وأن هذا النسق خلق (التوازن) على أساس (عمل اليد الخفية)

توازناً النظام الرأسمالي من خلال المنافسة الحرة.

2- نسق القطبية الثنائية الرخو: وقد تحقق بعد الحرب العالمية الثانية من خلال

قوتين قطبيتين تحكمتا في مصير هذا النمط وأهم ما ميزه لاعبين كتليين

كالكتلة الشيوعية (حلف وارشو) والكتلة الغربية حلف الناتو.

3- نسق القطبية الثنائية المحكم: وهو نسق افتراضي يشبه نسق القطبية الثنائية

الرخو: ويختلف عنه في عدم وجود اللاعبين الوطنيين غير المنتمين

للكتلتين، وليس فيهم مكان للطرف العالمي (الأمم المتحدة) بسبب عدم قدرتها

على تعبئة الدول غير المنحازة التي لم يعد لها وجود.

4- النسق العالمي: ويفترض فيه كابلان أن دور المنظمة العالمية بوصفها لاعباً

عالمياً يتزعم بشكل قوي في ظل نسق القطبية الثنائية الرخو وينفرد بوجود

درجة عالية من الاتصال والتكامل بين وحدات النسق العالمي في كل

المجالات الاقتصادية والسياسية والقضائية ويفترض تشعب الوظائف التي

تضطلع بها الأمم المتحدة⁽²²⁹⁾.

(228) Kaplan, (Op.Cit), P.109.

(229) Kaplan, (Op.Cit), P.143.

5- النسق الدولي التصاعدي الهرمي: وهو النسق الذي يتحقق نتيجة انتصار

أحد الأطراف الدولية (اللاعبين) وعندئذٍ سيصبح لاعباً رئيساً على قمة الهرم وقد يوجد تحت ظروف المنافسة الحرة وقد يأخذ شكلاً ديمقراطياً أو غير ديمقراطية وتكون قواعد السلوك هي الطبقة فيه⁽²³⁰⁾.

يعتقد كابلان أنه بهذا النسق تفقد الدولة الوطنية دورها وتتشكل مجرد تقسيمات إقليمية فرعية وتكون النقابات وجماعات المصالح بديلة عن الدول. ويتعامل هذا النسق مع الأفراد مباشرة، ومن خلال أجهزة وسيطة. ويرى كابلان أن هذا النسق سيكون أكثر الأنساق الدولية استقراراً بسبب التقسيم الوظيفي والاعتماد المتبادل في الأمور الحيوية بحيث يصعب انسحاب أي طرف من نتيجة الخسارة الفادحة، ويكون هذا النسق أكثر الأنساق الدولية اتصالاً وتكاملاً وتضامناً⁽²³¹⁾.

ونرى أنه بذلك يكون كابلان قد وضع الأساس النظري المتكامل لعصر العولمة الذي نعيشه اليوم وبوجود لاعب دولي على قمة الهرم منذ عام 1964⁽²³²⁾.

⁽²³⁰⁾ Kaplan, (Op.Cit), P.149.

⁽²³¹⁾ د. عادل فتحي ثابت عبد الحافظ، النظرية السياسية المعاصرة، مصدر سابق،

ص337.

⁽²³²⁾ الباحث.

ثانياً- تطور التنظيم الدولي:

المرحلة الثالثة- نظام القطبية الثنائية:

كما أسلفنا فإن نظام الأمن الجماعي الذي انبثق بعد الحرب العالمية الأولى؛ قد انهار مع بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939 التي أشعلت شرارتها العنصر السيئ في المحيط الدولي (ألمانيا) وعندما انتهت الحرب عام 1945 شهدت المدة التي تلتها إعادة تشكيل النظام الدولي بما يتناسب مع اتجاهات القوى المنتصرة في الحرب؛ فظهر نظام القطبية الثنائية الذي تميز بالتمركز حول قطبين رئيسيين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي⁽²³³⁾ باعتبارهما يمثلان القوتين العظميين في العالم لما لها من تفوق تكنولوجي وصناعي وقوة عسكرية واقتصادية هائلة⁽²³⁴⁾ والتفت حولهما عدد من الوحدات السياسية في النظام الدولي الأقل قوة منهما تعتنق أيديولوجيتهما وتتمثل بهما لاعتبارات استراتيجية⁽²³⁵⁾.

الأسلحة النووية والحرب الباردة:

تفرد كل قطب بمعسكره (حلف وارشو) الشرقي وحلف شمال الأطلسي الغربي وتنازعا النفوذ الايديولوجي والسياسي والاقتصادي في العالم كلاً في مناطق نفوذه ودخلا فيما عرف بالحرب الباردة. وقد كان لامتلاك القطبين السلاح النووي أثر بارز في تكريس الحرب الباردة، فمنذ ظهور هذا السلاح بيد الولايات المتحدة عندما استعملته ضد اليابان عام 1945، تشكل ما عرف بعامل الردع النووي وهو

⁽²³³⁾ كولن باون، من الحرب الباردة حتى الوفاق 1945-1980، تعريب صادق إبراهيم عودة، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، 1983، ص87.

⁽²³⁴⁾ هاشم القروي، التوازن الدولي من الحرب الباردة إلى الانفراج، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص24. نقلاً عن د. عبد القادر محمد فهمي، مصدر سابق، ص100.

⁽²³⁵⁾ د. محمد عزيز شكري، التكتلات والأحلاف الدولية في عصر الوفاق، السياسية الدولية، القاهرة، أكتوبر، 1974، ص83.

يعني تدمير أحد الأقطاب أو كليهما إذا ما تم استخدامه⁽²³⁶⁾ بذلك فإن الحقائق التي فرضها الواقع النووي أدت إلى قناعات مشتركة لدى القطبين برفض المنطق الانتحاري للحرب النووية⁽²³⁷⁾ ولهذا لجأ الطرفان إلى التفكير بالتعايش السلمي وحل المنازعات بالمفاوضة ودخلا في هدوء نسبي سمي الوفاق الدولي Detant كان أهم مظاهره المباحثات الرسمية التي بدأت بين الطرفين عام 1969 وانتهت بالتوقيع على معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (سالت1) Strategic Arms Limitation Talks (SALT) وذلك في موسكو، مايس 1972⁽²³⁸⁾.

ولكن سياسة الوفاق هذه، لم تعمل على تفرغ العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي من عناصر الصراع بينهما وأن خفت من حدة التوتر⁽²³⁹⁾. فعادت الحرب الباردة في نهاية السبعينات بعد أن قام الاتحاد السوفييتي بنشر صواريخ S.S.20 الحاملة للروس النووية في أوربا الشرقية واحتلاله أفغانستان عسكرياً الأمر الذي أدى إلى فشل اتفاقية سالت 1؛ واتبعت الولايات المتحدة سياسة أكثر تشدداً مع الاتحاد السوفييتي فنشرت (572) صاروخاً نوع بيرشنگ وكروز في أوربا الغربية ورفضت معاهدة سالت 2؛ وفي شباط 1983 أعلنت الولايات المتحدة عن تبنيتها استراتيجية جديدة بمبادرة الدفاع الاستراتيجية أو

(236) حسين أغا، وثائق حول العقيدة الاستراتيجية السوفييتية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص79.

(237) J. Carson, Consequences of nuclear war in the dangers of nuclear war, Edited by Frankly Erffths, London University of Toronto press, 1979, PP.18-22. نقلاً عن: د. عبد القادر محمد

فهمي، ص109.

(238) السيد زهرة، الإدارة الأمريكية، مصير (سالت2)، الساسة الدولية، العدد 65، القاهرة، يوليو، 1981، ص153.

(239) د. نازلي معوض، سباق الصواريخ النووية ومحادثات ستارت بين العملاقين، السياسة الدولية، العدد 75، القاهرة، يناير، 1984، ص36.

حرب النجوم وهذا يعني إبطال كل ما بذل من جهود من أجل نزع السلاح والحد منه⁽²⁴⁰⁾، على الرغم من اتفاقية حضر الأسلحة النووية متوسطة المدى التي تم إبرامها في قمة واشنطن 1987 إلا أن الولايات المتحدة استمرت في العمل باستراتيجيتها الخفية الهادفة إلى تدمير الاتحاد السوفيتي من الداخل وعلى يد قيادته نفسها⁽²⁴¹⁾. وقد بدأت مظاهر هذه الاستراتيجية تظهر إلى العلن عندما بدأ غورباتشوف زعيم الحزب الشيوعي السوفيتي ينفذ المهمة الموكولة إليه عندما أخذ يغني في موسكو عن الانفتاح والتوافق والاستراتيجية الدفاعية لا الهجوم، وأخذ يتراجع بوضوح عن الأيديولوجية الشيوعية التي أصبحت (فجأة) برأيه غير صالحة للتطور⁽²⁴²⁾.

المرحلة الخامسة- نظام القطب الواحد:

يقول ف. شيرونين، الباحث الروسي في كتابه (خفايا الانهيار) إن الولايات المتحدة الأمريكية قد سعت على مدى أربعين عاماً بالتقدم نحو هدفها المنشود وهو تدمير الاتحاد السوفيتي من الداخل، وهو الهدف الذي رسمته بداية الستينات، حتى استطاعت الوصول إلى الحلقات الضعيفة في قمة القيادة السوفيتية ممثلة في غورباتشوف سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي وبالتسين رئيس الدوما وشيفرنادزة وزير الخارجية وكلهم أعضاء في المكتب السياسي وبالعمل المخبراتي

⁽²⁴⁰⁾ د. محمد قدوري سعيد، حرب النجوم والعودة إلى استراتيجية الدفاع، السياسة الدولية، العدد 88، القاهرة، أبريل 1988، ص36.

⁽²⁴¹⁾ حسن أبو طوالة، الاتفاقية ومهمة إعادة تخليق النظام الدولي، السياسة الدولية، العدد 92، القاهرة، أبريل 1988، ص69.

⁽²⁴²⁾ حسن أبو طوالة، الاتفاقية ومهمة إعادة تخليق النظام الدولي، السياسة الدولية، العدد 92، القاهرة، أبريل 1988، ص69.

المنظم تم تجهيزهم للعمل على تدمير الاتحاد السوفيتي من القمة وهكذا فعلوا لأنهم يحملون بداخلهم الخيانة لوطنهم وأيديولوجيتهم⁽²⁴³⁾.

ففي ليلة الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول 1991 أعلن في منسك عاصمة روسيا البيضاء عن (حل الاتحاد السوفيتي) وبذلك أصبح ذلك الكيان الحديدي والنظام الصارم وشرق أوروبا الشيوعية وحلف وارسو وكل دول آسيا وأفريقيا التي تختبئ خلف الاتحاد السوفيتي أثراً بعد عين في ليلة وضحاها. واتجهت أنظار العالم كله إلى الولايات المتحدة الأمريكية متوجة ملكة للعالم في القوة والثراء وحتى الجمال⁽²⁴⁴⁾. وتحقق لكابلان ما خطط له عام 1964 من أن قطباً واحداً سيتربع يوماً على رأس الهرم الدولي⁽²⁴⁵⁾.

لقد أدى انهيار الاتحاد السوفيتي بالطريقة الدراماتيكية تلك إلى تغيير جذري وكبير في المحيط الدولي في كل الأصعدة، وكان بمثابة إعادة رسم السمات في البيئة الدولية ظهرت نتائجه في السنين اللاحقة لذلك اليوم الأسود⁽²⁴⁶⁾ وولج نظام جديد هو نظام القطب الواحد وهو أشبه بنظام حكومة عالمية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما يسمى (العولمة) آلياتها ونظمها فعالة تسعى إلى تغيير كل شيء في العالم ليتطابق مع نظرتها هي له⁽²⁴⁷⁾.

لقد أصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في عالم يزداد تفتتاً ومع تنامي وسائل الاتصال في كل المجالات وتبادل المعلومات والثقافة إلى جانب الدور

(243) ف. شيرونين، خفايا الانهيار، ترجمة يوسف إبراهيم ود. جمال الأسعد، دار هوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998، ص 32-35.

(244) المصدر نفسه، ص 37.

(245) ينظر: كابلان في النسق الدولي التصاعدي الهرمي في الصفحات السابقة. (الباحث)

(246) د. سعد حقي توفيق، النظام الدولي الجديد، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص 139.

(247) المصدر نفسه، ص 141.

المركزي الذي تلعبه الولايات المتحدة في معظمها أصبح من الصعوبة بمكان التمييز بين الحد الذي ينتهي عند النفوذ الأمريكي والحد الذي تبدأ معه العولمة⁽²⁴⁸⁾.

فكيف استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية القابعة في جزيرتها خلف المحيط الأطلسي أن تتبوأ هذا المركز في العالم؟

يقول جوزيف جارفي في درشة حديثة من زاويته بوصفه محلاً ألمانياً إن الولايات المتحدة اتبعت أسلوبين هما:-

1- الأسلوب الأول: طراز بريطانيا الاستعماري في القرنين السابع عشر والثامن

عشر القائم على منع قيام أية قوة تتحدى بريطانيا بشتى الوسائل.

2- الأسلوب الثاني: هو أسلوب بسمارك في ألمانيا بعد عام 1871 بإقامة

علاقات وتحالفات مع جميع القوى الكبرى في أوروبا وهي سياسة وقائية

تسعى لاستمرارية النفوذ عن طريق إزالة الحوافز للانقلاب ضد القوة

المركزية⁽²⁴⁹⁾.

⁽²⁴⁸⁾ بول سالم، الولايات المتحدة والعولمة، معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص209 (مجموعة باحثين).

⁽²⁴⁹⁾ المصدر نفسه، ص211.

المبحث الثاني التطور على الصعيد الاقتصادي

لم تظهر سمات واضحة للاقتصاد العالمي قبل عصر النهضة عدا المبادلات التجارية والهجرة، ومع ولوج هذا العصر بدأت تطورات كثيرة تأخذ شكل التنظير المنظم، تأخذ طريقها إلى العملية الاقتصادية. ولغرض الإلمام بشكل وجيز يفي بأغراض هذا المبحث رأينا تقسيم التطور الاقتصادي هذا إلى مرحلتين:
المرحلة الأولى: السمات الاقتصادية السائدة من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية.

المرحلة الثانية: من الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الحاضر.

المرحلة الأولى- عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية:

بعد انهيار نظام الإقطاع وظهور الدولة القومية الموحدة في أواخر القرن الرابع عشر ظهرت العديد من المدارس الاقتصادية والمذاهب، لتكون أساساً لنشوء النظام الرأسمالي⁽²⁵⁰⁾. الذي بات معروفاً أنه نظام يقوم على أساس حرية النشاط الاقتصادي والتملك الفردي لوسائل الإنتاج المادية وحق التصرف بها مع عدّ العمل بحد ذاته سلعة ذات سعر محدد بحسب قواعد العرض والطلب في السوق⁽²⁵¹⁾. إن النمط الذي ساد الاقتصاد العالمي في تلك المدة وحتى الحرب العالمية الثانية كان يقوم على تخصص البلدان في عمليات كاملة لإنتاج منتجات سلع مختلفة مع منتجات بلدان أخرى أصبحت متخصصة بالإنتاج الصناعي مع الارتكاز على بعض الإنتاج الزراعي وتخصصت أساساً لذلك في الإنتاج العرفي والفني والتقني، أما الاقتصادات

(250) د. عبد الوهاب الأمين، النظم الاقتصادية، دراسة مقارنة-الرأسمالية-الاشتراكية-الإسلام، الكويت، 1986، ص48.

(251) د. حيدر غيبة، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، بيروت، 1995، ص14.

التي تخصصت في إنتاج المواد الأولية الزراعية والمعدنية فقد ركزت كل منها على سلعة أو سلعتين توجهان للتصدير بحيث تحدد إمكانيات الاستيراد نوعه ومداه ومن ثم إمكانية توفير شروط تحدد الإنتاج للفترة القادمة وهي شروط لا تتحقق إلا من خلال السوق الدولية⁽²⁵²⁾ ولمعرفة الاتجاهات الفكرية التي كانت تقود الاقتصاد الغربي في هذه الفترة نجد من المناسب عرض أهم المذاهب الاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك:

أولاً- المذهب التجاري:

قاد هذا المذهب في فرنسا أنطوان دي مونتكريتان وفي إنكلترا توماس من وفي إيطاليا أنطونيو سيرا وتمثل هدفه الرئيسي بتحقيق قوة الدولة عن طريق حصولها على المعادن النفيسة ذات القيمة النقدية؛ وقد نادى أصحاب هذا المذهب بتدخل الدول لتشجيع وزيادة الصادرات، وقد ظهر هذا المذهب بسبب حاجة الملوك والأمراء في الدول الناشئة لإيرادات خاصة للإنفاق على الجيوش وصيانة سيادة الدولة⁽²⁵³⁾.

(252) د. محمد دويدار، الخصائص العامة لحركة الاقتصاد الدولي في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص23.

(253) د. محمد إبراهيم غزلان، موجز في العلاقات الاقتصادية الدولية، تاريخ الفكر الاقتصادي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، دت، ص176.

ثانياً- المذهب الطبيعي:

وهو المذهب الذي ظهر مع نهاية القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر؛ وكان يدعو إلى وضع قيود على تدخل الدولة وإطلاق الحرية الاقتصادية الفردية ونادى بحرية التجارة كما عارض مبادئ التجاربيين على أساس أن الثروة إنما تكون من مستلزمات الحياة وأن النقود ليست سوى ثروة عقيمة وكان من أبرز أنصار هذا المذهب تورجو⁽²⁵⁴⁾.

ثالثاً- مدرسة الرأسمالية التنافسية:

ظهرت هذه المدرسة في القرن الثامن عشر ووقف على رأسها كل من كينيي و آدم سميث وريكاردو الذين وضعوا أسس السياسات الليبرالية الحديثة⁽²⁵⁵⁾. أكدت هذه المدرسة على ضرورة التنافس بين الأفراد في العملية الاقتصادية لتحقيق التوازن بين العرض والطلب في السوق؛ فقد شبه كينيي في كتابه (الجدول الاقتصادي) عام 1758 تداول الثروة بين الأفراد بالدورة الدموية داخل جسم الإنسان، فهو يرى أن الثروة تنشأ من الإنتاج ثم تتوزع إلى الأفراد من يد إلى أخرى ثم تعاد الكرة مرة ثانية لإعلاء هذه الدورة، كما أن السعادة عند الأفراد لا يمكن أن تتحقق إلا وفق المبادئ الطبيعية بإطلاق حرية الفرد ومنع

(254) د. محمد إبراهيم غزلان، المصدر نفسه، ص182.

(255) د. احمد حمدي حجازي، مصدر سابق، ص20.

تدخل الدولة في عمله وحياته الخاصة وقصر وظيفة الدولة على حماية الحريات من أن يعتدى عليها⁽²⁵⁶⁾.

أما آدم سميث فقد أكد في كتابه (ثروة الأمم) عام 1776 على أن زيادة الثروة ترتبط بالمصلحة الشخصية للفرد، فإذا رغب الفرد بتحسين حالته الاقتصادية تنطلق لديه حوافز المصلحة الخاصة وبذلك يتحرك النشاط الاقتصادي الرأسمالي⁽²⁵⁷⁾ كما أن رفاهية الأمم لديه تقاس بما تنتجه وتستهلكه من سلع وخدمات، وبهذا التفكير وصل آدم سميث إلى مبدأ تقسيم العمل الذي أصبح قاعدة أساسية في الاقتصاد العالمي حتى الوقت الحاضر⁽²⁵⁸⁾.

ثم جاء من بعده ديفيد ريكاردو صاحب النظرية النسبية في التجارة الخارجية التي اشترطت خفض التعريفات بأنواعها كاف بين كافة الدول وتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر وخفض الاستهلاك المحلي وتشجيع الاستثمار الإنتاجي لأغراض التصدير والاستفادة من خفض التكاليف في النقل والمواصلات وحرية تبادل العملات وبذلك أصبحت نظرية ريكاردو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الرأسمالية المعاصرة⁽²⁵⁹⁾. لقد استمر العمل بآليات السوق الدولية وفقاً لنظريات آدم سميث وريكاردو وإلى حين حدوث أزمة الكساد الكبرى في الاقتصاد العالمي 1933/5/29 في العالم، وفي هذا الوقت برز المفكر الاقتصادي (كنز) ليضع سياسات اقتصادية علاجية لتخفف حدة الأزمة وقد اعتمد كنز في آرائه على دعوته بضرورة تدخل الحكومات في النشاط الاقتصادي بوضع القيود الجمركية وزيادة الإنفاق العام على

(256) د. احمد شلبي، الاقتصاد في الفكر الإسلامي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ج4، ط6، القاهرة، 1978، ص278.

(257) روجيه غارودي، العولمة المزعومة، مصدر سابق، ص173.

(258) د. عبد الوهاب الأمين، مصدر سابق، ص47.

(259) برهان محمد نوري، آفاق التطورات الاقتصادية المعاصرة، العولمة وتحرير التجارة، بيت الحكمة، بغداد، 1999، ص91.

الخدمات فضلاً عن ضرورة تشغيل العمالة الكاملة. وقد أدى تطبيق نظرية كنز القائلة بالتشديد في سياسات النقد والمالية عندما يشكل التضخم تهديداً والتساهل في هذه السياسات عندما يشكل الانكماش تهديداً إلى نتائج إيجابية في المعالجة منها رفع النمو الاقتصادي وتقليل البطالة⁽²⁶⁰⁾.

المرحلة الثانية-التطور الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الحاضر:

أولاً- ظهور نظام النقد الدولي:

أن الدمار الهائل والفوضى التي خلفتها الحرب العالمية الثانية حرت بالدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية إلى التفكير في إعادة تنظيم ما خربته الحرب في كافة الميادين⁽²⁶¹⁾ فكان أن توصلت الدول المنتصرة في الحرب إلى إنشاء منظمتين دوليتين في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية هما صندوق النقد والبنك الدولي في المؤتمر الذي عقد في مدينة بريتون وودز شمال شرق الولايات المتحدة الذي أنهى أعماله في 22 تموز 1944 وتقرر أن يكون مقرهما في واشنطن العاصمة⁽²⁶²⁾.

صندوق النقد كان الهدف من تأسيسه استقرار وتثبيت سعر الصرف فضلاً عن سعيه إلى تطبيق مبادئ الحرية الاقتصادية على الصعيد الدولي⁽²⁶³⁾ أما البنك الدولي تأسس لأجل إعادة تعمير أوروبا الغربية وبناءها بعد الدمار الذي منيت به

⁽²⁶⁰⁾ مستر ترو، المتناطحون والمعركة الاقتصادية القادمة بين أمريكا واليابان وأوروبا، ترجمة محمد فريد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 1995، ص52.

⁽²⁶¹⁾ Leonardo Silk, America in the world economy, edited by: Richard Rose, Crace University press, London, 1996, P.158-159.

⁽²⁶²⁾ احمد جامع، العلاقات الاقتصادية الدولية، مصدر سابق، ص289.
⁽²⁶³⁾ هاشم حيدر، السيولة النقدية والبلدان النامية، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1977، ص64، نقلاً عن سناء كاظم كاطع، ص

جراء الحرب العالمية الثانية التي أشعلت فتيلها (ألمانيا) العضو الشرير في المجتمع الدولي⁽²⁶⁴⁾ وقد أسهمت الدولة التي أنشأت صندوق النقد الدولي في نسب معينة من رأسمالها بحسب إمكانياتها وطبقاً لأهميتها في المجال النقدي الدولي وقد جرى الاتفاق على القرارات يتم اتخاذها بالتصويت وعدد الأصوات يعتمد على حجم المساهمة في رأس مال الصندوق وعلى أساس ذلك فالدول الغربية تملك 62.3% من الأصوات وتملك الولايات المتحدة وحدها 20% من الأصوات⁽²⁶⁵⁾.

وعلى أساس ما تمخض عنه المؤتمر فقد تم تقييد حركة رأس المال لأن الدول الرأسمالية أرادت المحافظة على معدلات تبادل ثابتة ولكن في حقبة لاحقة من عقد الستينات حدثت سيولة انسيابية في رأس المال وتدفق عارم لحركتها عندما وجدت الدول الرأسمالية في سعر الصرف الثابت نوعاً من الجمود ولكن ذلك أدى إلى انفلات السيطرة على الحركة الدولية لرؤوس الأموال الأمر الذي أحدث اختلالاً في استقرار نظام النقد الدولي بسبب فشل الولايات المتحدة في المحافظة على قيمة الدولار الذي كان ثابتاً عند ولادة النظام⁽²⁶⁶⁾ ففي 18 آب 1971 أعلنت الولايات المتحدة في عهد الرئيس الأمريكي نيكسون عن عدم قابليتها تحويل الدولار إلى ذهب نتيجة ما لحق بميزان المدفوعات الأمريكي من عجز مستمر، وهذا الإجراء أدى بدوره إلى زيادة كميات الدولارات وانتقالها من الولايات المتحدة إلى الدول الأوربية فنجم عن ذلك حجم المضاربات على الذهب وزيادة نشاط الاحتكارات الدولية، الأمر

(264) د. رياض المؤمني، صندوق النقد الدولي وأزمة المديونية العلنية، مجلة اليرموك، ع27، عمان، 1989، ص44.
(265) المصدر نفسه، ص44-45.

(266) Dr. Girish Mishra, Globalization and India, Some Implication Review of International Affairs, No1089-90, February-March 2000, P.42. تقرير

الذي دفع إلى حدوث فوضى في المعاملات ومن ثم انهيار نظام النقد الدولي الذي كان أحد أسباب الأزمة الاقتصادية العالمية الجديدة⁽²⁶⁷⁾.

ثانياً- الاقتصاد الحر:

لقد استمر التعامل مع نظريات (كنز) الاقتصادية إلى بداية السبعينات حينما حدثت الأزمة الاقتصادية وعجزت نظريات (كنز) عن معالجتها مما أدى إلى نقدها من قبل كل من (ميلتون فريدمان وفردريش فون هايك) اللذان أكدا على أن سبب الأزمة يرجع إلى تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي وأطلقا بديلها لذلك وهو تقييد سياسة الحكومة والاتجاه نحو الخصخصة⁽²⁶⁸⁾ وتم وضع أفكار هذين المفكرين الاقتصاديين موضع التنفيذ بعد فوز حزب المحافظين في بريطانيا بزعامة تاتشر عام 1979 وفوز الرئيس الأمريكي ريغان عن الحزب الجمهوري في عام 1980، وهكذا تم نقل الاقتصاد من المحلي إلى اقتصاد السوق الذي تطلب وجود مؤسسات فاعلة لا تستطيع الدولة القيام بأعمالها فتم الاتجاه إلى الخصخصة عن طريق بيع الدولة مشاريعها وأسهمها كقطاع عام إلى المستثمرين وأصحاب الأموال من القطاع الخاص⁽²⁶⁹⁾. ومنذ ذلك الوقت دأبت السياسات الفردية لإرساء مفاهيم الاقتصاد الحر وتحويل هذه المؤسسات الدولية لخدمة هذه المفاهيم، وهكذا أصبح قانون السوق

⁽²⁶⁷⁾ Leonard Silk, (Op.Cit), PP.160-161.

نقلاً عن د. سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص .
⁽²⁶⁸⁾ د. جورج قرم، الفوضى الاقتصادية العالمية الجديدة، جذور إخفاق التنمية، تعريب خليل احمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1994، ص7.
⁽²⁶⁹⁾ محمد السيد رضوان تقرير:

Mohamed Elsayed Radwan, Institutional Aspects of Privatization a Comparative Approach in the ESCWA Region, Beirut, 1997, P.7.

نقلاً عن د. سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص138.

شريان الحياة لإعادة إنتاج المجتمع الرأسمالي ورفاهيته ولتجديد الرأسمالية التي تعاني من اختلالات هيكلية بإعطاء أولويات خاصة للعامل الاقتصادي⁽²⁷⁰⁾.

ثالثاً- فلسفة التنمية الغربية:

أن الفكر الغربي هو فكر مخطط لرسم استراتيجية اقتصاد عالمي منذ قرون عدة حيث تم خلالها وضع اللبنيات الأولى لتقسيم العالم الاقتصادي بين شمال منتج وجنوب مستهلك فتصبح من ثم حقيقة التنمية بصورة جلية بأنها عملية تكريس استتباعية على نحو يسهل انقياد العالم لنمط الحياة الغربي على فرض اللحاق بركب الحضارة ومن منظور غربي مفاده أن الذي لا يقتفي أثر خطواتك ويرفض السير خلفك قد تفقد تبعيته لك إلى الأبد وليس هناك أكثر فاعلية لضمان التبعية من أن تحاول إقناعه بأنه ليس هناك من هدف أكثر جدارة من أن يحاول اللحاق بك، وهذا بدوره يعتبر هدفاً كلما قطعت الدول الفقيرة نحوه شوطاً أمعن هذا الهدف في الابتعاد⁽²⁷¹⁾ وحيث أن اللحاق بركب الحضارة الأوروبية يستلزم إحدى وسيلتين كليهما مستحيل هما أما أن تتوقف الحضارة الغربية عن التطور والنمو انتظاراً لوصول اللاحقين بها وأما أن تتمتع الدول المتخلفة بقدرات خارقة أو معجزات تمكنها من تجاوز قرون عديدة لتلتحق بالحضارة الغربية. ذلك أن نظريات التنمية الغربية ليست نظريات إنسانية عامة تحدد التطور للمجتمع الإنساني نحو غايات مثالية وإنما

(270) د. سمير أمين، مناخ العصر، رؤية نقدية، مؤسسة الانتشار العربي، سينا للنشر، بيروت، 1999، ص14.

(271) د. جلال أمين، تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية، مطبوعات القاهرة، القاهرة، 1983، ص8.

هي رؤية العالم الغربي للعالم غير الغربي والتي تعكس مصالحه وتحيزاته وأهدافه ورؤيته لرسم خريطة الكون المستقبلية⁽²⁷²⁾.

فأوروبا بحسب الفكر الغربي تمثل قمة التطور البشري ونموذجها هو غاية ما وصلت إليه البشرية ولا بد لجميع المجتمعات والحضارات والثقافات الأخرى أن تسلك نفس الطريقة وتمر بنفس المراحل ونجد هذا منتشر في الأفكار والنظريات الأوربية التي اهتمت بدراسة العالم غير الأوربي ابتداءً من الاستشراق ومروراً

(272) د. نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، 1992، ص109.

بالانثروبولوجي وانتهاءً بالتنمية لأن أوربا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق كما أن آسيا بدايته كما يقول المجرم الألماني الذي لبس ثوب الفلسفة هيجل⁽²⁷³⁾ كذلك تتجلى الصورة النهائية لحركة التاريخ في أطروحات فرانسيس فوكويا في كتابه (نهاية التاريخ والرجل الأخير) وعلم الانثروبولوجي عندهم يستبطن تلك النظرة الاستعلائية حيث يتم تقسيم الشعوب إلى بربرية ومتقدمة وزراعية وصناعية وخرافية وعقلانية وسيطرت بعد ذلك فكرة المراحل على الأطروحات السياسية في الفكر الأوربي مثل فكرة المراحل الخمسة للتاريخ عند كارل ماركس ومثلها عند روستو وغيرها⁽²⁷⁴⁾.

وقد جاءت نظريات التنمية عندهم تجسد كل ذلك وتؤسسه وتغطيه صفة القانون العام الذي لا فكاك منه، وبناء على هذا التصور فإن تنمية العالم غير الغربي تبقى تابعة للنظام الغربي ما لم تتم معالجة الفجوة التكنولوجية الواسعة بين الشمال والجنوب ولا يتم ذلك إلا بالتفاعل بين الاقتصاد والتكنولوجيا⁽²⁷⁵⁾.

الاقتصاد والتكنولوجيا:

تعمل التكنولوجيا على رفع مستوى الإنتاجية وتحديث الاقتصاديات المهيأة للاستفادة من منجزات التكنولوجيا وقد تناول كل من آدم سميث وكارل ماركس بشكل واضح أهمية التكنولوجيا في الاقتصاد عندما طرحوا نظرياتهم عن الاختراعات وتقسيم العمل والتركييب العضوي لرأس المال، غير أن شارلس باباج أستاذ الاقتصاد في جامعة كامبرج (1791-1871) يعتبر بحق مؤسس اقتصاد التكنولوجيا حينما عالج بصفة عامة الاقتصاد وارتباطه بالتكنولوجيا في دراسة علمية منهجية كما اهتم

⁽²⁷³⁾ هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ج1، العقل في التاريخ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، ط2، بيروت، 1983، ص188.

⁽²⁷⁴⁾ د.نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، مصدر سابق، ص148.

⁽²⁷⁵⁾ المرجع نفسه، ص214-215.

بالاقتصاد السياسي وتطبيقات العلوم الطبيعية⁽²⁷⁶⁾. وتفترض نظرية المزايا النسبية للسويدي أو هلين توفر المنافسة في أسواق عناصر الإنتاج وتمائل دالة الإنتاج في جميع الدول ويجب أن تكون التكنولوجيا في متناول جميع المنتجين بدون حواجز جمركية أو تكليف نقل⁽²⁷⁷⁾.

نظرية الفجوة التكنولوجية:

في النصف الثاني من القرن العشرين حفلت الأدبيات الاقتصادية بدراسات ومناقشة واسعة حول أهمية التكنولوجيا في الاقتصاد والآثار المترتبة على تغييرها وأثرها في تقسيم العمل الدولي، ومن أهم هذه النظريات نجد نظرية الفجوة التكنولوجية التي تبرز دور التكنولوجيا في خلق المزايا النسبية وتعاملها كعنصر معزز لرأس المال وتقوم هذه النظرية على أساس أن هناك فجوة تكنولوجية بين الدول ويعتبر كل من جونسون ولاري Johnson, Lary من أبرز مؤيدي هذه النظرية ويطالبان بإعادة تعريف رأس المال يشمل أيضاً رأس المال البشري⁽²⁷⁸⁾؛ أما نظرية دورة حياة المنتج فتتناول التكنولوجيا بصورة أوضح إذ أنها تنطلق من أن المنتجات التكنولوجية الجديدة تمر بمراحل تمثل دورة المنتج وهي مرحلة الاختراع

⁽²⁷⁶⁾ Granstrand, Ove, Economic of technology, Amsterdam, 1994, PP.609.

نقلاً عن د. صلاح زين الدين، تكنولوجيا المعلومات والتنمية، ص 68.
⁽²⁷⁷⁾ د. صلاح زين الدين، الاقتصاد الدولي، مطبعة دار الشعب، مصر، طنطا، 1998، ص 179.

⁽²⁷⁸⁾ Lary, H.B. Imports of manufactures from less development countries, New York, London, 1968, P.27.

نقلاً عن د. صلاح زين الدين، مصدر سابق، ص 37.

وظهورها كمنتج جديد ثم نموه ثم مرحلة النضج ثم مرحلة التتميط وثباته في السوق أو اختفائه⁽²⁷⁹⁾.

وقد أدى التطور التكنولوجي إلى أن السلع التكنولوجية أو سلع دورة المنتج تصل إلى نحو 30% من حجم التجارة العالمية في السلع الصناعية ليهبط نصيب السلع التي تقوم على الموارد الطبيعية إلى نحو 8% كما أن معظم السلع التكنولوجية تنتمي إلى منتجات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتقدم تكنولوجيا المعلومات فرصة كبيرة لحدوث قفزة تكنولوجية في الدول النامية خاصة في مرحلة التتميط المتبع وذلك يتطلب توفير قوى عاملة ماهرة ومدربة وتوفير شبكة اتصالات ومعلومات جيدة تسمح بأن تكون الصناعة الوطنية على اتصال بالاقتصاد العالمي⁽²⁸⁰⁾.

أهمية رأس المال البشري لمواجهة الفجوة التكنولوجية:

لا يعتبر رأس المال العيني العنصر الوحيد الذي يتزايد بارتفاع مستوى الدخل القومي فتزيد أيضاً المهارة والمعرفة الفنية والإدارية وهي أساس رأس المال البشري أو تعتبر هذه العناصر مهمة لتكوين المزايا النسبية والقدرات التنافسية لأية دولة والأساسية للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجي وتشمل المؤسسات البحثية والهيكل الاجتماعية التي تتضمن أنشطتها أساساً للاكتشافات والإبداع والاختراع وشيوع

⁽²⁷⁹⁾ Johnson. H.G., The efficiency and welfare implication of international corporation, Cambridge press, 1970, P.35.

⁽²⁸⁰⁾ شريف دولار، التنافس في إطار النظام التكنولوجي الجديد في محمد السيد سعيد ومحرر الثورة التكنولوجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1996، ص74.

المعرفة العلمية⁽²⁸¹⁾. ولسد فجوة التكنولوجيا في الدول النامية لا يكفي مجرد امتلاك المعرفة الفنية কিفما اتفق، بل من الواجب امتلاك التقنية الملائمة للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والتي يمكن للمواطنين التعامل معها وتفيد في تشغيل عدد كبير من القوى العاملة؛ أن نقل التكنولوجيا يعبر عن وسيلة التنمية إلا أن نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة إلى الدول المتخلفة تكتنفه بعض العقبات والمشكلات. ولعل نقل رأس المال البشري (العلماء) أصعب من نقل رأس المال العيني، وقد أوضح تلك المشكلات قصور في نقل التقنية ومشكلة الكفاية في هذه التكنولوجيا⁽²⁸²⁾. أن دول الجنوب ترغب في الحصول على أحدث وأرقى أنواع التقنية العصرية، ربما يسبب الرغبة في سد النقص الاجتماعي والمعنوي لديها، وعدم معرفة كافية بحقائق الأمور؛ أما الدول الصناعية فترغب بنقل التكنولوجيا المتوسطة التي لا توجد في الدول النامية ويرى البعض انه من قبيل الخطأ اعتبار هذا الوضع مفيداً للطرفين خاصة عن دما تكون الـ

(281) المصدر نفسه، ص204.

(2) تقرير:

Maddison A., Foreign skills and technical assistance in development center, OECD (ed), Paris, 1965, P.1.

نقلاً عن د. صلاح زين الدين، مصدر سابق، ص79.

الصناعية غير قادرة على تقديم ما لا تريده الدول النامية⁽²⁸³⁾.

ويمكن للدول النامية في هذه الحالة الحصول على التكنولوجيا الحديثة عن طريق الشركات متعددة الجنسية دولية النشاط وبصفة خاصة عندما يوجد في الدول النامية مناخ استثماري مشجع للاستثمارات الأجنبية. أن عملية نقل التكنولوجيا بواسطة الشركات دولية النشاط لا يقتصر فقط على اختصار درجة كثافة العمل أو رأس المال في العمليات الإنتاجية وإنما يشمل أيضاً المعرفة الفنية والتنظيم والإدارة والتسويق والسبب في ذلك يعود إلى أن قدرة المشروع الاقتصادي على المنافسة الدولية ترتبط أساساً بالقدرة التسويقية سيحاورون هذه الشركات أصبحت تندمج تحت مظلة مجموعات مالية دولية⁽²⁸⁴⁾.

تطور التجارة العالمية:

يعد ازدهار التجارة مقياساً أساسياً للتطور الاقتصادي، فقدرة هذا الاقتصاد على دفع السلع خارج حدود منشأها واستيراد سلع وأموال بدلاً عنها يعني أن ذلك الاقتصاد في حالة تطور مستمر؛ وازدهرت التجارة العالمية طوال العصر الصناعي تقريباً بحيث تجاوز النمو السنوي للتجارة الناتج القومي الإجمالي في دول الاقتصاد

(283) تقرير:

Ritter J. Development of Labour-Intensive Technologies for Developing Countries in Giersh H. [Ed]: The International Direction of Labour, P.455.

(284) تقرير:

Mason, R.H., Observation on the end of technology multinational forms in developing countries, In review of economics, VOL. 55, 1973, PP.349.

المتقدم وكان الاستثناء الوحيد هو السنوات الواقعة بين عامي 1914-1950 عندما اعترضت حربان عالميتان وانتشار نظام الحماية نحو الازدهار العالمي السلمي للتجارة⁽²⁸⁵⁾.

على أن التجارة العالمية تمت سريعاً وبصورة خاصة خلال العقود الثلاثة التالية رغم البطء الذي لحق بالاقتصاد العالمي لاحقاً وانتشار عرضي لنظام الحماية وخاصة على حدود بلا تعرفه جمركية كسياسات وطنية وحصص استيراد⁽²⁸⁶⁾. وبين عامي 1950 و1985 وبينما نما الناتج القومي الحقيقي في العالم بنسبة ثلاثة أضعاف نمت التجارة العالمية سبعة أضعاف كما أن صادرات السلع نمت بأكثر من الضعف خلال العقد الذي انتهى عام 1987 من 120.16 مليون دولار إلى 249.57 مليون دولار، وبين الدول الصناعية الغربية تضاعفت نسبة

(285) تقرير:

Richard L., Kirkland J.R, Entering a new age of boundless competition, Fortune, 14 March, 1988, P.20.

نقلاً عن: ولتر ب. رستون، أفول السيادة، ترجمة سمير عزت نصار وجورج فوزي، مراجعة: د. إبراهيم أبو عرقوب، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان، 1994، ص 95-96.
(286) تقرير:

Transitional corporations in world UN center on transnational corporation UN, New York, 1988, P.20.

نقلاً عن: ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص 95-96.

التجارة الخارجية من الناتج القومي الإجمالي تقريباً منذ عام 1960⁽²⁸⁷⁾. وبحلول أواسط الثمانينات بلغت واردات وصادرات السلع في الولايات المتحدة أكثر من 15% من الناتج القومي، أما في أوروبا حيث الأسواق الداخلية أصغر من تلك الموجودة في الولايات المتحدة فقد كانت الأرقام أكثر إثارة للانتباه. فبحلول عام 1986 كانت تجارة السلع تمثل أكثر من 20% من الناتج القومي الإجمالي لفرنسا وأكثر من 40% من الناتج القومي الإجمالي لبريطانيا العظمى و50% تقريباً لألمانيا الغربية؛ لهذا كان إيجاد المجموعة الاقتصادية الأوروبية ضرورة حتمية⁽²⁸⁸⁾.

ومنذ عام 1965 ارتفعت حصة الأقطار النامية من صادرات العالم الصناعية من 7.3 إلى أكثر من 17% ومعظم هذه الزيادة تعود إلى الدول المصنعة حديثاً مثل هونغ كونغ وكوريا الجنوبية وسنغافورة والبرازيل التي تدرج ضمن أكثر عشرين بلداً مصدراً للسلع المصنعة⁽²⁸⁹⁾ كما أن الهند وأندونيسيا وغيرها تتقدم بسرعة والعديد من هذه البلدان -وكوريا الجنوبية مثل قوي- أصبحت قوى نشيطة في التنمية الإقليمية، ومع الازدهار المتنامي والأجور المرتفعة في الوطن بدأت شركات كثيرة بنقل الصناعات كثيفة العمالة إلى جيرانها الأقل تطوراً وبدورها ساعدت أولئك الجيران الأقل تطوراً على أن تصبح سوقاً أكثر أهمية

(287) New York Times report of numbers released by central bank, 14 September, 1989.

نقلًا عن ولتر ب. رستون، أفول السيادة، المصدر نفسه، ص 95-96.
(288) New York Times report, (Op.Cit). تقرير

(289) Kirkland E. boundless competition, P.4.

نقلًا عن ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص 99.

لصناعيي الأقطار المصنعة حديثاً، لقد نتج عن التسرع نحو اقتصاد عالمي تغيير أساسي في عمل العالم، وكانت القوة الدافعة لهذا التغيير هي (تقنية المعلومات) وخاصة الأهمية النسبية لرأس المال الفكري وعلاقته برأس المال العيني فرأس المال الفكري -الذكاء الإنساني- أصبح الآن العامل المسيطر في الإنتاج وأهم سوق جوهرياً في العالم أصبح سوق رأس المال الفكري⁽²⁹⁰⁾.

إن انفجار التجارة العالمي الهائل لم يخلق سوقاً عالمية فقط، بل أن شبكة المعلومات العالمية جعلت في الإمكان كذلك تقسيم العمل غير جميع حالات الإنتاج والتسويق مع اكتساب قيمة مضافة في عدة أقطار: فمثلاً سلعة معروضة بعلامة تجارية معروفة مثل أي بي أم IBM ستكون في الحقيقة مجرد واجهة تخفي قطعاً من أقطار مختلفة: فبنموذج IBM- 21B.S طراز 30-286 يحتوي على قطع دقيقة معالجة من ماليزيا ومولد ذبذبات من فرنسا أو سنغافورة ومصفوفة منطقية للتحكم من القرص وذاكرة ثابتة ومصفوفة رسومات فيديو من اليابان ودارات مدمجة من كوريا الجنوبية وDRAM من سنغافورة واليابان وكوريا وتجمع جميعها وتركب على شكل جهاز في فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁹¹⁾.

إن الكثير من هذه التجارة وخاصة الغنية بالمعلومات تتم أو تسهل بشبكة معقدة بدرجة متزايدة من التحالفات بين شركات تشترك في موارد تقنية وفكرية

⁽²⁹⁰⁾ ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص 99.

⁽²⁹¹⁾ Information from IBM, A letter dated November 10/1989 signed by D.S. Hager. تقرير

تقلاً عن والتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص 98.

ثمينة؛ وفي هذه المشاركة في رأس المال الفكري قد تأخذ السلع شكل منتجات متطورة متطورة تطوراً مشتركاً تصب كل منها في خطوط الآخرين وتورد مكونات حدود قاطعة للآخرين أو ببساطة توفير أفضل وأحدث التنافسات التقنية فائقة السرعة ومع الانتشار السريع والواسع للتقنية وإمكانيات التصنيع. لم يعد التوفير الدولي لمصادر المكونات المسعرة بصورة تنافسية شيئاً كمالياً؛ بل ضرورة لا تستطيع الأعمال في بلد أن تنعزل عنها وكما كتب كريستوفر بارثليت من مدرسة هارفرد للأعمال التجارية "لقد تجاوزت التنافسية مدى وصول شركة وطنية بكل معنى الكلمة"⁽²⁹²⁾.

لقد أصبحت التحالفات الصناعية والتسويقية العالمية هي القاعدة لا الاستثناء ومع ذلك فقد كان لسياسة الحماية الجمركية نتائجها إذ أن مقداراً عظيماً من التجارة تحول إلى استثمار أجنبي نظراً لتجنب الشركات لحواجز الحصص وغيرها من الأنظمة غير المرتبطة بالتعريفات الجمركية، بتجميع أو إنتاج منتجات نهائية في البلدان التي تنوي بيعها فيها، وهكذا تصنع شركة هوندا في أمريكا سيارات تزيد على تلك التي تصنعها في وطنها اليابان؛ وفي عام 1987 صنعت حوالي ألف وثلاثمائة شركة أمريكية وأوروبية وباعت ما تزيد قيمته على 260 مليون دولار من السلع في اليابان بما يعادل 10.9% من الناتج القومي الإجمالي الياباني⁽²⁹³⁾.

إن هذا النموذج التوسعي للتجارة العالمية هو في الغالب ناتج من تقنية المعلومات لا لأن شبكة الاتصالات الدولية جعلت المشاريع العالمية أكثر واقعية وحسب، بل لأن المنتجات أصبحت أسهل وأكثر ربحية للتجارة بعد أن أصبحت

تقرير. P.4. Quoted in Kirkland and boundless competition, (292)
نقلًا عن ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص102.

(293) Kenich Ohmae, The bordless work, Happer business, New York,
1990, P.14.

نقلًا عن ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص102.

المعلومات المصدر المسيطر في القيمة المضافة، فتكلفة نقل المنتوجات عالية التقنية حول العالم تشكل الآن نسبة مئوية تافهة من أسعار بيعها بسبب أن الاتفاقيات التجارية عبر الحدود ليست مقيدة بالتكلفة بقدر تقيدها بخيال المشاركين في عقد تلك الاتفاقيات⁽²⁹⁴⁾.

لقد كان من البديهي على مر العصور أن أول وأنقى مطلب للمجتمع البشري هو المعرفة العلمية ومعرفة نتائج التصرفات الاقتصادية وسواء كان الإنسان محافظاً أو متطرفاً مدافعاً عن الحماية الجمركية أو تأجراً حراً فمن المفيد أن يعرف أسباب ونتائج الظواهر الاقتصادية ومعلومات علمية كهذه مجانية القيمة تقريباً ومهما كان الذي يسعى المرء إليه فإنه سيحصل عليه بكفاءة أكثر كلما كانت معرفته بين العمل ونتائجه أفضل⁽²⁹⁵⁾. وعليه فيجب أن يكون هناك اعتماد أقل على المقاييس التقليدية كأرقام التجارة والميزانية التقليدية واعتماد أكثر على الإنفاق على البحث العلمي والتنمية وعلى مدى الاستثمار في الخارج ونسبة الصناعات وتحرك القوى العاملة وإنتاجية العمال ورأس المال ومساهمة المشاريع المطورة بطريقة جديدة⁽²⁹⁶⁾. وتتسارع الاتجاهات التي تجعل رأس المال الفكري نسبة متزايدة من الثروة القومية وعلى الأقل فإن 80% من العلماء اللذين عاشوا في العقدين الماضيين هم على قيد الحياة، ويمكن القول أن نصف البحث العلمي الذي تم في الولايات المتحدة الأمريكية قد تم الحصول عليه في العقدين الأخيرين أو الثلاثة أو الأربعة الماضية، ونظراً

⁽²⁹⁴⁾ نقلاً عن ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص102.

⁽²⁹⁵⁾ George Stigler, The economic as preacher Chicago University of Chicago press, 1990, P.6. تقرير

نقلاً عن ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص112، 121.

⁽²⁹⁶⁾ Financial Times, London, 9 January 1989. تقرير

نقلاً عن ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص112، 121.

لتضاعف المعرفة العلمية كل 10 أو 12 سنة فمن الواضح أن رأس المال الفكري للمجتمع البشري يتكون بصورة أسرع من تكون رأس المال العيني الملموس. أن هذا التطور الجديد سينتج من الدخل ولكن القاعدة الأساسية برأس مال المعرفة لا يمكن أن تحسب بين أربعة جدران ذلك أن الاستثمارات الفكرية تضيف قيمة أكبر على الاقتصاد بين عشية وضحاها تقريباً تزيد عما تضيفه سنوات من مكاسب مالية مستبقة بعناية وتوسع حذر في تحسينات المصنع المادية⁽²⁹⁷⁾.

الخصائص الاقتصادية للمعلومات:

أن تداخل علم الاقتصاد وعلم المعلومات جزء من التطور الاقتصادي إضافة إلى أنه جزء من ظاهرة نمو علم المعلومات عن طريق الارتباطات التشابكية بين العلمين وهذا التدخل فيما يسمى اقتصاديات المعلومات يدور حول مرتكزات فكرية من بينها الخصائص الاقتصادية المتميزة للمعلومات كمورد أو كسلعة اقتصادية وبالتالي فإن سوق المعلومات لا يتطور بالطريقة التقليدية؛ والنماذج الاقتصادية تبين عادة على افتراضات ومسلمات بأن لدى متخذي القرارات معلومات كاملة؛ وقاد هذا التفكير العالم الاقتصادي جورج ستجلر George Stigler إلى القول بأن المعلومات ليست مدخلات مجانية وأن النماذج الاقتصادية التي تتضمن عناصر المخاطرة وعدم اليقين قد ازدهرت في السنوات الأخيرة وهذه النماذج تحاول أن تضع بعض المسلمات الأكثر واقعية عن البيئة المعلوماتية ضمن النظرية الاقتصادية⁽²⁹⁸⁾. وبالنظر للتطور الهائل في الاقتصاد وأثر المعلومات في هذا التطور فقد أصبح للمعلومات صفات اقتصادية أهمها:-

⁽²⁹⁷⁾ ولتر ب. رستون، المصدر نفسه، ص 123.

⁽²⁹⁸⁾ ناريمان إسماعيل متولي، اقتصاديات المعلومات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1995، ص 30.

1- المعلومات سلعة:

يشير مفهوم المعلومات كسلعة عدة صعوبات على اعتبار أن للمعلومات خصائص اقتصادية مميزة فالمعلومات في هذه الحالة ليست سلعة خاصة أو سلعة عامة بصفة كلية، كما أن تطويع المعلومات لاستخدام أحد الأفراد معناه إمكانية استخدام أفراد آخرين للمعلومات نفسها دون حاجة إلى إنتاجها مرة أخرى لكل منهم أي أنه سوف لا يكون للمعلومات إلا تكاليف حدية أو منخفضة بالنسبة للمستفيدين الإضافيين. فالسلع الخاصة يتم استهلاكها كلياً بواسطة شخص واحد أما السلعة العام فهي سلعة أو خدمة لا تتأثر تكاليفها الكلية بعدد الأشخاص الذين يتم خدمتهم والسلعة العامة هي منتج وخدمة بدون تكاليف حدية للمستفيدين الإضافيين⁽²⁹⁹⁾.

(299) ناريمان إسماعيل متولي، المصدر نفسه، ص 43.

2- المعلومات كمنتج:

يجب هنا التمييز بين المعلومات وبين منتج المعلومات فالمعلومات هي نفسها محتوى تلك المنتجات وفكرة المنتج ترتبط بمفهوم التبادل الاقتصادي، والمعلومات يتم تبادلها من خلال منتجات المعلومات فتعطي قيمة للمستفيد، والمعلومات يمكن أن تستخرج كمحصول ثانوي لنشاط آخر وبالتالي فتكاليفها عادة ما تكون في فئة التكاليف المشتركة ويجب اعتبارها ضمن هذا السياق⁽³⁰⁰⁾. ومن الواضح أن العديد من منتجات وخدمات المعلومات تتمتع بصفات السلع الساحة إلا أن المعلومات تتميز بصفات خاصة أخرى مثل القدرة على المشاركة والقابلية للانضغاط والاستبدال وبذلك لا تعالج كالسلع الأخرى⁽³⁰¹⁾.

3- الاحتكار:

لما كانت المعلومات سلعة ذات قيمة في الاستهلاك والإنتاج فأنها ستحقق بعض المميزات عند ممارسة التحكم الاحتكاري على عرض هذه المعلومات في بعض الأحوال كما هو الحال في المعلومات السرية والخاصة والحكومية، وقد يمارس الاحتكار في القطاع الخاص عن طريق حقوق الطبع وبراءات الاختراع خاصة من قبل أولئك الذين يتبارون بالعلم؛ ولكن خاصية المعلومات المتصلة بعدم القدرة بالاستحواذ الكامل عليها تفعل مفعولها بالنسبة لدرجة الاحتكار⁽³⁰²⁾.

نماذج نمو اقتصاد المعلومات:

(300) محمد حسن كاظم، المعلومات، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005، ص54.

(301) نبيل علي، مصدر سابق، ص172.

(302) أسامة الخولي، المعلومات في الوطن العربي، مجلة العربي، ع281، الكويت، 1982، ص6-11.

1- الولايات المتحدة الأمريكية: نما قطاع المعلومات في الولايات المتحدة الأمريكية نمواً سريعاً لعدة عقود في النصف الثاني من القرن العشرين مع ما صاحب ذلك من سيادة مطردة في نسبة العاملين بالمعلومات في القوة الوظيفية الوطنية؛ وتبلغ الصادرات الأمريكية لقواعد البيانات وخدمات تجهيز البيانات من 5-10 بليون Billion دولار سنوياً، أما الصادرات الأمريكية الكلية لخدمات المعلومات والاتصال فتصل تقريباً إلى حوالي ثلاثين بليون دولار.

2- الصين: أما بالنسبة للصين، فقد ذهب عالم الاقتصاد الصيني سينان لي Sinan Li إلى أن اقتصاد المعلومات في بلاده هو القطاع المتنامي في عالم اليوم ويشكل نسبة 50% من إجمالي الناتج القومي⁽³⁰³⁾.

4- اقتصاد الاتصال:

تعمل وسائل الاتصالات الحديثة على تقليل الوقت وخفض تكلفة النقل وتسهل تخزين ومعالجة المعلومات وتعمل على اتساع حجم السوق ورفع القدرة التنافسية لانتشار عمليات التجديد والابتكار في مجال الإنتاج؛ وتستخدم طريقة معدل عائد الاستثمار في الاتصالات لتقدير منافع شبكة التلفون، وفي تقرير البنك الدولي حول التنمية في العالم لسنة 1994 يعطي متوسط معدل العائد المالي للاستثمار في مشروعات الاتصالات بنحو 20% وهو معدل مرتفع نسبياً وتوجد الآثار الخارجية

(303) Sinan Li, Initial analysis of the economy technological forecasting an social change, r.31, N4, July 1987, PP.373-376.

الإيجابية لشبكة التلغونات عادة في الناتج الإجمالي⁽³⁰⁴⁾ ولتقدير التأثير الكلي لشبكة الاتصالات على النمو والتطور الاقتصادي تحتاج إلى منافع الاستثمار في مجال الاتصالات وقد أجريت دراسات عديدة في جامعة هارفارد أثبتت أن الدول التي تتوفر فيها شبكة جيدة للاتصالات تحقق معدلات نمو اقتصادي أعلى⁽³⁰⁵⁾ ويجب النظر إلى عملية التطور الاقتصادي على أنها عملية متعددة الأبعاد، فالتطور الاقتصادي يتمثل في رفع مستوى الإنتاجية وتراكم رأس المال وكلاهما يمكن تفسيره بقوى أخرى مثل العوامل الجغرافية أو الحضارية أو الناتج القومي أما لدى النيوكلاسيك (المحافظين الجدد) فيعزى الناتج إلى التكنولوجيا ورأس المال العيني والعمل ويضاف إليها التعليم والمهنة الأساسية لرأس المال، وفي دالة الإنتاج نجد أن رأس المال العيني والبشري والبنية الأساسية لرأس المال هي عناصر مهمة في دالة الإنتاج⁽³⁰⁶⁾.

وفي الوقت الراهن بات مؤكداً أن تحديث الشبكات الاتصالية بكل أنواعها يجعل لها إنتاجية جيدة أعلى من الأنماط الأخرى لمكونات رأس المال؛ وحيث أن الاستثمار في إنشاء وتحسين شبكات الاتصالات له عائداً استثمارياً فإن هذا العائد

⁽³⁰⁴⁾ تقرير التنمية في العالم، عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1994.
⁽³⁰⁵⁾ Caning. D., Telecommunications infrastructure human capital and economic growth, Mimeo Harvard institute for international development, 1999. تقرير

نقلًا عن د. صلاح زين الدين، مصدر سابق، ص48-49.
⁽³⁰⁶⁾ Mankiw N.G. Romer and Weil D.N., A contribution to the empires of economic growth, Quarterly Journal of economics, Vol.10, 1992, PP.404-434. تقرير

نقلًا عن د. صلاح زين الدين، مصدر سابق، ص51.

الإضافي على مستوى الاقتصاد الكلي له آثار خارجية إيجابية Externality ولعل العائد المرتفع على الاستثمار في مجال الاتصالات أعلى منه في المجالات الأخرى فان هذا يعد برهاناً على الكفاءة الاقتصادية ويؤدي إلى تحويل الاستثمارات أكثر إلى مجال الاتصالات وبالتالي رفع معدلات النمو الاقتصادي ويلاحظ أن مدخل دالة الإنتاج يهتم فقط إلى جانب الإنتاجية بينما الكفاءة الاقتصادية في الحقيقة تتمثل في أن المنافع تفوق التكلفة⁽³⁰⁷⁾.

عولمة الاقتصاد:

1- النظرية:

منذ بداية المرحلة السلوكية وهناك صراع قديم بين المذاهب المختلفة في حقل التنمية السياسية حول اتخاذ السوق كمركز أم اتخاذ الدولة كمركز، وقد مثل الأول اليمين بمدارسه المختلفة ومثل الاتجاه الثاني اليسار باتجاهاته المتعددة وقد كان واضحاً أن اتخاذ السوق كمركز يعني تراجع الدولة والعكس بالعكس؛ وقد انتهى هذا الجدل السلوكي الذي تزامن مع انتهاء اليسار كقوة سياسية فاعلة في السياسة الدولية أو في المجتمعات المحلية مع نهاية الحرب الباردة⁽³⁰⁸⁾.

وبعد أن تزايد دور المؤسسات الدولية المالية مثل الصندوق الدولي وصندوق النقد الدولي وكذلك دور الدول المتقدمة التي تقدم مساعدات للدول النامية بدأت تبرز على الساحة الدولية، بصورة جلية، أطروحات محددة حول دور السوق ومحوريته

⁽³⁰⁷⁾ Caning. D., Telecommunications infrastructure and the internet mimeo, Harvard institute for international development, 1999. تقرير.

نقلاً عن د. صلاح زين الدين، مصدر سابق، ص 51.

⁽³⁰⁸⁾ Raplex, Op.Cit, P.2.

نقلاً عن د. نصر محمد عارف، مصدر سابق، ص 88.

ورفع شعار محدد هو (التكليف الهيكلي) الذي تضمن شعاراً آخر كان منه بمثابة الجوهر والمحتوى وهو دولة أقل وسوق أكثر⁽³⁰⁹⁾ Less state more market وقد عكس هذا الشعار تطور النظرية النيوكلاسيكية في الاقتصاد كله بحيث صار الإصلاح الهيكلي هو الشرط اللازم لجعل السوق أكثر فعالية ومن ثم وضعه في مراكز عملية التنمية وتحويل الدولة إلى الهامش⁽³¹⁰⁾ ثم جاءت فكرة (الخصخصة) والتي تعني أن الاقتصاد يجب أن يبني خارج إطار الدولة وأن يقوم على افتراض أن المالك الخاص لديه الرغبة والقدرة على الحفاظ على مستويات الكفاءة أكثر من مديري القطاع العام⁽³¹¹⁾، اعتماداً أعلى مفاهيم الرشاوى والمصلحة واليد الخفية وجميعها افتراضات أثبتت العديد من الأزمات الاقتصادية المتتالية في العالم الرأسمالي عدم إطلاق صحتها كما كان متصوراً، إنما هناك أوجه قصور متعددة تحيط بأسوأ اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية عدا عن قيم العدالة والمساواة كقيم إنسانية عليا لا يمكن تحقيقها من خلال اليد الخفية. وإبرازاً لمدى هيمنة أيديولوجية السوق كتب (Clapp) تحت عنوان (حرية السوق كدين مطلق) يقول ما يفيد أن المبدأ الخفي لأيديولوجية السوق يمثل تماماً فرقة أو جماعة دينية أصولية واليد الخفية تحكم الأحداث الإنسانية بمنطق لا يمكن اختراقه، إن إتباع العقيدة الصحيحة (عقيدة السوق) سوف يجازون بالرءاء المستقبلي ومن ظل عن هذه العقيدة لا بد له من العديد من التضحيات التي يجب أن تقدم كقربان وليس هناك قدر محدد من المعاناة الإنسانية ولا الدمار الطبيعي يمكن أن يقلل من كون هذه العقيدة هي الوصفة الناجعة أو يثبت

(309) Ibid, P.2.

نقلاً عن د. نصر محمد عارف، مصدر سابق، ص88.
(310) المصدر نفسه، ص88.

(311) Ibid, P.2.

المصدر نفسه، ص88-89.

خطأها وذلك لأن صحتها أبدية لا يمكن أن تخضع لإثبات الخطأ⁽³¹²⁾. ويخلص Clapp إلى التأكيد على أنه ليس هناك لاهوت أصولي أكثر سيطرة من هذه العقيدة أو أكثر إتساعاً من انتشارها⁽³¹³⁾. هذا التصور المركزي لدور السوق ومركزيته يبين إلى أي حد قد استطاعت أن تحل محل الدولة كما صورها هيجل أو غيره ممن تناولوا الدولة كمطلق إنساني ومحور لفعاليات المجتمعات والحضارات⁽³¹⁴⁾.

وقد أدى ذلك إلى تحول التركيز من الثقافة كأداة للتنمية إلى الاقتصاد وتحول الاهتمام من التنمية السياسية إلى التنمية الاقتصادية⁽³¹⁵⁾. بحيث لم يعد هناك محتوى يذكر لما كان يعرف بالتنمية السياسية حيث أصبح المتغير السياسي متغيراً تابعاً بصورة مطلقة للمتغير الاقتصادي أما الإصلاح الهيكلي هو أساس التحول الديمقراطي والخصخصة هي مقدمة الحرية والمشاركة السياسية والتعددية⁽³¹⁶⁾.

2- التطبيق:

(312) Jennifer Clapp, Threats to the environment in an Era of globalization, An end to state sovereignty in Schreker, Op.Cit, PP.123-137.

(313) John Mcmartry, The global market ideology anatomy of a value system in Schreker, ed, Op.Cit, P.104.

(314) د. نصر محمد عارف، التنمية من منظور متجدد، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007، ص89.

(315) Dkarenl Remner, Theoretical decay and theoretical development, The resurgence of institution analysis, World Politics, Issue No. 50, October, 1997, P.60.

نقلا عن د. نصر محمد عارف، ص89.

(316) د. نصر محمد عارف، التنمية من منظور متجدد، مصدر سابق، ص89.

من خلال التطورات المتسارعة التي شهدتها الاقتصاد العالمي خلال النصف الثاني من القرن العشرين يتضح أن الاقتصاد الحر والسوق الحرة فكرة بعيد المدى وضعت من قبل باحث غربي عام 1976 تفيد بأنها من أولويات السياسة الخارجية الأمريكية وما تزال تتبع نفس المنهج⁽³¹⁷⁾ إذ عن طريق هذا النهج تتم إعادة تقسيم العمل الدولي لصالح الدول الغربية وبقاء الدول النامية سوقاً منتجة للمواد الأولية وسوقاً استهلاكية لبضائعها، فدول المركز الاقتصادي العالمي (الولايات المتحدة-الاتحاد الأوروبي-اليابان) تؤمن بل وتعمل على أولوية الاقتصاد على جميع العوامل الأخرى وهو منطق السوق العالمية الذي أثر تأثيراً كبيراً على صورة العلاقات الدولية. ومن ضمنها العلاقات الاقتصادية⁽³¹⁸⁾. حيث غيرت العولمة من المفاهيم الاقتصادية التي كانت سائدة فما كان يدعى بالاقتصاد الدولي أصبح يعرف بالاقتصاد العالمي وهذا يعني الانتقال من اقتصاد تتمحور خلاياه القاعدية على الذات إلى اقتصاد معولم إنتاجياً وتكنولوجياً وخدمياً⁽³¹⁹⁾. فالاقتصاد المعولم يتقاطع مع التنظيم الدولي القائم على السياسات الوطنية حيث أنه يتطلب هيكلًا سياسياً يتفق معه، ولذلك فهو يدفع بتآكل الدولة وبروز هياكل جديدة تمثلت بالشركات متعددة الجنسية حيث تسعى دول المركز الاقتصادي إلى جر دول الأطراف بعلاقات اقتصادية غير متكافئة ينتج عنها إملاء شروط الشمال على الجنوب مع استمرارها كواقع لاستنزاف

(317) Leonard Silk, American in the World Economy, Op.Cit, PP.170-171.

(318) محمد محفوظ، الإسلام، الغرب وموارد المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص121.

(319) عبد علي عبد كاظم المعموري، العولمة: محاولة الرأس مالية التكيف مع أزمتها، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، س2، ع2، بغداد، 2000، ص19.

الأموال وتطبيق سياسة خضوع تلك الشعوب الفقيرة⁽³²⁰⁾. كل ذلك يجري تحت ما يسمى (عولمة الاقتصاد) وتعني هذه السياسة جعل الاقتصاد في جميع أنحاء العالم يتبع النظام نفسه ويطبق الأساليب ذاتها ويستعمل آليات اقتصادية معينة.

أن عولمة الاقتصاد تؤدي في الغالب إلى سلبيات كثيرة منها زيادة البطالة وإشاعة الفقر وتراجع دور الدولة ليكون دوراً رقابياً محدوداً وذلك كله يمنع من قيام بيئة مستقرة من شأنها أن ترفع من عملية التنمية، فعدم الاستقرار والتنمية عاملان لا يمكن أن يتعايشا بينهما شيئاً وإنما يؤدي عدم الاستقرار بالتنمية إلى التراجع إلى أوطأ مستوياتها⁽³²¹⁾.

(320) حيدر غيبة، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية، مصدر سابق، ص36.

(321) عبد الرحمن الحبيب، التنمية الاقتصادية العربية، الإمكانيات والتحديات في كتاب إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص27-28.

ومع تداعيات العولمة تحول العالم إلى مجموعة متشابكة من العلاقات الاقتصادية حيث تسعى العولمة الاقتصادية بالاتجاه نحو تشكيل مجموعات أو كتلت اقتصادية لمواجهة التقلبات في ميزان القوة الاقتصادية، وقد أقيمت العديد من هذه التكتلات مثل المنطقة الحرة في أمريكا اللاتينية المعروفة باتفاقية (نافتا) بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك وكندا فضلاً عن الاتحاد الأوروبي وتكتل آسيان والباسفيك وغيرها وحيث أن الاقتصاد العالمي يقاد حالياً من قبل ما يعرف (المركز الاقتصادي العالمي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والاتحاد الأوروبي أو أوروبا الغربية، فقد توقع أحد الباحثين بأن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن الصراع بين هذه القوى الثلاثة⁽³²²⁾).

⁽³²²⁾ يورغين دورمان، وجهة نظر، تحديات العولمة، مجلة اقتصاديات السوق العربي، شركة كندا، س2، ع23، 1998، ص42، نقلاً عن د. سناء كاظم كاطع، مصدر سابق، ص141.

المبحث الثالث التطور على الصعيد التقني (الفني - التكنيكي)

كان التطور العلمي والتقني هدف الإنسان منذ العصور القديمة في مختلف الشعوب من أجل تطويع وتكييف البيئة ووضعها في خدمة الإنسان، واختلفت هذه الطموحات لدى الإنسان من عصر إلى عصر وبرزت شعوب كثيرة في مجالات علمية دون غيرها متواصلاً مع التطور التقني الذي يشهده العالم في وقتنا الحاضر والذي جاء نتيجة لسلسلة من التفكير الإنساني المتواصل والمستمر. ويرى الدكتور عبد الحسن الحسيني أن هذا التطور قد مر بثلاثة مراحل رئيسية هي⁽³²³⁾:-

- 1- مرحلة العصور القديمة حتى سنة 1940.
- 2- عصر الحاسب من سنة 1940-1955.
- 3- عصر الكومبيوتر من سنة 1955 إلى الوقت الحاضر ونجد أن تقسيمات الدكتور الحسيني تتفق مع طموحنا لتغطية التطور التقني وصولاً إلى وقتنا الحاضر.

المرحلة الأولى- العصور القديمة حتى سنة 1940:

يعتبر علم الحساب أصل التطور التقني وقد قام هذا العلم على علم آخر هو علم العدد الذي تم تعريفه بأنه (لكثرة المركبة من الأحاد فالواحد إذن ليس بالعدد وإنما هو (ركن العدد)⁽³²⁴⁾. ثم صار التقسيم الزوجي والفردي وهو أساس علم الحساب

(323) د. عبد الحسن الحسيني، معجم مصطلحات المعلوماتية، دار القلم، بيروت، 1987، ص14.

(324) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب (387هـ)، مفاتيح العلوم، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، بلا، ص108، نقلاً عن: حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، 1977، ص89.

واختلفت الشعوب في كتابتها للأرقام فكتب المصريون القدامى الأرقام 1، 2، 3 على شكل خطوط عمودية وكتبوا العشرة على شكل حدوة الحصان والألف على شكل زهرة اللوتس، واستخدم البابليون أشكالاً مسمارية أفقية وعمودية في كتابة الأرقام أما الإغريق فقد استخدموا الحروف الأولى لكلمات الأعداد ففي كتابة الأعداد نفسها منذ زمن سولون (640-588 ق.م) وحتى قبل مجيء المسيح (ع) بمئة سنة تقريباً كانوا يعبروا عن شكل الأعداد والأرقام بالحروف الهجائية مع إضافة بعض الرموز القليلة المقتبسة من الأمم السامية⁽³²⁵⁾.

العصور الوسطى:

في العصور الوسطى انتقلت الأرقام الهندية إلى العرب عندما قدم إلى بلاط الخليفة العباسي أو جعفر المنصور الفلكي الهندي (كانكا) وحمل معه كتاباً بالحسابات تم ترجمته إلى اللغة العربية وبذلك حلت مشكلة شعوب البحر الأبيض المتوسط في مسألة الأرقام. وفي هذه العصور نبغ العالم العربي الرازي في علم الحساب والكندي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الذي لقب بفيلسوف العرب⁽³²⁶⁾ وفي الجبر ظهر الخوارزمي أول علماء العرب في الرياضيات. ومع توسع الحضارة العربية الإسلامية جرى الاختلاط مع الأمم الأخرى فانتقلت العلوم وانتشرت بين الأمم المختلفة⁽³²⁷⁾.

⁽³²⁵⁾ المصدر نفسه، ص117.

⁽³²⁶⁾ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق، الفهرست، القاهرة، بلا، ص406، نقلاً عن: حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، 1977، ص91.

⁽³²⁷⁾ ابن النديم، المصدر نفسه، ص397.

وفي أوروبا بدأ عصر النهضة فصنع العالم الفرنسي بليز باسكال أول أداة حاسبة في القرن السادس عشر وكانت ميكانيكية وبطيئة وكلن ظهورها وضع فكرة صنع الآلة الحاسبة موضع التنفيذ؛ بعد ذلك ظهرت حاسبة نابير Napper وكان بإمكانها القيام بعملية الضرب لكنها كانت محدودة الفاعلية في الناحية العملية لكونها قليلة السرعة في تنفيذ العمليات المطلوبة وعدم تمكنها من القيام بعمليات حسابية معقدة أبعد من الجمع والضرب فضلاً عن كثرة الأعطال الممكن حدوثها واستمر الحال على هذه الشاكلة حتى قيام الثورة الصناعية⁽³²⁸⁾.

الثورة الصناعية:

قسم الباحثون الثورة الصناعية في أوروبا إلى ثلاثة مراحل وكل مرحلة سموها ثورة صناعية⁽³²⁹⁾.

1- الثورة الصناعية الأولى:

بدأت الثورة الصناعية في أوروبا بعد عام 1700م وانطلقت في النصف الثاني من ذلك القرن بشكل بطيء ولكنها بدأت تغير حياة الإنسان ما لم تحققه أية ثورة سياسية⁽³³⁰⁾ فحققت منتجات جديدة من الأدوات والمواد وطرق العمل في صنع الأشياء وخفضت كثيراً من أسعار البضائع وقد ساوت في طريقها بين الأفكار المقتبسة والمستعارة وما ورثته من تكنولوجيا العصور الوسطى المحددة؛ فقد تم إنشاء أول مصنع للحريز على نهر ديرونت في إنكلترا عام 1721 وفي عام 1764

(328) د. عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص16.

(329) أنطوان زحلان، العولمة والتطور التقني في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2000، ص83، (مجموعة باحثين).

(330) روي فوكس، عالم التكنولوجيا اليوم، ترجمة وديعة محمد سعيد الهلالي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1990، ص25.

اختراع هاركر دولاب الغزل وأنجز المهندسون عدة اختراعات قدمت مساعدات للمعامل بوجه عام وجنباً إلى جنب مع اختراع الآلات الجديدة بدأت طرق جديدة في تنظيم العمل وتم الانتقال من الخشب إلى الفحم الحجري الذي حل محله كوقود وباستخدامه تم تطوير الحديد في الصناعة.

وقد كان الواقع وراء الثورة الصناعية هو وجود الأسواق الكبيرة غير المحدودة للبضائع الاستهلاكية كالملابس والأواني الفخارية والأدوات المعدنية؛ وقد غزا الإنتاج الواسع للمعدات الحديثة للمكائن وساعد استعمال السكك الحديدية على تقدم إحدى الصناعات المهمة وهي الهندسة الميكانيكية⁽³³¹⁾.

2- الثورة الصناعية الثانية:

كانت المدة بين سنة 1851 و 1942 وهي ما عرفت بالثورة الصناعية الثانية حافلة بالإبداعات والابتكارات العظيمة والتغيرات التقنية السريعة؛ فقد فتحت دائرة تسجيل براءة الاختراع في الولايات المتحدة بتسجيل (36000) ست وثلاثين ألف اختراع ابتداءً من تأسيسها في القرن الثامن عشر حتى عام 1860 ولكنها نظرت في عام 1890 فقط في (444000) أربعمئة وأربع وأربعين ألفاً⁽³³²⁾.

وتطورت في هذه الفترة صناعة الفولاذ ودخل في إنشاء السكك الحديد وأجهزة المكائن والحركات كما استخدم الفولاذ مادة للهدم والتخريب فقد تفوقت البنادق والأسلحة المصنوعة منه على تلك القديمة المصنوعة من الحديد المطاوع، وفي عام 1880 نجح سوان من بريطانيا وأديسون في أمريكا من صنع مصابيح إضاءة مرضية واشترك الاثنان في تشغيل منظومة كاملة لتجهيز الطاقة الكهربائية

(331) المصدر نفسه، ص26.

(332) المصدر نفسه، ص25.

تتضمن أول المحطات الكهربائية الكبيرة التي افتتحت في لندن ونيويورك عام 1882. وهكذا؛ فقد أحدث دخول الكهرباء إلى الصناعة نقطة انطلاق كبرى في التطور التقني للآلات والاتصالات؛ وظهر الراديو واللاسلكي ثم بدأ صنع السيارات عام 1892 وتطورت وتوسعت حتى أصبح لدى بريطانيا وحدها عام 1910 (30.000) ثلاثون ألف سيارة وتم التوصل إلى صنع أول طائرة عام 1903 سميت فرايمر؛ ثم دخل عصر الإنتاج الواسع Mass Production مع بداية دخول القرن العشرين (333).

تطور وسائل الاتصال:

تعتبر الحرب العالمية الأولى 1914-1918 الموصوفة بالحرب الشاملة نقطة الإنطلاق لوسائل الاتصال، إذ لفتت أنظار المختصين إلى ضرورة إدارة الرأي العام من قبل الحكومات سواء تعلق الأمر بالرأي العام في الدول الحليفة أو المناوئة (334) وقد عرفت تقنيات الاتصال بعد الحرب العالمية الأولى ابتداء من التليفون والسينما وصولاً إلى الاتصالات الإذاعية؛ قفزات واسعة لم تعرفها من قبل؛ وقد أولى (لاسوال) أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو الأمريكية اهتماماً مركزياً للمسائل المتعلقة بالدعاية وفي دراسته الموسومة (علم النفس المرضي والسياسة) عام 1920 ركز على موضوعات الرأي العام والانتخابات والشأن العام وتحليل السير الذاتية

(333) المصدر نفسه، ص28.

(334) Umbrto Eco, "Pierce and contemporary, versus, 1976, No.15, internet.

نقلاً عن أرمان وميشال ماتلار، ص47.

للقيادة المصلحين أو الثوريين⁽³³⁵⁾. أما الثلاثينات من القرن العشرين فقد كانت نقطة انطلاق لما عرف بالسياسة الجديدة وتقنيات تشكيل الرأي العام حيث ارتبط الأمر بتبعية الرأس العام للخروج من الأزمة، وقد تم من الناحية العملية إعطاء أفضلية لبعدين في هذا البرنامج هما دراسة التأثيرات وما يرتبط بها نسبياً وتحليل المحتوى (analysis) الذي أعطى الباحثين وأمرهم بمعطيات جديدة تمكنهم من تفضيل مقارباتهم حسب بيرلسون إلى التوصيف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر للاتصال⁽³³⁶⁾.

ويرى (لأسوال) أن عملية الاتصال ترمي إلى تحقيق ثلاثة وظائف رئيسية هي:-

- 1- مراقبة المحيط من خلال الكشف عما يمكن أن يهدد أو يخل بنظام التقييم لمجموعة ما.
- 2- ربط مجموع الأجزاء المتشابكة لمجتمع الإنتاج استجابة تجاه المحيط.
- 3- نقل التراث الاجتماعي⁽³³⁷⁾.

ويعود تاريخ ظهور المفاهيم الأولى لتيار بحوث وسائل الاتصال الجماهيري لسنة 1927؛ أن هذه الأطروحات قد وجدت لها صدى كبيراً وكان لها تأثيرات كبيرة

⁽³³⁵⁾ أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة د. نصر الدين العياضي ود. الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص47-49.

⁽³³⁶⁾ Bernard Berelson, Content analysis in communication research, Glencoe il: Free Press, 1952, D. .

نقلاً عن أرمان وميشال ماتلار، ص51.
⁽³³⁷⁾ Harold Lasswell, The structure and function of communication of idea, New York, 1948, D.

خارج الولايات المتحدة حيث قامت علاقات واسعة مع الجماعة العالمية شكلت ما سماه البعض مؤسسة علمية عابرة للقارات⁽³³⁸⁾.

وقد اقترح الأمريكي شانون في تلك الفترة ما أسماه (نظام عام للاتصال) حيث أشار إلى أن مشكلة الاتصال تكمن في إعادة إنتاج رسالة ما بطريقة دقيقة أو تقريبية من نقطة مختارة إلى نقطة مختارة أخرى. ففي هذه البنية الخطية تحدد الأقطاب مصدراً ونهاية يركز الاتصال على مكونات (المصدر) الذي يقوم ببث الرسالة و(المرسل) الذي يقوم بتحويل الرسالة إلى إشارات قابلة للإرسال و (القناة) وهي الوسيلة المستخدمة في نقل الإشارات (الكابل الهاتفي) و (مفسر الشفرة) والمتلقي الذي يقوم بإعادة بناء الرسالة بالاعتماد على الإرشادات وأخيراً (الوجهة) وهي الشخص أو الشيء الذي تنقل إليه الرسالة⁽³³⁹⁾.

لقد مثلت هذه النظرية ذروة الجهود البحثية في تطور الاتصال والتي بدأت في العقد الأول من القرن العشرين بجهود عالم الرياضيات الروسي (ماركوف) حول نظرية الرموز التسلسلية في الأدب وقد تواصلت هذه الأبحاث مع فرضيات العالم الأمريكي (هارتلي) الذي اقترح عام 1927 الوحدة القياسية الأولى الدقيقة لقياس المعلومات في ارتباطها ببث الرموز ولاحقاً ظهر عالم الرياضيات البريطاني (ألن تورنغ) الذي ابتكر عام 1936 مخططاً بيانياً لألة قادرة على معالجة المعلومات، وفي الثلاثينيات أيضاً وفي الولايات المتحدة صنع (فانيفر بوش) محلل تفاضلي ميكانيكي لحالة تكامل المعادلات التفاضلية العادية⁽³⁴⁰⁾.

⁽³³⁸⁾ Michal Pollak, "Panl lazarsfeld dune multinational scientifique", Actesdela, 1979, No.25.

نقلا عن أرمان وميشال ماتلار، ص52.

⁽³³⁹⁾ ارمان وميشال ماتلار، مصدر سابق، ص71.

⁽³⁴⁰⁾ د. عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص23.

المرحلة الثانية 1940-1955 عصر الحاسبات:

بناء على طلب الجيش الأمريكي استطاع (فون نورمان) المساهمة في بناء حاسبة آلية إلكترونية لقياس مسارات الصواريخ عام 1940 وفي نفس العام قام (نوربوت فيبر) بتصوير حاسباً بشبكة قادراً على حل المعادلات بالمشقات الجزئية وبالتوازي أما (هوارد هايكن) من جامعة هارفارد ومعه مجموعة عمل للتلفون فقد كانوا الأوائل في تنفيذ الأفكار على الحاسبات الأتوماتيكية بواسطة متتاليات منتظمة وتخزين ميكانيكي في مختبرات بيل Bell⁽³⁴¹⁾. فقد استطاع البروفسور آيكن من جامعة هارفارد تطوير أحد الأجهزة إلى حاسبة إلكترونية متقدمة أطلق عليها اسم (مارك) وتم استعماله في الأسطول الأمريكي عام 1944؛ أما الألمان فقد بدأوا منذ أوائل عام 1941 في استعمال حاسبة كهربائية أصغر ولكن أسرع وبإمكانها القيام بالبرمجة⁽³⁴²⁾. ثم توالى بعد ذلك الاكتشافات بشكل متسارع في أنحاء مختلفة من العالم وتم تأسيس شركات تكنولوجية عملاقة استطاعت أن تمد الصناعات المختلفة بما تحتاج إليه؛ ففي الاتحاد السوفيتي درس (ليديفت) من أكاديمية العلوم في أوكرانيا ابتداءً من العام 1942 الآلة IMESM ووضعها في سنة 1949-1950 في خدمة حسابات الأهل الاصطناعية سبوتنيك. وفي الشركة الفرنسية للآلات بول (Bull) قام (برونو لوكيرك) و (هنري مينسيل) بإخراج الآلة GAMMA3 سنة 1951 وهي عبارة عن حاسب بخط تأخير وأجرى إضافة طبل مغناطيس إليه سنة 1955 وفي استراليا والسويد صنعت آلات من نوع (أدفاك) سنة 1952⁽³⁴³⁾.

⁽³⁴¹⁾ روي فوكس، مصدر سابق، ص 89.

⁽³⁴²⁾ روي فوكس، مصدر سابق، ص 89.

⁽³⁴³⁾ د. عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص 27.

القنبلة النووية Nuclear Bomb:

لقد قاد استمرار الحرب العالمية الثانية واضطراد التقدم والتطور التقني وهوس الاكتشافات إلى نوع من التفكير العلمي الإجرامي الذي يهدد الجنس البشري بالفناء وهو صنع القنبلة النووية، ففي عام 1941 أصبحت القنبلة النووية مشروعاً ذا أولوية على جانبي المحيط الأطلسي وقد أخفاها البريطانيون تحت غطاء شركة تدعى (سباتو للأنايب) وكان العمل يجري بسرية تامة كما هو الأمر مع مشروع (مانهاتن) الأمريكي لدرجة أن معظم الذين كانوا يعملون فيها لم تكن لديهم أية فكرة عن ماهية العمل الذي يساعدون في صنعه؛ كما وأبقى مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكيان في الظلام؛ ودفنت المبالغ الهائلة المصروفة للمشروع ومقدارها (2000) ألفي مليون دولار أمريكي في حساب الحكومة الأمريكية⁽³⁴⁴⁾. وبحلول عام 1942 كان واضحاً أن العلم كان على قدر من الجسامة بالنسبة لبريطانيا بمفردها فقدمت علمائها إلى الأمريكيين، وفي نفس العام شيد فريق أمريكي تحت رئاسة (فيرمي) أول مفاعل ذري وتوصل إلى سلسلة منطلق من التفاعل. وفي تموز عام 1945 فجر مختبر لوس ألاموس في نيومكسيكو برئاسة (أوبنهايمر) أول انفجار ذري؛ وعندما رأى أوبنهايمر غيمة الفطر كانت الكلمات التي حضرته في وقتها هي كلمات (كالي) آلهة الدمار الهندية (أصبحت ملك الموت ومحطم العوالم) وهناك في هيروشيما وناكازاكي في اليابان حقق أوبنهايمر طموحه عندما تم تدمير هاتين المدينتين اليابانيتين بالقنابل الذرية في آب عام 1945 وبذلك دخل العالم مرحلة الرعب النووي

⁽³⁴⁴⁾ روي فوكس، مصدر سابق، ص98.

ومعه بدأ سباق التسلح مبنياً على الأفكار العلمية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين⁽³⁴⁵⁾.

أن جرد جميع الاختراعات التي جاء بها العلماء خلال هذه المرحلة أمر غير ممكن وأحد الأمثلة هو تقديم اللدائن الجديدة والمثال الآخر هو الإنتاج الواسع للبنسلين والمضادات الحيوية ثم مادة DDT للقضاء على الحشرات وأقراص دوار البحر التي كانت جزء من التحضيرات ليوم الإنزال على نورماندي. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ابتدأت الحرب الباردة وتركت طابعها على التكنولوجيا العالمية فظهرت الطائرات النفاثة وفي عام 1953 ظهرت طائرة الكوميت وفي تلك الأثناء تحولت القوات الجوية إلى الطائرات النفاثة وجرت أولى معاركها في الحرب الكورية عام 1952⁽³⁴⁶⁾.

المرحلة الثالثة 1955 إلى الوقت الحاضر عصر الكومبيوتر:

مع دخول العالم النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الثورة الصناعية الثالثة بتطور تكنولوجيا المعلومات ويشبه تأثير المعلومات في الثورة الصناعية الثالثة إلى حد كبير تأثير طباعة الكتب وتطور التعليم في الثورة الصناعية الأولى⁽³⁴⁷⁾. من تكنولوجيا المعلومات غيرت وجه الحياة وزادت من سرعة التغيير الاقتصادي والاجتماعي وأحدثت ثورة جديدة في مجال التعليم والبحث العلمي وستتبع وسائل تعليمية رخيصة ترفع من كفاءة الموارد البشرية وأصبح الكومبيوتر

⁽³⁴⁵⁾ روي فوكس، المصدر نفسه، ص 91.

⁽³⁴⁶⁾ روي فوكس، مصدر سابق، ص 92.

⁽³⁴⁷⁾ بيل جيتس رئيس مجلس إدارة شركة ميكروسوفت المعلوماتية يعد الانترنت طريق المستقبل، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة 2314، الكويت، 1998، ص 41، نقلاً عن د. صلاح زين الدين، مصدر سابق، ص 14.

ووسائل الاتصال الحديثة منافساً خطيراً للكتاب ونظم التعليم التقليدية؛ وفي هذا
الصدد يورد بيل جيتس Bill Gates آراء بعض الأكاديميين اللذين يرون أن
الصراع بين الدول سيكون في المستقبل حول السيطرة على المعلومات وليس على
الموارد الطبيعية⁽³⁴⁸⁾.

(348) المصدر نفسه، ص14.

أن التطور التقني الهائل ما كان ليحدث أو أن يلج العلماء أبواباً جديدة ما كان لأحد أن يفكر بها لولا أن درجة ثقافة المعلومات قد بلغت في طورها شوطاً بعيداً وغير مسبوق. ففي عام 1957 أطلق الاتحاد السوفيتي القمر الصناعي (سبوتنك) إلى الفضاء الخارجي فذهل العالم، وفي عام 1969 نزل الأمريكي (ارمسترونك) على القمر كأول إنسان، وغيرت تقنية الأقمار الصناعية العالم إلى الأبد فهي تربط العالم الآن في بنية تقنية إلكترونية تنقل الأخبار والمال والبيانات إلى أي مكان في العالم بسرعة الضوء⁽³⁴⁹⁾.

لقد حل الحاسوب (الكومبيوتر) حتى الآن محل العديد من مديري البنوك وموظفيها بالآلة الحاسبة ويمكن تسجيل حجوزات السفر بالطائرة عن طريق الكومبيوتر؛ ويتوقع أن يلعب اضطراب التطور التقني في الآلات والمعلومات دوراً استراتيجياً في زيادة البطالة في البلدان ذات المستويات المنخفضة في المواد البشرية ويقدر (ريفكن) أن هنالك الآن نحو 800 مليون عاطل عن العمل في العالم⁽³⁵⁰⁾.
وبالنظر للدور الهائل والمؤثر الذي تلعبه تقنية المعلومات والاتصالات في أوجه الحياة المختلفة نجد من المناسب. ونحن في عصر التطور التقني أن نورد طبيعة وخصائص هذه التقنية ولو بشكل مختصر متسلسلة بالتالي:-

1- الحاسبات الإلكترونية-الكومبيوتر.

2- التصوير الفوتوغرافي الرقمي.

3- الألياف الضوئية.

⁽³⁴⁹⁾ ولتر ب. رستون، أفول السيادة، مصدر سابق، ص149.

⁽³⁵⁰⁾ Jermy Rifrin, Technology, Jobs and your future, New York, G.P. Putnam's sons, 1995, PP.58-59.

نقلاً عن أنطوان زحلان، العولمة والتطور التقني في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص84.

- 4- المايكروويف.
- 5- الاتصالات الرقمية.
- 6- الاتصال الخلوي.
- 7- شبكات المعلومات.
- 8- الانترنت.
- 9- النشر الإلكتروني للمعلومات.
- 10- الوسائط المتعددة والخزن المصفر.

أولاً- الحاسبات الإلكترونية Computers:

1- دور العرب في التمهيد لصناعة الكومبيوتر.. (ثورة الصفر):

من المعروف أن أوربا كانت حتى الثورة الصناعية تستعمل الأرقام الرومانية التي لا تحتوي على جميع الرموز المؤلفة للأرقام فليس فيها رقم اثنين أو ثلاثة أو الصفر وهذا يحد من استخدام العمليات الحسابية وبالتالي يحد من استخدام الأرقام في الآلة الحاسبة ويحد من وضع الشفرة (Code) ومن إمكانية برمجة المسائل. ومع دخول القرن الثامن عشر وقيام الثورة الصناعية تحولت أوربا إلى استعمال الأرقام العربية بما فيها الصفر (0) والنظام الحسابي العشري العربي، وهكذا فقد كان لظهور رقم الصفر أثراً كبيراً في تسريع تطور الحساب والرياضيات وبالتالي علم الحاسبات الإلكترونية لاحقاً نظراً لأهمية أرقام الصفر (0) والواحد (1) في علم الحساب⁽³⁵¹⁾.

ومع البدء باستعمال النظام الحسابي العربي والأرقام العربية ومنها (الصفر) و (الواحد) جاء جورج بول ليضع ويطور النظام الثنائي للحساب وليضع أساس

(351) د. عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص9.

وأصول الرياضيات المنطقية أو ما يسمى باسمه (جبر بول) موضع التنفيذ، ومن المعلوم أن النظام الحسابي الثنائي يعتمد بصورة أساسية على وجود الأرقام صفر وواحد إذ لا يستعمل دونهما شيء من الأرقام⁽³⁵²⁾ وعلى أساس الرياضيات المنطقية والنظام الحسابي الثنائي تم تصحيح الدوائر الإلكترونية التي تقوم بعمليات الجمع والطرح والضرب المنطقية بالنظام الثنائي وهذه الدوائر هي (OR, AND, NAND, NOR) فبواسطة هذه الدوائر يمكن للمهندسين تصميم الآلات الحاسبة الرقمية⁽³⁵³⁾.

2- مراحل الحسابات الإلكترونية:

يرى الباحث العربي نبيل علي أن صناعة الحاسبات الإلكترونية Computers اتخذت منذ ظهورها مساراً تطورياً من عدة نقالات يرمز إليها بالأجيال الأربعة وهي:-

- 1- الجيل الأول (1948): استخدم فيه الصمام الإلكتروني كوحدة البناء الرئيسية لتطوير حاسبات ضخمة يقدر وزنها بالأطنان.
- 2- الجيل الثاني (1958): حل فيها الترانزستور محل الصمام الإلكتروني لتصبح أسرع وأكفاً وأصغر.
- 3- الجيل الثالث (1964): جاء نتيجة استخدام شرائح الدارات المتكاملة.
- 4- الجيل الرابع (1982): يختلف عن سابقه في كثافة العناصر الإلكترونية.

(352) المصدر نفسه، ص9-10.

(353) المصدر نفسه، ص10.

5- الجيل الخامس (1982-1992): دخلت اليابان من الشفرة الموجودة بين

إمكانيات العتاد وقدرة البرامجيات وفرضت اليابان بذلك هيمنتها على ثقافة

المعلومات وهي التي أطلقت عليه تسمية الجيل الخامس⁽³⁵⁴⁾.

3- المحتويات:

الحاسبة الإلكترونية (الكومبيوتر) تتضمن وسائط تخزين البيانات المختلفة

ووسائل الاتصال بأنظمة الحاسبات وتعتمد في الوقت الحاضر على نظم الوسائط

المتعددة وهي تركز على مخاطبة المراكز الإدراكية للإنسان كذلك النظم المدمجة

والتي تحتوي على جميع النظم التي تشمل الحاسبات كجزء أساسي فيها⁽³⁵⁵⁾. ومع

تطور أساليب الذكاء الاصطناعي ارتفعت هذه الآلة الصماء لتصبح آلة لمعالجة

المعارف وعليه يمكن القول أن الفكرة الذهبية وراء تطور البرمجيات هي إدراك

الفروق الجوهرية بين البيانات والمعلومات من جانب والمعلومات والمعارف من

جانب آخر وهكذا خرج إلى الوجود مفهوم (هندسة المعرفة) ونظمها الخبيرة

Expert Systems التي تحاكي الخبير البشري كتلك المستخدمة في تشخيص

الأمراض وتصحيح النصوص وتلقين العلوم⁽³⁵⁶⁾.

ثانياً- التصوير الفوتوغرافي الرقمي Digital Photography:

⁽³⁵⁴⁾ نبيل علي، ثورة المعلومات، الجوانب التقنية (التكنولوجية) في كتاب العرب والعلوم، مصدر سابق، ص105.

⁽³⁵⁵⁾ ميخائيدوف أي. أي وكلبارفسكي آر. أس، مدخل في علم المعلومات والتوثيق، ترجمة نزار محي علي قاسم، جامعة الموصل، 1982، ص208، نقلاً عن محمد حسن كاظم، مصدر سابق، ص36.

⁽³⁵⁶⁾ نبيل علي، المصدر السابق، ص106.

يعد التصوير الفوتوغرافي الرقمي هو أبرز التطورات التي حدثت في التصوير الفوتوغرافي والذي نتج عن استعانة برمجة Digital Photography ويتم هذا التصوير الفوتوغرافي بالحاسب الإلكتروني فاستفاد من مميزات الاثنين. وأبرز مزايا التصوير الفوتوغرافي الرمزي إمكانية تخزين الصورة الفوتوغرافية داخل الكمبيوتر على القرص الصلب الموجود بداخله وإمكانية إدخال تعديلات على الصور الرقمية المحفوظة وإمكانية نقل الصور وتبادلها من خلال اتصالات الحاسب⁽³⁵⁷⁾.

3- الألياف الضوئية Faber Optics:

هي عبارة عن قوائم زجاجية رقيقة للغاية تشبه خيوط العنكبوت تسمح بمرور أشعة الليزر خلالها ويمكن أن يحل هذا الضوء محل الإشارات الإلكترونية التقليدية في خطوط الهاتف والراديو والتلفزيون ونقل بيان الحاسب الإلكتروني وترجع الألياف الضوئية Faber Optics إلى العالم كاباني (N. S. Kapany) الذي وضع هذا التعبير عام 1956 وعرفها بأنها (من الإرشاد الفعال للضوء في المناطق فوق البنفسجية والضوء المرئي وتحت الحمراء للظيف عبر ألياف شفافة خلال مسارات محددة مسبقاً)⁽³⁵⁸⁾.

4- المايكروويف Microwave:

تطورت خطوط المايكروويف أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال استخدامات الرادار Radar حيث يعتمد الرادار على إرسال نبضات من إشارات

⁽³⁵⁷⁾ حسن عماد مكاوي ومحمود سليمان علم الدين، تكنولوجيا المعلومات والاتصال، جامعة القاهرة، القاهرة، 2000، ص237.
⁽³⁵⁸⁾ نقلاً عن محمد حسن كاظم، ص38.

المايكروويف للتعريف على الأهداف المعادية مثل الطائرات والصواريخ حيث تصطدم إشارات المايكروويف بالهدف ويرتد جزء منها نحو الأرض مرة ثانية ويتم استقباله من خلال أجهزة الرادار التي تقيس الوقت المنقضي بين إرسال الإشارات واستقبالها⁽³⁵⁹⁾.

5- الاتصال الخلوي:

تعمل أجهزة الهاتف الخلوي (بدون أسلاك) بواسطة موجة محدودة الانتساع وبواسطة أجهزة إرسال الراديو ذات القوة المنخفضة ويعتمد على وجود خلايا منفصلة يمكن أن تتصل ببعضها من خلال نظام مركزي للتحكم ويقوم هذا النظام المركزي باستقبال جميع الإشارات التلفزيونية من المشتركين وتوصيل هذه الإشارات إلى الأرقام الهاتفية المرغوبة سواء داخل منطقة جغرافية معينة أم الاتصال بالعالم الخارجي⁽³⁶⁰⁾.

6- الاتصال الرقمي:

يستخدم الاتصال الرقمي في نقل بيانات الحاسبات والصوت عبر الهاتف وإرسال الراديو والتلفزيون والتسجيلات الموسيقية بقدر عال من الدقة والجودة ويمكن إعادة عرض المعلومات بالطريقة الإليكترونية سواء أكانت في شكل نصوص أم صور أم صوت⁽³⁶¹⁾.

⁽³⁵⁹⁾ Cuinchat, C. and Michel, M., General in introduction to the techniques of information and documentation work, UNESCO, 1983, P.12. تقرير

نقلاً عن: محمد حسن كاظم، ص40.

⁽³⁶⁰⁾ حسن عماد مكاوي ومحمود سليمان علم الدين، مصدر سابق، ص149-150.

⁽³⁶¹⁾ محمد حسن كاظم، ص45-46.

7- شبكة المعلومات Network:

تلبية لحاجة الإنسان للتواصل مع محيطه من أفراد وجماعات سعى إلى تأمين هذا الاتصال عبر العديد من الاختراعات مثل إشارة مورس والهاتف والراديو والتلفاز وحين جاءت ثورة تكنولوجيا المعلومات في النصف الثاني من القرن العشرين كان عالم الحوسبة تجسيدا لحاجة الإنسان إلى التواصل عبر الشبكات المحلية التي بدأت عام 1964⁽³⁶²⁾ ولم تلبث أن توجهت التطورات إلى تأمين التواصل الشبكي مع مجموعات أكبر فظهرت الشبكات الواسعة (Wide Area Network) عام 1966 وهنا كانت بداية مرحلة جديدة في ثورة الشبكات التي لم تتوقف عند حد وكان من أعظم نتائجها ظهور الانترنت⁽³⁶³⁾.

8- الانترنت The Internet:

الانترنت هي شبكة عالمية تربط عدة آلاف من الشبكات وملايين من أجهزة الكمبيوتر المختلفة الأنواع والأحجام في العالم وتكمن فائدة الانترنت التي تسمى أيضاً الشبكة (The Net) في كونها وسيلة يستخدمها الأفراد والمؤسسات للتواصل وتبادل المعلومات، ولكي تتمكن أجهزة الكمبيوتر من تبادل المعلومات والاتصالات فيما بينها لابد لها من التوافق مع مجموعة من معايير الاتصال التي تدعى بروتوكول (Protocol) وتقرر جميع أجهزة الكمبيوتر المتصلة بالانترنت بروتوكولاً يسمى (بروتوكول الانترنت) The Internet Protocol وهو يقوم بتجزئة الرسائل

⁽³⁶²⁾ هارتلي أ. جي، البحث بالاتصال المباشر، المبادئ والتطبيقات، ترجمة عبد الرزاق يونس، عمان، 1994، ص25.
⁽³⁶³⁾ المصدر نفسه، ص30.

الإلكترونية إلى وحدات بيانية تدعى الحزم (Packet) (باكيت) كما أنه يتحكم بتوجيه البيانات (Data reating) من المرسل إلى المستقبل⁽³⁶⁴⁾.

لقد بدأ الانترنت أساساً بشبكة لا مركزية تدعى (ARPA NET) أنشأتها وزارة الدفاع الأمريكية عام 1969 لضمان استمرارية الاتصالات في حالة حدوث هجوم نووي⁽³⁶⁵⁾ وفي المراحل التالية رُبطت شبكة أربانت بشبكات مهمة أخرى مثل شبكة يوزنت Usenet وشبكة بتي نيت Biti NET وغيرها فضلاً عن الخدمة الأكثر أهمية ألا وهي شبكة الويب العالمية (World Wide Web, WWW) والتي وضع أسسها باحث الفيزياء البريطاني (تيم نيدزلي) وكان متخصص في الاتصالات حيث اقترح تصميم نظام معلومات يتيح للباحثين التشارك على النتائج التي يتم التوصل إليها بالسرعة القصوى عن طريق توفير روابط (Links) تتيح لهم الوصول إلى الوثائق الموجودة على الانترنت وشكل ذلك الاقتراح النواة التي قامت عليها شبكة الويب العالمية (WWW) ولكن الويب هذه هي خدمة من خدمات الانترنت وغيابها لا يعني غياب الانترنت⁽³⁶⁶⁾.

انترنت (2) Internet2:

انترنت 2 هي مشروع طموح يهدف إلى تطوير شبكات الكومبيوتر لنقل المعلومات بسرعة عالية وذلك لتوسيع قدوم انترنت المستقبل وقد أطلق هذا المشروع عام 1999 وتعمل حالياً أكثر من 170 جامعة على تطويره، ويتقيد ما

⁽³⁶⁴⁾ نبيل علي، المصدر السابق، ص116.

⁽³⁶⁵⁾ محمد حسن كاظم، مصدر سابق، ص104.

⁽³⁶⁶⁾ محمد حسن كاظم، مصدر سابق، ص104.

تطلبه انترنت2 من تطبيقات وتقنيات شبكة متقدمة وذلك بالاشتراك مع الحكومة الأمريكية وأكثر من 60 شركة رائدة عالمياً في قطاع تكنولوجيا المعلومات⁽³⁶⁷⁾.

انترنت الجيل المقبل The Next Generation Internet:

وهو مبادرة أطلقت في تشرين أول أكتوبر 1997؛ تشترك فيها هيئات ومؤسسات كثيرة سعياً لمضاعفة السرعة الحالية للانترنت بحيث تبلغ 100% ولإيجاد تقنيات فحص أقوى بكثير من تلك الموجودة على الانترنت حالياً⁽³⁶⁸⁾.

9- النشر الإلكتروني للمعلومات-سباق العولمة:

في عام 1956 مد أول كابل هاتفي عبر الأطلسي وكان باستطاعته أن ينتقل 36 محادثة فقط عالية جداً وكانت النوعية رديئة إضافة إلى أن بث المعطيات يستعمل قدر كابل أكبر مما يستعمله الصوت وفي ذلك العام كانت أية محاولة لنقل المعطيات في الكابل عبر الأطلسي تسر بسرعة كل خط متوفر⁽³⁶⁹⁾.

إلا أن عام 1966 كان بداية مرحلة جديدة في التطور التقني في حياة الإنسان فقد حدثت بعد هذا التاريخ ثورة الشبكات التي لم تتوقف عند حد معين وكان من أعظم نتائجها ظهور الانترنت التي اتسعت لتشكّل أقطاب كوكب الأرض بأكمله فأحالتة إلى قرية صغيرة يرى ويسمع ويتبادل أفرادها معارفهم ومعلوماتهم بسهولة

⁽³⁶⁷⁾ حسن عماد مكاوي ومحمود سليمان علم الدين، مصدر سابق، ص243.

⁽³⁶⁸⁾ د. محمود أديب غنيمي، مستقبل الحاسبات والمكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001، ص124.

⁽³⁶⁹⁾ E.T. Moftram, First transatlantic telephone cable, Bell Laboratories, Record, February 1957, PP.41-47.

نقلًا عن محمد حسن كاظم، مصدر سابق، ص.

لم يسبق لها مثيل ومن المؤكد أن آمال القائمين عليها لن تتوقف عند هذا الحد فقد ظهرت بعض الدراسات والبحوث التي تمثل توجهات الارتقاء لشبكات الكمبيوتر. كما يحاكي الشبكة العصبية للإنسان من حيث الفعالية والاستجابة⁽³⁷⁰⁾.
في أواسط الستينات كان في فرنسا وإيطاليا واليابان أقل من خمسة عشر جهاز هاتف لكل مائة شخص أما في نهاية القرن فان أكثر من مئة مليون مكالمات تستخدم حوالي ثلاثمائة مليون خط تتم في جميع أنحاء العالم كل ساعة ويقدر من تبلغ المكالمات الهاتفية ثلاثة أضعافها عام 2000 وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ستتسع المكالمات الهاتفية لكل من يرغب بها⁽³⁷¹⁾ وفي عام 1966 حدثت سلسلة درامية من التطورات التقنية فقد وضعت وصلة حيوية في الشبكة العالمية للأقمار الصناعية عندما وضع أول قمر صناعي في مدار ثابت فوق المحيط الأطلسي وعلى ارتفاع 22.000 ألف ميل فوق خط الاستواء وحيث أن الأقمار الصناعية تحتاج إلى يوم كامل لإكمال دورتها فأنها تظل ثابتة فوق نفس النقطة على الأرض؛ وبعد أن طورت الحكومات والشركات الخاصة استعمالات أفضل للطيف الكهرومغناطيسي زادت قدرة الأقمار الصناعية بعامل يبلغ حوالي 45 ضعفاً⁽³⁷²⁾.

(370) محمد حسن كاظم، المعلومات، مصدر سابق، ص96.
(371) Industry basics, Washington D.C. North America Tele communication association, 1986, PP.17-19.

نقلًا عن ولتر ب. رستون، مصدر سابق، ص58-59.
(372) Keneth Dam, The global electronic market paper presented at the IIC conference, Washington on D.C., 1988, P.17.

نقلًا عن والتر ب. رستون، مصدر سابق، ص64-65.

إن محولات إلكترونية وهي جوهرياً كمبيوترات متخصصة حلت محل الترتيبات الميكانيكية القديمة مما خفض التكاليف وزاد السعة وسهل الإرسال المتعدد أي ممارسة إرسال عدم محادثات على نفس الدارة في نفس الوقت⁽³⁷³⁾.

إن اتصالات الأقمار الصناعية مقرونة بالابتكارات في تقنية تسجيل الفيديو حول العالم كله وله سبق صحفي في منتصف السبعينات خاصة بعد صنع كاميرات الفيديو الدقيقة Mini cams غير المكلفة نسبياً والمحمولة والتي تسجل الصوت والصورة على شريط كاسيت خالفت بذلك الحاجة إلى الكوابل المعيقة للحركة وآلاف الأبطال من المعدات والوقت اللازم لتحريض الفيلم وتحويله إلى شريط. وبنفس الأهمية كان قدوم مقرنة القمر الصناعي المتنقلة أنه تنقل الصوت والصورة أولاً لمحطة تلفزيونية محلية ومنها إلى قمر صناعي يبيثها حول العالم⁽³⁷⁴⁾. كما أن الأقمار الصناعية وسعت إلى حد كبير المدى الذي تصله الإذاعات التلفزيونية وجعلت من الصعب جداً على الحكومات أن تمنع انتشار البرامج المشبوهة مما أدى إلى توقف الحكومات عن محاولة ذلك لمنعها فبرامج CNN تنقل الآن إلى أكثر من ثلث سطح الكرة الأرضية بقمر صناعي روسي وتحت سيطرتهم⁽³⁷⁵⁾. ويقول تيموثي غارتون آش وهو صحفي بريطاني بارز سجل ثورات أوروبا الشرقية ضد الاتحاد السوفيتي

(373) Industry basics, (Op.Cit), P.18.

نقلاً عن والتر ب. رستون، مصدر سابق، ص 64-65.

(374) Oswald H. and Glady S.D., Gunly, Information control 2nd, (Nerwood NJ, Alex publishing carp), 1989, P.59.

نقلاً عن والتر ب. رستون، مصدر سابق، ص 64-65.

(375) Stuart H. Loory, New from the Global Village Cannel Center Journal Fall, 1989, P.167.

نهاية الحرب الباردة (لقد كانت الوسيلة الوحيدة الحاسمة داخلياً وخارجياً للثورة هي التلفزيون وفي أوريا في أواخر القرن العشرين أصبحت جميع الثورات متلفزة)⁽³⁷⁶⁾.

وربما كانت الأقمار الصناعية القوة الرئيسية في تغيير (ميزان قوى المعلومات) وذلك بإحالتها من الدولة نحو الفرد، فحتى عام 1986 كان قمر (لاندسات) بتحليله البالغ ثلاثين متراً هو القمر الوحيد الذي يقدم الصورة المتوفرة من الجو كتجارة ثم أطلق في شباط فبراير من العام نفسه القمر الفرنسي الصناعي (سبوت) المملوك للقطاع الخاص بتحليل عشرة أمتار ثم دخل الروس المناظرة بأن عرضوا بأن يبيعوا إلى كل من معه نقود صورهم الفاخرة بتحليل خمسة أمتار فاضطرت الحكومة الأمريكية لأن تعكس سياستها وتسمح للشركات الأمريكية الخاصة بأن تمتلك أقماراً صناعية ذات تحليل دقيق فأقلت امتياز آخر من امتيازات سيادة الدولة ولم يعد مستحيلاً على وكالات الأنباء الأمريكية أو غيرها أن تمتلك أقماراً صناعية ذات تصميم عالٍ⁽³⁷⁷⁾.

(376) Timothy Carton Ash, The magic lantern, New York Random House, 1990, P.94.

نقلاً عن والتر ب. رستون، ص 65.
(377) نقلاً عن والتر ب. رستون، أفول السيادة، مصدر سابق، ص 63-64.

الفصل الثاني
الآثار السلبية
والإيجابية للعولمة
في الوطن العربي

الفصل الثاني الآثار السلبية والإيجابية للعولمة في الوطن العربي

أثرت العولمة سلباً وإيجاباً وبأشكال مختلفة في كل بقاع العالم. وقد نال الوطن العربي على امتداد مساحته نصيبه من ذلك التأثير وربما كان نصيبه أكبر من غيره بسبب موقع الوطن العربي، في نقاط التقاء القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا ومرور خطوط التجارة العالمية به وثرواته النفطية التي تشكل عصب الصناعة الغربية، لذلك كان محط أنظار الامبراطوريات الكبرى عبر التاريخ وآخرها امبراطورية العولمة، وفي هذا الفصل سنعرض لأهم الآثار السلبية وأهم الإيجابيات للعولمة التي يمكن للوطن العربي الاستفادة منها في الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

المبحث الأول الآثار السلبية

يمكن النظر إلى الآثار السلبية للعولمة من عدة زوايا:

- 1- إن العولمة وإن لم تكن مفاجئة للوطن العربي إلا إنه لم يكن مستعداً لاستقبالها والتعامل معها بسبب التخلف الاقتصادي الذي حال دون بناء اقتصاديات ديناميكية في الوطن العربي تستطيع التعامل مع كل ما هو جديد بما يعود بالفائدة عليه من دون خسائر.
- 2- لم يواجه الوطن العربي العولمة على أنه إقليم موحد، وإنما واجهتها منه دول منفردة لها مصالحها الخاصة وارتباطاتها المختلفة مع مركز العولمة، كلاً على حدة.
- 3- إن العولمة ظاهرة غريبة عن الوطن العربي الذي تحكمه قيم وسلوكيات وثوابت حضارية خاصة به فلم يتمكن من هضم منطلق العولمة الذي يطالب العالم أن يتأقلم ضمن سلوكية حياتية واحدة.
- 4- إن الوطن العربي مثقل بمشاكل داخلية وحروب مختلفة وقضايا أمنية مستمرة لا وقت عنده لاستقبال ودراسة وفهم ظاهرة العولمة، كما أن العولمة ربما من هذا المنطلق، زجت بكل ثقلها في الوطن العربي لتتمرير نظرياتها ومن لم يأت باللين والأبوة- أخذته بالسيف.
- 5- إن منظري العولمة يفهمون جيداً عقلية المجتمع العربي والفرد العربي فهو يسعى دائماً وراء الشهرة والشهوات وهاتين المفردتين تحتاجان إلى المال، فاستهدفت عقله وطرحته عليه هالة كبيرة من الإعلام الذي يوجه نحو طريق الشهرة والشهوات بشكل مختصر ودون تكاليف. إن الحصول على المال يمكن أن يأتي عن طريق السرقة والقتل والنهب والتزوير والسمسرة فإذا حصل الفرد على المال يمكن أن يحصل على الشهرة والشهوات، بوقت

قصير. وقد أثر هذا الاتجاه في ناحيتين، تمزق القيم والأخلاقيات العامة عند الكثيرين -إلا مارحم ربي- وأشاعت الاضطراب والتخلخل والقلق والخوف في مجتمعات الوطن العربي⁽³⁷⁸⁾.

وقد اشتملت الآثار السلبية للعولمة على كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وسنحاول في الصفحات القادمة استعراض الأهم ومنها:

أولاً- الآثار السلبية في الصعيد السياسي:

نجد في عولمة السياسة وتراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول وتراجع قوة الدولة القومية وظهور مبدأ الحكم محاور يمكن أن تغطي أهم الآثار السلبية في الصعيد السياسي.

1- عولمة السياسة:

تتجسد مسألة عولمة السياسة في وقائع وظواهر عديدة ربما كان في مقدمتها ظاهرة المجال السياسي العالمي الذي أخذ يحل محل المجال السياسي المحلي، وأن السياسة في كل أنحاء العالم أصبحت اليوم مرتبطة بالسياسة في كل أنحاء العالم⁽³⁷⁹⁾، وظاهرة التدفق الحر وغير المقيد للسياسة على الصعيد العالمي وظاهرة تحدد السياسة خارج نطاق الدول القومية وظاهرة الزيادة غير المسبوقة في الروابط السياسية بين الدول والمجتمعات والأفراد وظاهرة صعود النموذج الفكري والسياسي الليبرالي على الصعيد العالمي، هذه الظواهر وغيرها تجسد معاً حركة عولمة السياسة وتعطي بعض المعاني لها⁽³⁸⁰⁾.

(378) بالمقارنة مع ماتحدث به الباحثون العرب عن العولمة في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2000.

(379) د. عبد الخالق عبد الله، عولمة السياسة والعولمة السياسية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 414، بيروت، 2000، ص28.

(380) المصدر نفسه، ص28.

إن أول ما تشير إليه العولمة السياسية هي بروز المجال السياسي العالمي وهو ما يعني التفكير في العالم السياسي وتخيله كوحدة سياسية واحدة⁽³⁸¹⁾. ومن الصعب أن يتحول العالم إلى وحدة سياسية واحدة في المستقبل المتطور، فالعالم يتكون من وحدات سياسية بعضها منفصل ومنعزل ومتفاعل مع بعض، فالتجزئة وليست الوحدة هي الحالة القائمة حالياً ولا يزال العالم رغم كل الحديث المتزايد عن القرية الكونية مجزأً أكثر مما هو موحد سياسياً لكن هذه التجزئة والعزلة السياسية في طريقها إلى التراجع، إذ أن بروز المجال السياسي العالمي لا يتمحور حول الدولة وإنما حول نفسه، الدولة فيه ليست وحدها مركز السياسة وهي ليست مسؤولة مسؤولية كاملة عن أفرادها وأمنها وبيئتها وحتى مصيرها ومستقبلها⁽³⁸²⁾. ولكن الدولة ستظل تدعي القيام بذلك وستتمسك بمفهوم وواقع السيادة ولكن على الصعيد وعلى أرض الواقع لم تعد الدولة الآن ولن تكون قادرة في المستقبل على الثبات على هذه الأحقية كما كانت تفعل خلال القرون الأربعة الماضية منذ بروز الدولة القومية في أوروبا التي دخلت دولها مرحلة التخلي الطوعي نسبياً عن بعض مظاهر السيادة من أجل تحقيق هدف الإنتاج الاقتصادي والسياسي الأوروبي. وعندما بدأ تيار العولمة الجديد في أوائل السبعينات وبرز نجم الشركات متعددة الجنسية كان على الدولة في العالم الثالث أن ترخي قبضها شيئاً فشيئاً على الاقتصاد والمجتمع تحقيقاً لمصالح هذه الشركات، فمنذ ذلك الوقت بدأ هدم الأسوار الجمركية ونظام التخطيط وإلغاء الاشتراكية وإعادة توزيع الدخل⁽³⁸³⁾.

إن الاتجاه المتزايد نحو بروز المجال السياسي العالمي يخلق ظاهرة جديدة من ظواهر عولمة السياسة هي أن السياسة في أرجاء العالم أصبحت مرتبطة

(381) المصدر نفسه، ص28.

(382) المصدر نفسه، ص28.

(383) د.جلال أمين، العولمة والدولة، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص160-161.

بالسياسة في أرجاء العالم وهذا يقود إلى أمور كثيرة، فالقرارات التي تتخذ في عاصمة من العواصم سرعان ماتنتشر إلى سائر العواصم الأخرى والتشريعات التي تخص دولة تستحوذ على اهتمام كل الدول والسياسات التي تستهدف قطاعات اجتماعية في مجتمع من المجتمعات تؤثر في المجتمعات الأخرى، ومثل هذا الربط للسياسة في كل أنحاء العالم بالسياسة في كل أنحاء العالم وبهذا العمق والكثافة يحدث لأول مرة في التاريخ البشري ويفتح آفاقاً جديدة وغير معهودة في التاريخ السياسي للعالم بأسره⁽³⁸⁴⁾.

واتساقاً مع التوجه نحو ارتباط السياسة في كل أرجاء العالم بالسياسة في كل أرجاء العالم، يلاحظ دخول البشرية مرحلة التدفق الحر وغير المقيد للسياسة على الصعيد العالمي، فالقرارات والتشريعات والسياسات والقناعات والأزمات السياسية ليست مرتبطة بعضها ببعض فحسب، بل إنها تتدفق بحرية تامة بين المجتمعات والقارات وبأقل القيود متجاوزة الحدود السياسية والجغرافية⁽³⁸⁵⁾، بل إن ما يتدفق من السياسة إلى الخارج هو أكثر مما يبقى داخل الحدود المحلية. وبذلك تكون العولمة قد أنهت مقولة ان السياسة محلية أو وطنية وساعدها على هذا الانتقال وسائل الاتصالات السريعة الحديثة. فأصبحت السمة البارزة للسياسة في عالم العولمة هي النزوع للعالمية وعدم التقيد بقيود الزمان والمكان مضيضة بذلك المزيد من الحيوية للمجال السياسي العالمي⁽³⁸⁶⁾.

إن المحصلة الطبيعية للتدفق الحر والسريع للسياسة على الصعيد العالمي هي حركة لبرلة العالم وبروز المعطيات الليبرالية والتي هي السمة الأكثر وضوحاً من

(384) المصدر نفسه، ص30.

(385) المصدر نفسه، ص30.

(386) السيد ياسين، العالمية والعولمة، نقلاً عن: د. عبد الخالق عبد الله، المصدر السابق، ص30.

سمات عولمة السياسة في القرن الحادي والعشرين⁽³⁸⁷⁾. فالعالم موحد الآن في انجذابه للنموذج الليبرالي الذي يؤكد على حقوق الإنسان وحياته السياسية والمدنية أكثر من انجذابه لأي نموذج حياتي أو فكري، إن الحرية هي الآن القيمة الصاعدة عالمياً والتي ستستمر في الصعود مستقبلاً بعد أن تراجعت معظم النماذج السياسية والفكرية الأخرى، بما في ذلك النموذج الاشتراكي الذي يقال زوراً أنه يمثل العدالة، لقد فقدت العدالة بريقها على الصعيد العالمي دون أن يعني ذلك اختفاءها من الفكر السياسي، فمعظم الدول والمجتمعات دخلت في مزاج ليبرالي، وهي أكثر اقتناعاً بجدوى النموذج الفكري والسياسي الليبرالي الحر الذي حقق أكبر نجاحاته مع انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 وانحسار الفكر الاشتراكي وفشل النظام الشيوعي مركزياً⁽³⁸⁸⁾. إن أبرز إفرازات صعود النموذج الليبرالي هو ديمقراطية العالم التي تشير إلى التزايد الملحوظ في عدد الدول الديمقراطية خلال الفترة التي أعقبت الحرب الباردة وتراجع عدد الدول والحكومات السلطوية والفردية المجرمة والتي أكثرت من انتهاكاتها لحقوق الإنسان وحياته، لذلك فإن

(387) المصدر نفسه، ص31.

(388) د. إسماعيل صبري عبد الله، أبرز معالم الجدة في نهاية القرن العشرين، نقلاً عن: د. عبد الخالق عبد الله، المصدر نفسه، ص32.

أبرز معالم الجدة في القرن الواحد والعشرين هو بروز نظام عالمي جديد يبدو من الوهلة الأولى انه أكثر ديمقراطية وأكثر ليبرالية من العالم القديم ويتزامن بروز هذا النظام مع كون السياسة هي أكثر عولمة من أي وقت من الأوقات⁽³⁸⁹⁾.

وأكثر السمات إثارة للانتباه في الاتجاه نحو عولمة السياسة هي إمكانية بروز ما يعرف بـ(المواطنة العالمية) و(الهوية الإنسانية) التي بدأت تنافس المواطنة الوطنية والهوية المحلية الراهنة. إن بروز الانتماء العالمي والولاء الإنساني والوعي الكوني هو من أهم معالم العولمة السياسية ومن أكثر الأبعاد عمقاً على المدى البعيد⁽³⁹⁰⁾، فالعولمة السياسية تتضمن تحولاً في تركيز ووعي واهتمام الفرد من المجال الوطني إلى المجال العالمي ومن المحيط الذاتي الإنساني وهذا هو وهم الفردية التي تولد الاغتراب⁽³⁹¹⁾.

إن هذا الارتقاء في الوعي من الطور القبلي والمذهبي إلى الوطني والقومي ثم العالمي فالكوني هو في قلب حركة العولمة التي تتضمن زيادة الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية التي ستعيش عصر عالمية التفكير والمعرفة العالمية وعالمية الحقوق والواجبات وعالمية الإنجازات والأزمات وعالمية الطموحات والبيئة القادمة ستكون بطبيعتها عالمية والحلول المطلوبة ستكون أيضاً عالمية أكثر ماهي محلية. هذا الاتجاه المتزايد نحو العالمية سيدفع بالبشرية للنظر إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد ويشترك بعضها مع بعض في قيم إنسانية عميقة ومشاركة تتخطى

(389) المصدر نفسه، ص32.

(390) د.جلال أمين، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، نقلاً عن:

د.عبد الخالق عبد الله، المصدر نفسه، ص32.

(391) د.محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر طروحات في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص302.

الخصوصيات الحضارية والمناطق الثقافية والذاتيات الوطنية⁽³⁹²⁾. فالعولمة السياسية تتضمن هذا الاتجاه المتزايد نحو تصرف الإنسان على بعده العالمي واقترابه من هويته الإنسانية أو هذا الانفتاح والتأثر والانجذاب نحو ما يجري في الخارج وفي الفضاء العالمي يجعل الجيل الجديد أكثر وعياً لهويته العالمية وأكثر ادراكاً لبعده الإنساني من أي جيل سابق⁽³⁹³⁾.

والمهم القول أن بروز مصطلح (العالمية) أو المواطنة العالمية ومحاولة جر المجتمعات إليه لا يعني بالضرورة تراجع وتهميش وإلغاء الهوية الوطنية كما إن الانتماء الإنساني يجب أن لا يعني عدم الانتماء للوطن وسقوط الولاء للأسرة والجماعة أو الأمة، بل إن التواصل مع القضايا العالمية لا يعني فقدان الاتصال بالوقائع الوطنية أو تجاهل الهموم الحياتية اليومية والمحلية التي ستظل ملحة كما كانت في العصور السابقة لعصر العولمة، وستبقى الهوية الوطنية قائمة، ومهما كان الأمر بالنسبة لحركة عولمة السياسة فإن المؤكد الوحيد هو أن العالم يتغير ويتغير بأسرع مما يعتقد وبروز الكل العالمي وزيادة حضوره وتأثيره في الحياة والوعي. إن بعض المظاهر الحياتية هي أكثر تأثراً بحركة عولمة العالم من غيرها والعولمة السياسية بمعنى قيام الحكومة العالمية الواحدة وبروز عالم بلا حدود سياسية ستظل مشروعاً مستقبلياً لن ينجز في المستقبل المنظور⁽³⁹⁴⁾.

وعلى الرغم من كل مظاهر عولمة السياسة إلا أن السياسة ستظل إلى وقت طويل محلية أكثر منها عالمية وسيظل المجال السياسي المحلي أكثر حضوراً في

⁽³⁹²⁾ سالم يفوت، هويتنا الثقافية والعولمة، نقلاً عن: د. عبد الخالق عبد الله، المصدر نفسه، ص30-33.

⁽³⁹³⁾ علي الحوات، هويتنا الثقافية والعولمة، نقلاً عن: د. عبد الخالق عبد الله، المصدر نفسه، ص33.

⁽³⁹⁴⁾ أحمد عبد الرحمن أحمد، العولمة المظاهر والمسببات، نقلاً عن: د. عبد الخالق عبد الله، المصدر نفسه، ص34.

مجتمعاته من حضور المجال السياسي العالمي، بل إن الدول القومية ستقاوم بشراسة حركة عولمة السياسة⁽³⁹⁵⁾، وبالتالي من السابق لأوانه الحديث عن نهاية الدولة القومية وانتهاء السيادة⁽³⁹⁶⁾، مهما انكمش العالم ومهما ازداد ترابطاً ستظل الدولة القومية مهمة ومحورية وستؤدي أدواراً حيوية وستتكيف مع متطلبات العولمة كما تكيفت مع الكثير من المتغيرات في العالم على مدى الأعوام الثلاثمائة أو الأربعمائة الأخيرة⁽³⁹⁷⁾. فالدولة والسيادة ستبقيان بيد أنهما سوف لن تكونان مطلقتين كما كانتا في السابق، فقوة السوق وقوة المعلومات وقوة المنظمات والشركات متعدية الجنسية تزداد يوماً بعد يوم وتفوق أحياناً قوة الدولة وتضعف من سيادتها المطلقة من الآن فصاعداً على الدول أن تعيش بسيادة نسبية ومشروطية ومنقوصة وهذا ينطبق على كل الدول بما فيها الكبرى والقوية التي عليها أن تتعايش مع قرارات ومؤسسات وهيئات ومنظمات عالمية وإقليمية هي صنعتها بنفسها وأصبحت قراراتها ملزمة لجميع الدول الأعضاء⁽³⁹⁸⁾.

2- تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدولة:

لقد ظل مبدأ السيادة Sovereignty منذ أن نبه إليه جون بودان Jean Bodin عام 1576م حجر الزاوية للتنظيم الدولي ونصت عليه وأقرته كل القوانين والمعاهدات والأعراف الدولية⁽³⁹⁹⁾. ورغم التراجع الذي لحق بهذا المفهوم نظراً لما وجهت إليه من انتقادات فقهية تخص صفة الإطلاق فيه، فقد ظل مفهوم السيادة كفكرة

(395) د. عبد الخالق عبد الله، المصدر نفسه، ص34.

(396) المصدر نفسه، ص34.

(397) المصدر نفسه، ص34.

(398) المصدر نفسه، ص34.

(399) د. عبد المنصف حسن علي رشوان، العولمة وأثارها، المكتب الجامعي الحديث، مكة المكرمة، 2006، ص62.

قانونية مجردة لفترة طويلة محاطاً بهالة من القدسية منزهاً من كل انتقاص حتى النصف الثاني من القرن العشرين، حيث لحقه التغيير منذ ذلك الوقت بسبب التوسع المتزايد في إبرام الاتفاقيات الدولية التي تضم قواعد ملزمة لكل الدول إضافة إلى مبدأ الاعتماد الدولي المتبادل⁽⁴⁰⁰⁾.

ومنذ الستينات من القرن العشرين بدت الحدود الجغرافية غير فاصلة بين الدول بسبب تطور الاتصالات عبر الأقمار الصناعية وذلك يعني ان النقاط التي تعطىها الأقمار الصناعية متساوية ويصف هوبسباوم الوضع الحالي بأنه مزيج غريب من تقنية أواخر القرن العشرين وتجارة القرن التاسع الحرة ونوع المراكز المميزة للتجارة العالمية في العصور الوسطى⁽⁴⁰¹⁾. وحالياً تتضاعف المناطق الصناعية المقامة خارج النطاق التشريعي لحكومات وطنية ذات سيادة وكذلك تقام الملاجئ الغربية الخارجية في جزر لا قيمة لها لولا ذلك ومهمتها إبعاد الصفقات التجارية عن سيطرة الدول القومية، وأيديولوجيات الأمم والعقيدة القومية لا علاقة لها بهذه التطورات⁽⁴⁰²⁾.

إن تقليص فاعلية الدول أو تقليل دورها واعتبار الشركات متعددة الجنسية والمنظمات العالمية شريكاً للدولة في صنع قراراتها السياسية يعني أن مبدأ السيادة أخذ بالتآكل نتيجة علاقات الدول فيما بينها في مختلف المجالات وتصبح حرية الدول بحسب مشيئتها ناقصة⁽⁴⁰³⁾. فالعولمة السياسية تعني نقل سلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه وهي بذلك تحل محل الدولة

(400) المصدر نفسه، ص 63.

(401) ولتر ب. رستون، أفول السيادة، مصدر سابق، ص 152.

(402) E.J. Hobsbaum, National Nationalism since 1978.

نقلاً عن: ولتر رستون، المصدر نفسه، ص 153.

(403) د. عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 71.

وتهيمن عليها⁽⁴⁰⁴⁾. وهي تعني أيضاً الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الإنسان والحريات الفردية وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة ونهاية الحدود وتكامل حقل الجغرافية السياسية ويتوقع الإيطالي ريكاردو تيريلو أن السلطة في المستقبل في أيدي مجموعة متحدة من رجال أعمال دوليين وحكومات مدن همها الأول تعزيز القوة التنافسية لتلك المشاريع والمؤسسات العالمية المستوطنة في مدنها⁽⁴⁰⁵⁾.

ويحاول صناع العولمة الترويج لإلغاء الحدود السياسية بين البلدان على أساس أن سلطتهم هي أعلى من سلطات الدولة، ففي اللقاء الذي تم في فندق فيرمونت في سان فرانسيسكو عام 1995 وحضره خمسمائة من قادة السياسة والمال والاقتصاد وعلماء من كل القارات جرت المحاولات لتحديد معالم القرن الحادي والعشرين. وقد تكلم جون كيج (John Gage) مدير شركة ميكرو سيستمز للكمبيوتر قائلاً بمستطاع كل فرد أن يصل لدينا المدة التي تناسبه، إننا لانحتاج إلى الحصول على تأشيرة سفر للعاملين لدينا من الأجانب⁽⁴⁰⁶⁾.

وبصفة عامة يمكن القول أن ظاهرة العولمة قد نأت بالعلاقات الدولية عن صورة النسق الدولي التقليدية القائمة على جمع من الدول ذات سيادة. وقد تباين أداء المحليين في هذا الصدد فيرى كل من Clark و Williams من كتاب الغرب ضرورة إعادة النظر في مفهوم السيادة بهدف تقديم تعريف جديد له أو تحديد مضمون معاصر لهذا المفهوم يكون أكثر واقعية وأكثر تناسباً مع السياق التاريخي

(404) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، ص111، نقلاً عن: د. عبد الجليل كاظم الوالي، المصدر نفسه، ص71.

(405) نقلاً عن: د. عبد الجليل كاظم الوالي، المصدر نفسه، ص71.

(406) مارتين وشومان، فخ العولمة، نقلاً عن: د. عبد الجليل كاظم الوالي، المصدر السابق، ص73.

المعاصر وهم يشيرون في هذا الصدد إلى آراء بعض الكتاب إلى صورة جديدة للسيادة من ذلك مثلاً: السيادة الجزئية أو المقيدة أو المشتركة⁽⁴⁰⁷⁾.

ويرى الدكتور عبد المنصف حسن علي رشوان ان تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول كانت له نتائج من أهمها التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وقد تعددت وتتنوعت مبررات التدخل الأجنبي من ذلك مثلاً: المبررات الإنسانية والتدخل لحماية حقوق الإنسان وحقوق الأقليات العرقية والتدخل بدعوى مقاومة الإرهاب الدولي⁽⁴⁰⁸⁾.... الخ. ولعل من أبرز الموضوعات التي تثار في هذا الصدد عدم وجود معايير واضحة ومستقرة يتقرر على أساسها التدخل، إذ تظل الدول الكبرى مصررة على حقها في أن تقرر الأخذ بأي من الخيارين على أساس مصالحها في كل حالة على حدة أي بصورة انتقائية وهو ما يؤدي إلى ما يعرف بمشكلة ازدواجية المعايير⁽⁴⁰⁹⁾.

3- تراجع قوة الدولة القومية:

لقد أدت التطورات العولمية الجذرية المتلاحقة التي شهدتها العالم منذ مطلع تسعينات القرن العشرين إلى تراجع قوة الدولة القومية فلم تعد هي الفاعل الرئيسي في النسق الدولي كسابق عهدها وإنما بدأت بفسح المجال أمام لاعبين جدد تعاضمت أدوارهم إلى الحد الذي بات معه طغيانهم على دور الدولة القومية في أحيان كثيرة⁽⁴¹⁰⁾.

(407) د. عبد المنصف حسن علي رشوان، مصدر سابق، ص 64.

(408) المصدر نفسه، ص 65.

(409) المصدر نفسه، ص 65.

(410) المصدر نفسه، ص 65.

وقد تراجعت قوة الدولة أمام المعلومات والتقنية الهائلة وأصبح للمعلومات سوق دولية يشمل شركات دولية تزداد قوة باستمرار وتجرب سلطة الحكومة حتى عندما تنوي هذه الحكومة ألا تعمل شيئاً سوى تسليية وإعلام للمستمعين والمشاهدين في العالم. وقد كتب فرديناند برويل أن أول مهام الحكومات كانت دائماً تأمين الطاعة واكتساب الحق لنفسها بأن تحتكر استعمال القوة في مجتمع ما وتحييد كل التحديات المحتملة داخلياً واستبدالها بما سماه (ماكس ويبر) العنف المشروع⁽⁴¹¹⁾.

يرى الدكتور عبد المنصف حسن علي رشوان أبرز أسباب تراجع قوة الدولة القومية هي على الوجه الآتي⁽⁴¹²⁾:-

1- سقوط الاتحاد السوفيتي كقوة قطبية واضمحلال قوته وانهيار وتفكك امبراطوريته الأمر الذي أدى إلى التشكيك في مدى وصلاحيية الأيديولوجية الماركسية كركيزة للتنظيم الاجتماعي وما ترتب على ذلك من تهوي الأنظمة ذات النزعة الشمولية أو السلطوية التي تعظم من دور الدولة ومؤسساتها الرسمية، فشل هذه الحكومات في توجيه دفعة الاقتصاديات الوطنية لاسيما في دول العالم النامي التي عانت طويلاً في ظل الأخذ بنظام التخطيط المركزي ما أدى إلى تبيد موارد اقتصادية هائلة فضلاً عن انتشار ظاهرة الفساد الإداري والسياسي فيها⁽⁴¹³⁾.

2- الاتجاه نحو الديمقراطية والأخذ بالتعددية السياسية وكان هذا طبيعياً في ظل تصاعد نجم الليبرالية باعتبارها الأكثر صلاحية أما على نحو جاد أو بصورة

(411) نقلاً عن: ولتر ب. رستون، أفول السيادة، مصدر سابق، ص 165.

(412) د. عبد المنصف حسن رشوان، المصدر السابق، ص 66.

(413) المصدر نفسه، ص 66-69.

شكالية لكي تنتفع بها النظم ذات النزعة السلطوية كالحكومات العسكرية التي قدر لها أن تبقى في مواقع السلطة عاضّة عليها بالنواجذ⁽⁴¹⁴⁾.

3- تزايد دور المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني ويستند دعاة العولمة في دفاعهم عن هذه المنظمات إلى القول بأن فكرة المواطنة لم تعد توفر للإنسان الحماية الكافية مما يستلزم وجود آليات للرقابة العالمية⁽⁴¹⁵⁾.

4- الاتجاه المتزايد نحو الأخذ بالحرية الاقتصادية انسجماً مع التحول إلى الأخذ بنظام اقتصاديات السوق وتخفيف قبضة الحكومات على النشاط الاقتصادي⁽⁴¹⁶⁾.

5- تمثل الهدف من وراء التحول إلى اقتصاديات السوق في الحد من دور الدولة في مجال التشريع الاقتصادي المالي والنقدي والتجاري بهدف إضعاف قدرة الدول على إدارة اقتصادياتها الوطنية⁽⁴¹⁷⁾.

ثانياً- الآثار السلبية في الصعيد الاقتصادي:

المشهد العام للاقتصاد العربي نهاية القرن العشرين:

كان المجال الاقتصادي في الوطن العربي يلفه التخلف الشامل في كل مجالات الحياة في العقدين أو الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، حيث كان الميدان الاقتصادي يعتمد بشكل كبير على القطاع الزراعي الذي كان ما يزال يمارس نشاطه بأساليب بدائية عتيقة، وغياب صناعة وطنية قادرة على المنافسة في الأسواق الخارجية، وتبعية اقتصادية شاملة للغرب وعزوف رؤوس الأموال الوطنية عن

(414) المصدر نفسه، ص68.

(415) المصدر نفسه، ص69.

(416) المصدر نفسه، ص69.

(417) المصدر نفسه، ص69.

الاستثمار في أوطانها وهروبها إلى الخارج بسبب الظروف غير الملائمة داخل دولها وسوء إدارة الإمكانيات الوطنية المتاحة واعتماد كامل على التقنية المستوردة، واستمرار نهب الموارد الطبيعية بوسائل مختلفة وتدني مستوى التنمية البشرية⁽⁴¹⁸⁾. وكان لذلك أسبابه التي تتركز في الفترة التي أعقبت المرحلة الاستعمارية في الوطن العربي التي امتدت إلى بداية الستينات من القرن العشرين، حيث أعقب تلك الفترة أنظمة سياسية كانت في كثير منها تقودها نخب وجماعات غير مؤهلة للوفاء بالالتزامات والاستحقاقات التي تفرضها مسؤولية قيادة المجتمعات في تلك المرحلة ولا يمكن إغفال دور القوى الاستعمارية في هذا الصدد، فقد ترك الاستعمار له أذنبه في الوطن العربي لترتيب الأوضاع السياسية وفقاً لمصالحه فهو إضافة إلى العدوان المستمر المتمثل بإسرائيل⁽⁴¹⁹⁾ والذي استنزفت عمليات مقاومته ومواجهته لموارد هائلة تستقطع من الموارد التي كان من الممكن تسخيرها للتنمية. وباختصار، كان الوضع العام للوطن العربي ومجتمعاته رديئاً ليس في الصعيد الاقتصادي وإنما في الأصعدة كافة.

ونجد في المحاور التالية ما يمكن أن يغطي أهم جوانب الآثار الاقتصادية:

1- الآثار السلبية للاستثمارات الأجنبية.

2- التبعية الاقتصادية وفرضية الاحتواء.

3- أثر التكتلات الدولية.

وجوانب أخرى تتعلق باقتصاد السوق الحر وإضعاف تدخل الدولة بشكل

تدرجي.

(418) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص 32.

(419) المصدر نفسه، ص 32.

1- الآثار السلبية للاستثمار الأجنبي:

أولاً.. ترى الكثير من الدول النامية ومنها العربية خاصة مصر أن الاتفاقية الخاصة بالجوانب التجارية للاستثمار (ترمس) التابعة لاتفاقية منظمة التجارة العالمية لاتخدم مصالحها التنموية في مجال دعم السلع المحلية وتعزيز القدرات المحلية والنهوض بالتصنيع⁽⁴²⁰⁾. وقد واجهت الدول النامية صعوبة هائلة في إلغاء إجراء الاستثمار الخاص بشرط المحتوى المحلي لأنه ضروري للتسريع بالتصنيع وكذلك الاشتراط على المستثمر الأجنبي بتشغيل عدد من القوى العاملة الوطنية بما يضمن زيادة الدخل واستقرار ميزان المدفوعات وقد وافق مجلس منظمة التجارة العالمية في تموز-يوليو 2001 على تحديد الفترة الانتقالية لاستخدام إجراءات الاستثمار المقيدة للتجارة لثمان دول رغم أن العديد من الدول المتقدمة كانت مع قرار الإلغاء الفوري لهذه الإجراءات فضلاً عن اقتراحها لقائمة أوسع تتضمن الإجراءات المخالفة التي تعكس جوانب المنافسة والاحتكار⁽⁴²¹⁾.

ولم تأخذ الاتفاقيات الخاصة بالجوانب التجارية للاستثمار بعين الاعتبار حاجة البلدان النامية إلى تعزيز التنمية الصناعية مما دفع البلدان النامية إلى تقديم عدة اقتراحات منذ عام 1999 لمراجعة هذه الاتفاقيات من وجهة نظر تنموية مع جعل أحكام الاتفاقيات التجارية المتعددة الأطراف ذات الصلة بالبلدان المتقدمة في مجال المساعدة الفنية والمعاملة الخاصة والتفضيلية للبلدان النامية ذات أحكام ملزمة لأن

(420) د.هنا عبد الغفار السامرائي، تأثيرات اتفاقات الاستثمار المتصلة بالتجارة في إطار منظمة التجارة العالمية على الاقتصادات العربية في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج4، بيت الحكمة، بغداد، 2002، ص112.

(421) د.جمال الدين رزوق، علاقات التجارة بإجراءات الاستثمار، ص6-7، نقلاً عن: د.هنا عبد الغفار السامرائي، المصدر السابق، ص113.

البلدان المتقدمة لم تطبقها بشكل فعال لحد الآن بسبب كونها غير ملزمة في حين ان هناك إلزامية لتنفيذ جوانب الاتفاقات الخاصة بالبلدان النامية⁽⁴²²⁾.

وترى الدكتورة هناء عبد الغفار السامرائي أن مسألة اختلاط السلبي والإيجابي في آثار تحرير نظم الاستثمارات الأجنبية تعتبر مقبولة وصحيحة في ظل إجراءات التحرير التي اتبعتها البلدان النامية خارج إطار منظمة التجارة العالمية قبل جولة محادثات أوروغواي ولكن تحرير الاستثمارات وفق اتفاقيات منظمة التجارة العالمية لا يحمل في طياته إلا آثاراً سلبية على البلدان النامية ومنها العربية، أهمها مايلي⁽⁴²³⁾:-

1) تعميق التبعية بدلاً من تحقيق النمو الاقتصادي:

تدعو منظمة التجارة العالمية إلى مزيد من إجراءات التحرير في نظم الاستثمارات الأجنبية لما لذلك من أثر هام في تنشيط النمو الاقتصادي، ولكن التجارب أثبتت أنه على الرغم من تحرير التشريعات المتعلقة بالتجارة والاستثمار الأجنبي المباشر في معظم البلدان النامية فإنها لم تجتذب سوى مقادير صغيرة من الاستثمار الأجنبي المباشر كما إن نسبة هذا الاستثمار إلى الناتج المحلي الإجمالي فكانت متقلبة⁽⁴²⁴⁾. ولم تحقق غير تقدم ضئيل نسبياً مع مرور الزمن، حيث إن الاستثمارات شأنها في ذلك شأن الفروض الخارجية تذهب إلى الدول التي نجحت بالفعل في رفع معدلات نموها أكثر مما تذهب إلى الدول التي بحاجة لها لرفع معدل نموها ويشهد بذلك اتجاهات توزيع الاستثمارات الأجنبية عالمياً حيث هيمنت دول المركز الرأسمالي (الولايات المتحدة وأوروبا واليابان) على (75%) من تدفقات

⁽⁴²²⁾ محمد رضوان، نبذة تاريخية من الجات إلى منظمة التجارة العالمية، ص15-17،

نقلاً عن: د. هناء عبد الغفار السامرائي، المصدر السابق، ص113.

⁽⁴²³⁾ د. هناء عبد الغفار السامرائي، المصدر نفسه، ص113.

⁽⁴²⁴⁾ المصدر نفسه، ص114.

الاستثمارات الأجنبية الداخلة خلال العقد الأخير من القرن العشرين⁽⁴²⁵⁾. وأما حصة البلدان النامية فإنها تتسم بالتركيز في توزيعها حيث استحوذت دول أمريكا الجنوبية وآسيا عدا الباكستان وإيران والدول العربية على حصة الأسد منها، وهذا التوزيع يفند فرضية التوزيع الأمثل والعدل لرؤوس الأموال على الصعيد العالمي عن صحة فرضية أن الانفتاح المالي يحقق الوصول إلى الموارد المالية من جهة أخرى⁽⁴²⁶⁾.

2) تعزيز هيمنة الشركات عابرة القارات:

توصف اتفاقيات الاستثمار ذات الصلة في إطار منظمة التجارة العالمية بأنها غير متوازنة وتعتبر عن اختلال علاقات القوى بين الدول النامية والدول المتقدمة فهي تقيد كافة إجراءات الاستثمار المقيدة للتجارة المتبعة في الدول النامية⁽⁴²⁷⁾. في حين ان هذا الأمر لايسري على كافة هذه الإجراءات في الدول المتقدمة فضلاً عن ذلك لم تتعرض هذه الاتفاقيات للسياسات الاستثمارية للشركات عابرة القوميات وممارساتها المخلة بشروط المنافسة لاسيما في ظل قدرتها على تطوير واحتكار تكنولوجيا جديدة تؤثر على المزايا النسبية في التجارة الدولية مما يؤثر سلباً على تجارة البلدان النامية في الموارد الطبيعية والمعدنية وعلى أسعار هذه الصادرات، والهدف الحقيقي لاتفاقيات الجوانب التجارية للاستثمار هو تعزيز هيمنة وسيطرة الشركات عابرة القوميات عبر فرض مبادئ استثمارية جديدة على دول الجنوب وتوسع امتيازات الاستثمار الأجنبي تحت غطاء العولمة بحجة منح فرص للدول النامية لإصلاح اقتصادياتها من خلال ما يوفره هذا الاستثمار من نقل مزعوم لرؤوس

(425) المصدر نفسه، ص114-115.

(426) المصدر نفسه، ص115.

(427) المصدر نفسه، ص115.

الأموال والتكنولوجيا⁽⁴²⁸⁾. وترى الدكتورة هناء عبد الغفار السامرائي أن هذه الآثار يمكن أن تتفاقم في ظل تطبيق اتفاقات التجارة والاستثمار وفقاً لما يلي⁽⁴²⁹⁾:-

أ- تروج الدول الرأسمالية بأن للاستثمار الأجنبي المباشر أثراً إيجابياً على الاستثمار المحلي في البلد المضيف لأن بإمكانه أن يحفز الاستثمار المحلي من خلال شراء الشركات الأجنبية للمدخلات المصنوعة محلياً من قبل الشركات المحلية إلا أن اتفاقية (ترمس) ألغت هذه الإمكانية بحظرها إجراءات الاستثمار المتعلقة بشرط المحتوى المحلي وهذا يعني تعطيل عملية الإنتاج المحلي وتفاقم حالات البطالة⁽⁴³⁰⁾.

ب- تحظر اتفاقية ترمس أي إجراءات استثمار تقيّد استيرادات وصادرات الشركات الأجنبية المستثمرة وهذا يعني فقدان البلد المضيف لقدراته على إدارة توازن ميزان المدفوعات لأن الشركات المحلية ستكون مضطرة لاستيراد مدخلاتها من الخارج في ظل منح شرط المحتوى المحلي وسينعكس ذلك على سعر المنتج مقابل ذلك فإنها لاتضمن النفاذ إلى الأسواق الخارجية للتصدير وهذا يعني تفوق الشركات عابرة القارات في هذا المجال، وتكون النتيجة عجزاً مستديماً في ميزان المدفوعات لايمكن إصلاحه إلا بالسماح لمزيد من تدفقات الاستثمارات الأجنبية⁽⁴³¹⁾.

ج- حرمان البلد المضيف من الإيرادات الضريبية التي تفرض على رؤوس أموال الشركات الأجنبية المحولة إلى الخارج على شكل أرباح أو على استيراداتها من المدخلات الأجنبية وفقاً لما تفرضه اتفاقية (ترمس) من شرط

(428) المصدر نفسه، ص116.

(429) المصدر نفسه، ص116.

(430) المصدر نفسه، ص117.

(431) المصدر نفسه، ص117.

المعاملة الوطنية عند فرض القوانين والضرائب على النشاط الاستثماري الأجنبي أسوة بالمحلي، وهذا الأمر بالغ الأهمية بالنسبة للبلدان الأقل نمواً التي تعتمد إلى حد كبير في تمويل تنميتها على هذه الإيرادات الضريبية⁽⁴³²⁾.

د- إن الدعوة للانفتاح المالي الواسع تحمل في طياتها مخاطر الأزمات المالية التي تسببها سرعة تأثر وتقلب الاستثمارات الأجنبية وقد نجد في الأزمات والصدمات المالية التي أصابت روسيا والمكسيك ودول آسيا والبرازيل أمثلة على ما أحدثته من آثار سلبية على الاستقرار الاقتصادي⁽⁴³³⁾.

ه- إن منح حرية أكبر للشركات عابرة القارات يعزز من قدرتها على التهرب من الإذعان للتشريعات والقوانين الاجتماعية أو البيئية في البلد المضيف، كما إن ولوجه هذه الشركات مجال الخدمات بحرية كوسائل الإعلام والخدمات الثقافية سيؤثر على الأنظمة الاجتماعية والثقافية في البلدان النامية⁽⁴³⁴⁾. وفي هذا الصدد يرى الدكتور سرمد كوكب الجميل أن المسألة ليست بقبول استثمار أجنبي مباشر أو عدم قبوله وإنما المشكلة الحقيقية تكمن في الكلف غير المباشرة وغير الملموسة التي يمكن أن تتحملها الدولة المضيفة ويمكن أن تعي ذلك بعد فوات الأوان فتكون المشكلة قد تفاقمت والكلف قد تضاعفت ولا حول ولا قوة لها فهي تعمل في ظل اتفاقيات لا يمكن أن تخل بها، وإن عدم الالتزام بقراراتها يعني خطراً يواجهه الشركة الأم وبالتالي يترتب عليه

(432) المصدر نفسه، ص117.

(433) المصدر نفسه، ص118.

(434) المصدر نفسه، ص118.

تعويض من الدولة المضيفة للشركة الأم وهذا ما تنص عليه بنود منظمة التجارة العالمية⁽⁴³⁵⁾.

3) موقف الدول العربية من اتفاقيات التجارة والاستثمار:

انضمت (11) إحدى عشرة دولة عربية إلى منظمة التجارة العالمية هي الأردن، الإمارات، البحرين، تونس، جيبوتي، عمان، قطر، الكويت، مصر، المغرب، وموريتانيا في البداية عند تأسيس المنظمة ثم قبلت عضوية خمس دول عربية أخرى فيما بعد هي الجزائر، السودان، لبنان، السعودية، واليمن⁽⁴³⁶⁾. وفي اجتماع الدوحة للمنظمة قدمت سوريا طلباً للانضمام إليها وبقيت خارجها (دول المواجهة) العراق، ليبيا، الصومال وفلسطين. وفيما يخص موقفها خلال المؤتمر الوزاري الرابع في الدوحة عاصمة قطر رأت هذه الدول انه من الضروري أن يتم تضمين هذا الاتفاق عدة أمور ليكون جاهزاً للتفاوض بشأنه بما يحقق مصالح الدول العربية وزيادة مشاركتها في صنع القرار داخل المنظمة منها:-

1- أن يكون في شكل إطار مشابه لاتفاق التجارة في الخدمات.

2- السماح باشتراطات الأداء.

3- الحصول على المساعدات الفنية والمالية.

4- أن يراعي أهداف السياسة الاقتصادية ومتطلبات التنمية.

5- أن يعمل على نقل التكنولوجيا وزيادة فرص العمل⁽⁴³⁷⁾.

(435) د.سرمد كوكب الجميل، المسؤولية الاجتماعية للاستثمار الأجنبي المباشر، في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج4، دار الحكمة، بغداد، 2002، ص60.

(436) د.هنا السامرائي، مصدر سابق، ص118.

(437) جمال رزوق، القضايا الهامة والحيوية للدول النامية في جدول أعمال منظمة التجارة العالمية، نقلاً عن: د.هنا عبد الغفار السامرائي، المصدر نفسه، ص119.

ونفذت الدول العربية برامج للتصميم الهيكلي وأخذت باقتصاد السوق وأحدثت تغييرات جوهرية في قواعد الاستثمار وتطبيقات؟؟؟ اتبعت سياسة الانفتاح تجاه تدفقات استثمارات الحوافز المالية، أما بشكل كلي أو جزئي ومع ذلك فإن مستوى تدفق الاستثمارات الأجنبية إليها مازال منخفضاً للغاية بالمقارنة مع دول العالم بشكل عام والدولة النامية بشكل خاص⁽⁴³⁸⁾.

وترى الدكتورة هناء السامرائي أن الدول العربية قد تسرعت بانضمامها إلى منظمة التجارة العالمية دون توفر الأجواء الاقتصادية المناسبة لتحرير أطر ونظم التجارة والاستثمار الأجنبي ودون أحداث التغييرات اللازمة في مؤسساتها وبنيتها التحتية⁽⁴³⁹⁾ بما يتواءم مع شروط عمل السوق وان كانت هذه الدول تمر بفترة تكيف طويلة قبل الموافقة على انضمامها. كما إن انضمامها بشكل منفرد يؤثر سلباً على إمكانات التكامل الاقتصادي العربي المنشود⁽⁴⁴⁰⁾.

2- التبعية الاقتصادية وفرضية الاحتواء:

العولمة هي شكل من أشكال إدارة الصراع بين دول الشمال المتقدمة اقتصادياً وهو حل يقوم على التعاون بين القوى الكبرى المتكافئة وعلى المنافسة المتكافئة بينها بهدف الهيمنة على الاقتصاد العالمي من خلال جعل "الاعتماد المتبادل" بينها موجهاً ومنضبطاً ومقالاً وقوياً بحيث لا تستطيع دول أخرى خارج نطاق هذه القوى مواجهته على قدم المساواة، لأن مايتبقى من الدول خارجه هي الدول النامية فقط، وهي دول العالم الثالث (دول الجنوب) التي هي دون دول الشمال من حيث القوة الاقتصادية

(438) الاوتكتاد، تقرير الاستثمار العالمي لعام 1999، نقلاً عن: د.هناء عبد الغفار

السامرائي، مصدر سابق، ص119-120.

(439) د.هناء السامرائي، المصدر نفسه، ص122.

(440) المصدر نفسه، ص122.

ودونها أيضاً من حيث القدرة على اتخاذ قرارات اقتصادية مستقلة وفعالة في ظل بتبعيتها الاقتصادية الطاغية لدول الشمال التي تحمل لواء العولمة⁽⁴⁴¹⁾.

1- التبعية:

إن تزايد التدفق في الاستثمار الأجنبي وإعادة تنظيم الإنتاج والتسويق على نطاق عالمي قد زاد من الاعتماد المتبادل بين الدول المتقدمة بحيث صار للفاعلين والأحداث في جزء من النظام القدرة على التأثير في الفاعلين والأحداث في الجزء الآخر منه بحيث تتفاعل السياسات الوطنية مع بعضها في ميادين التجارة والنقود والاستثمار⁽⁴⁴²⁾. ويتمثل النظام الثاني للتفاعل الاقتصادي المتبادل بنظام الشمال والجنوب المؤلف من علاقات بين اقتصادات السوق المتقدمة في الشمال والعالم الثالث النامي ذي الاقتصادات الأقل تقدماً في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في الجنوب وعلى العكس من النظام الغربي -الاعتماد المتبادل- الذي يتألف من فاعلين أقوياء ومتساوين نسبياً، فإن نظام الشمال/الجنوب يتألف من فاعلين مختلفين في قوتهم الاقتصادية والسياسية ويتميزون بعدم المساواة مع أقطار الشمال في معدلات الدخول الفردية، والمشكلة الرئيسية التي تواجه الأقطار التي يتألف هذا النظام منها تتمثل في اعتمادهم أو تبعيتهم اقتصادياً للفاعلين الأقوياء في النظام الغربي، ففي حين يعني "الاعتماد المتبادل" مستوى عالياً من التفاعل الاقتصادي والحساسية المتبادلة، فإن التبعية (Dependence) تشير إلى تفاعل اقتصادي وحساسية غير متساويين إلى حد كبير⁽⁴⁴³⁾.

(441) عبد المنعم السيد علي، العولمة من منظوراً اقتصادي وفرضية الاحتواء، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات استراتيجية، العدد 83، أبو ظبي، 2003، ص33.

(442) المصدر نفسه، ص34.

(443) المصدر نفسه، ص35.

وتتحقق التبعية عندما يكون هناك تفاعل اقتصادي قوي وعلى مستوى عالٍ بين القطر الجنوبي (الناجي) والقطر الشمالي (المتقدم) ويكون هذا التفاعل مهماً جداً بالنسبة إلى اقتصاد القطر الجنوبي وذلك لتأثير الأخير بالفاعلين والأحداث في القطر الشمالي⁽⁴⁴⁴⁾. هذا في حين يتحقق العكس بالنسبة إلى القطر الشمالي الذي لا يكون لديه تفاعل اقتصادي على مستوى عالٍ كميّاً ولا مهم نوعياً مع القطر الجنوبي ولا يتأثر بالفاعلين والأحداث في القطر الأخير، وهكذا بينما يشكل الاعتماد المتبادل علاقة متسقة (Symmetrical) نسبياً، فإن التبعية تعكس علاقة غير متسقة Asymmetrical بين الشمال والجنوب⁽⁴⁴⁵⁾.

وفي الإطار السياسي، وفي ظل العولمة، تخضع الأقطار النامية لقرارات سياسية أكثر منها اقتصادية فتصبح اقتصادياتها هشّة وضعيفة تربط بظروف تخلفها ذي الوجوه المتعددة، وفي ظل العولمة تفقد الدولة في الجنوب الكثير من قدرتها على التحكم في أوضاعها الاقتصادية في إطار سياسة السوق المفتوحة وحرية التجارة العالمية وفي ظل الفارق الهائل في التقدم الصناعي والتقني مع الدول الصناعية الكبرى ولا يمكن أن تتطور في ظل هذه الظروف إلا التبعية للغرب في كل اقتصاديات العالم الثالث⁽⁴⁴⁶⁾.

ويعترف دعاة العولمة بأن عولمة الأعمال والتمويل ستؤدي إلى الحد -بدرجة كبيرة- من قدرة الحكومات الوطنية على رسم سياسات اقتصادية وطنية مستقلة وإلى إضعاف سيطرة تلك الحكومات على اقتصادياتها⁽⁴⁴⁷⁾. ويذهب هؤلاء إلى أنه حتى

(444) المصدر نفسه، ص35.

(445) المصدر نفسه، ص35.

(446) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، العولمة وآثارها السلبية، مصدر سابق، ص36.

(447) غير قيودار، الحاجة إلى التكامل في الشرق الأوسط، نقلاً عن: عبد المنعم السيد علي، العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الأضواء، مصدر سابق، ص47.

يمكن تحقيق ذلك فلا بد أولاً من إحداث ثورة فكرية في مفاهيمنا أي أن نتخلص من الماضي بصورة كاملة ويجب أن يصبح الرخاء وليس الايديولوجيا موضوع الاهتمام الرئيس للمواطنين والحكومات وكذلك يجب أن تكون المصالح الاقتصادية وليس المسائل السياسية هي التي تحدد تصرفاتنا وقراراتنا وتحقيقاً لهذا الغرض يجب على (الحكومات) أن تخلق بيئة تشجع المنتجات الحديثة ونشاط العمال الذي يعبر الحدود من دون قيد وهو ما حققته أوروبا الغربية وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية حيث تحولت من السياسة إلى الاقتصاد⁽⁴⁴⁸⁾.

2- فرضية الاحتواء:

إن العولمة في رفعها مستوى التوحد العالمي اقتصادياً، ومنظمة التجارة العالمية التي أزلت السدود التي كانت الدول النامية تحتمي وراءها في تجارتها السلعية وسياسات الإصلاح الاقتصادي التي قضت على السدود التي كان رأس المال الوطني يلوذ بها، كل ذلك قد جعل بالإمكان ضرب السوق المالية لبلد ما بإعصار أهوج يرفعه عالياً ليدفعه لحضيض هاوية مخيفة كما حصل في شرق آسيا⁽⁴⁴⁹⁾، خاصةً وأن العولمة لاتزال بغير قواعد وإذا استمرت في مسارها الحالي فستكون وبالاً لا على البلاد النامية وحدها بل على كامل الاقتصاد العالمي ومن ثم فإن العولمة بدون مفهوم عولمي متفق عليه من الجميع ومراع لأوضاع الجميع ومصالحهم لايمكن أن تصمد⁽⁴⁵⁰⁾. هذا علماً بأن العولمة تفترض تساوي الدول كلها من حيث قدراتها الإدارية والإبداعية وكوادرها وقدراتها التنافسية وإمكاناتها العلمية والبحثية

(448) المصدر نفسه، ص48.

(449) برهان الدجاني، البعد العالمي وتأثيراته على الاقتصاد العالمي، نقلاً عن: عبد المنعم

السيد علي، العولمة من منظور اقتصادي، المصدر نفسه، ص49.

(450) المرجع نفسه، نقلاً عن: عبد المنعم السيد علي، ص49.

ومعرفتها بالأسواق ومخزونها من الأموال والموارد وهو أمر غير صحيح عموماً وخاصة عند المقارنة بين الدول المتقدمة والدول النامية⁽⁴⁵¹⁾.

ولن تزيل العولمة القيود الاقتصادية على نطاق عالمي فقط بل إنها ستخضع أيضاً منتجات الدول الصغيرة لمنافسة دولية غير متكافئة مما يؤدي إلى الحد من قدرة حكوماتها على تنظيم اقتصادياتها الخاصة وتثبيت أنظمتها المالية بالإضافة إلى عولمة أسواق العمل فيها، وهو ما يضعف نقاباتها العمالية ويقود إلى تدمير معايير العمل فيها ويحيل قوة العمل فيها إلى سلعة متداولة، هذا بالإضافة إلى تدمير البيئة في الدول الفقيرة من خلال تشجيع العولمة على نقل الإنتاج والتلوث اليها⁽⁴⁵²⁾.

وما يجري في ظل العولمة من تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية سيقود إلى نتائج مدمرة متمثلة بشكل خاص في دمج المجتمعات البشرية المتنوعة بالقوة في إطار ثقافة اقتصادية موحدة تسيطر عليها القوى الاقتصادية العملاقة التي لا تهدف إلا إلى تعظيم العوائد على استثماراتها. وبذلك ستنتقل العولمة الدول النامية - بما فيها العربية- من طور التبعية إلى طور (الاحتواء) ملغية بذلك استقلالها الاقتصادي النسبي. هذه الأطروحة يتبناها الدكتور عبد المنعم السيد علي في كتابه (العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء) استناداً إلى الطبيعة الموضوعية للعولمة، ويرى إنه في عالم معولم ستندعم الحدود ويزول التمييز بين الأسواق الوطنية والعالمية وستتزايد الاندماجات والاستحواذات والتحالفات بين المشروعات المتنافسة بهدف تقليص التكاليف وزيادة الكفاءة الإنتاجية والتسويقية وتوسيع الحصة لكل منها وسيكون الربح في النتيجة من نصيب الدول التي تستجيب لوصفات صندوق النقد

(451) المصدر نفسه، ص 49-50.

(452) إبراهيم دبدوب، العولمة وأسواق المال في منطقة المنتدى، نقلاً عن عبد المنعم السيد علي، المصدر نفسه، ص 50.

الدولي، ومن المؤكد كما يرى د. عبد المنعم السيد علي ان الدول الفقيرة ستبقى أسيرة وأكثر تأثراً بالأحداث والسياسات الاقتصادية في الدول المتقدمة⁽⁴⁵³⁾.

3- تأثير التكتلات الاقتصادية الدولية:

تمثل التكتلات الاقتصادية الدولية حالياً مركزاً أساسياً في عولمة الاقتصاد العالمي، فهناك اتجاه واضح لدى الدول المتقدمة والنامية معاً للدخول في ترتيبات تجارية حرة فيما بينها ينظر اليها بوصفها جزءاً من جهد شامل باتجاه تحرير التجارة الخارجية متعددة الأطراف وهو ما أقرته اتفاقية أوجواي لعام 1994 وتعرض منظمة التجارة العالمية على أعضائها جميعاً وتعمل أيضاً على توحيد جزئي أو كلي لاقتصادات الدول الأعضاء وهو جوهر العولمة الاقتصادية. ومن الآثار السلبية المهمة التي تترتب على هذه التكتلات عولمة الأسواق المالية والنقدية الوطنية وأدواتها المالية المحلية، فقد جرت عولمة التعامل بالأوراق المالية الحكومية وبخاصة الأوروبية والأمريكية وكذلك عولمة الاقتراض المتبادل بين المصارف الدولية والاتجار بالمصرف الأجنبي وبالأسهم وبكميات ضخمة وبصورة مستمرة⁽⁴⁵⁴⁾.

ثالثاً- الآثار السلبية على الصعيد الثقافي:

1- آثار الهيمنة الإعلامية الغربية:

⁽⁴⁵³⁾ عبد المنعم السيد علي، العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية وبحوث استراتيجية، العدد 83، أبو ظبي، 2003، ص50-51.

⁽⁴⁵⁴⁾ نقلاً عن: عبد المنعم السيد علي، التكتلات الاقتصادية الدولية طبيعتها وأنواعها وخصائصها وآثارها الاقتصادية على الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، العدد 85، القاهرة، آذار 1996، ص102-121 (مقالة).

يتعامل الإنسان في حياتنا المعاصرة مع وسائل الإعلام المتعددة في مختلف مناحي الحياة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي فلا يمر يوم دون أن يكون على مقربة من مذياع في بيته أو سيارته أو في الشارع أو يشاهد في التلفزيون ماشاء من البرامج بفعل القنوات الفضائية وتتجلى الثورة الإعلامية في هذا الكم الهائل والتنوع الشديد فيما تقدمه من معلومات وما تعززه من اتجاهات، تؤثر في عقول البشر ووجدانهم⁽⁴⁵⁵⁾.

ونجاح الإعلام يعتمد في المقام الأول على قدرته في استغلال عواطف الإنسان الكامن وانفعالاته، والعلاقة في وسائل الإعلام تكون بين طرفين المرسل والمستقبل، فالمرسل يود أن يؤثر في عقول الآخرين ويستثير عواطفهم بالانطلاق من أي معلومات تنقلها وسائل الإعلام والتواصل تتكيف عند استقبالها في ضوء حالة شعورية وتوقعية معينة وتشد الانتباه من خلال أشكال مختلفة تتمثل في الألوان والموسيقى والصور المجسمة⁽⁴⁵⁶⁾، ثم تأتي مرحلة تجميع معلومات جديدة ما لم تكن متصلة اتصالاً وثيقاً بحاجات المرء ورغباته⁽⁴⁵⁷⁾. وفي الطرف الثاني يجري استنباط الأفكار ذات الأهمية الكبرى في التوجه نحو الأداء ويتأثر الأداء بالفكر والعاطفة، فإذا كان المستقبل مزوداً بالفكر الناقد الموضوعي أمكنه أن يميز بين القيم والخبرات البناءة والقيم والخبرات السلبية التي تشكل خطراً على الفرد والمجتمع إذ إن ما يبحث عبر وسائل الإعلام خاصة المتلفزة منها يؤدي إلى الانفتاح والتنمية أو إلى الهدم

(455) د.محمود السيد، الهيمنة المعلوماتية والإعلامية وآثارها، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص211.

(456) المصدر نفسه، ص201.

(457) المصدر نفسه، ص201.

والتخريب وقد قال فيكتور هوجو قديماً (قد تستطيع مقاومة غزو السلاح ولكنك
لاستطيع مقاومة غزو الأفكار)⁽⁴⁵⁸⁾.

إن الوطن العربي يتعرض لغزو ثقافي ممتد في ظلال العولمة من اتجاه واحد
هو من الشمال إلى الجنوب، ويتأثر الوطن العربي بهذا الإرسال بسبب الجهل
والحرمان الذي يسود المجتمع العربي وعدم التمييز بين الصالح والسيئ، وإن هذا
الإرسال يتلاعب بالعواطف، ونتيجة الفراغ الهائل الذي يعانيه المجتمع العربي فإن
استجابته لما يبث له كبيرة وهناك أيضاً سبب ذهني إن الوطن العربي يحتوي على
مخلفات من عهد الاستعمار، وإن الذين هاجروا إلى الغرب قد تأثروا بحياته، إلا إن
استمرار هذه التبعية يتأكد بفعل مجموعة من المعلومات الموضوعية الذاتية مثل
التفاوت في مصادر القوة والنفوذ بين الشمال والجنوب وهذا التفاوت يكرس التبعية
ويعزز الهيمنة⁽⁴⁵⁹⁾.

ولا يمكن أغفال الدور الذي تؤديه الأقمار الصناعية في تعزيز عدم التكافؤ في
التبادل التلفزيوني بين الدول المتقدمة والدول النامية مما يثير قضية الحفاظ على الهوية
الثقافية وحمايتها من الذوبان في بوتقة الثقافات الأخرى، وأكثر ما يؤثر البث
التلفزيوني في الطفل حيث يكتسب مجموعة معارف وثقافات من البرامج التلفزيونية
وقد أظهرت بعض الدراسات أن معدل جلوس الطفل العربي أمام التلفزيون والفيديو
يفوق معدل جلوس الطفل الأمريكي والأوروبي بسبب عدم وجود بدائل متاحة لتربية
الطفل العربي من أنشطة اجتماعية وفنية وهذا يدل على مدى ما يتعرض له الطفل
العربي في تكوين شخصيته وتماسك انتمائه وتخلخل قيمه واتجاهاته لأن ما يتفاعل

(458) نقلاً عن: د. محمود السيد، المصدر نفسه، ص 202.

(459) المنظمة العربية للتنمية والثقافة والعلوم، نقلاً عن: د. محمود السيد، المصدر نفسه،
ص 203.

معها الأطفال العرب عبر وسائل الإعلام يفوق مايرد إليهم من أسرهم عن طريق النصح والكلام⁽⁴⁶⁰⁾.

والملاحظ على مضمون البرامج المشاهدة من الكبار والصغار الطابع الاستهلاكي، ومعظم الإعلانات تروج لسلع استهلاكية أجنبية غالباً، مما يساعد على نشر أنماط الحياة الاستهلاكية ويساهم في إقامة المجتمع الاستهلاكي على حساب أولويات التنمية ويعرقل تنفيذ سياسة الإدخار ويسلب إرادة المستهلك العربي ويعزز شعوره بالغرابة تجاه السلع الوطنية ومنتجاتها ويزيد التناقض بين هذا المستهلك وحاجاته وبين الذهنية التي يساهم الإعلام في تكوينها وتذاع الإعلانات السلعية في الوقت المناسب على حين إن الإعلانات الخدمية تذاع في الوقت العادي⁽⁴⁶¹⁾.

والإدمان على مشاهدة البرامج الأجنبية يؤدي إلى نوع من الاغتراب لدى المشاهدين وهو تعبير عن عدم الرضا عن الواقع المعيش فيه ورفض المجتمع المحلي وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان وأشدّه فقدان الذات ونتيجة لذلك يتكون لدى الفرد شعوراً بالبؤس قد لا يستطيع أن ينمي بحرية طاقته الفسيولوجية أو العقلية وينتج عن ذلك إنسان منهوك القوى جسمانياً ممزق عقلياً يشعر بالوحدة وبأنه فرد بلا واقع واضح وهو ضحية لضغوط غامضة ومتصارعة، فضلاً عن توسيع الهوة بين الأجيال دون محاولة لتذويب الاختلافات أو بناء الجسور التي يعبر عليها كل جيل وبذلك تنهياً الفرصة لحدوث صراع حاد بين الأجيال يقوض أركان التماسك

⁽⁴⁶⁰⁾ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نحو وضع خطة قومية لثقافة الطفل العربي، نقلاً عن: د.محمود السيد، المصدر نفسه، ص203.

⁽⁴⁶¹⁾ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلة الإعلام العربي، نقلاً عن: د.محمود السيد، المصدر نفسه، ص204.

الاجتماعي، وينمي الفردية ويضعف الولاء للمجتمع ويعمل على إضعاف الإلتزام إلى التراث الوطني والتراث الحضاري وتوسيع قاعدة الاغتراب⁽⁴⁶²⁾.

ومن الآثار السلبية للبحث التلفزيوني الأجنبي المباشر على اتجاهات المجتمع والأفراد والقيم في الوطن العربي هو تمجيد العنف والجريمة والنزعة العدوانية والتدمير والتحلل من القيم والعنصرية والاستعلاء وتنمية التفكير الخرافي المجافي للأسلوب العلمي والدعوة إلى ان الدنيا مسألة حظوظ إضافة إلى صيرورة قيم الاستهلاك، وتقديم الصورة المشوهة عن الوطن العربي⁽⁴⁶³⁾. وربما كان فيلم (علاء الدين) نموذجاً صارخاً لهذا التقديم المشوه، فقد نال جائزتين من جوائز الأوسكار لأفضل موسيقى و(أجمل أغنية) بعنوان (عالم جديد) هذا الفيلم يبدأ بأغنية تصف علاء الدين على النحو التالي (أنا قادم من أرض بعيدة، من مكان بعيد، حيث تجوب قوافل الجمال ويقطعون أذنيك إذا لم يعجبهم وجهك، هذا عمل بربري، ولكنه بيتي)، ولكم نلاحظ من خلال هذه الأغنية التعصب الأعمى والاستعلاء غير المبرر والعدوانية وتشويه الحقائق وتزوير التاريخ⁽⁴⁶⁴⁾.

2- اختراق الثقافة العربية:

يرى الدكتور عبد المنعم الحسني إن الثقافة العربية حالها حال الثقافات الوطنية أو المحلية في العالم النامي تعاني من الاختراق الثقافي الغربي، ويتم ذلك بتأثير وسائل الإعلام السمعية والبصرية المختلفة، وكنتيجة لهذا ولاختراق فإن الثقافة العربية تعاني من الازدواجية أو الثنائية التي توجد في أكثر من مجال فبوجه عام نجد

⁽⁴⁶²⁾ د.محمود السيد، في الإعلام التربوي، نقلاً عن: د.محمود السيد، المصدر السابق، ص204.

⁽⁴⁶³⁾ د.محمود السيد، المصدر نفسه، ص204.

⁽⁴⁶⁴⁾ د.محمود السيد، المصدر نفسه، ص205.

ثقافة النخبة والثقافة الجماهيرية ومن ناحية النظرة إلى الحياة أو أسلوب الحياة نجد ثنائية التقليدي والعصري وازدواجية الأصالة والمعاصرة في الفكر والسلوك وبعض جوانب الحياة الأخرى⁽⁴⁶⁵⁾.

وبعد أن استعرض آراء معظم الباحثين العرب في المسألة الثقافية يرى الدكتور عبد المنعم الحسني إن هذه الازدواجية لا يمكن أن تعود إلى تأثير الثقافة الغربية فقط، إذ لا بد للعوامل الداخلية المتعددة أن تلعب دورها هي الأخرى في تلك الظاهرة⁽⁴⁶⁶⁾. ومهما كانت طبيعة الاختراق الذي حدث للثقافة العربية إلا أن هناك عناصر جديدة ظهرت في الوطن العربي كنتائج لهذا الاختراق منها، الاغتراب والنظرة الفردية والمادية والاستهلاك الترفي. ويعني وجود هذه الخصائص أن الثقافة العربية لم تعد كما كانت وانها تواجه تحدياً وخطراً لمكوناتها الأساسية ويهدد قدرة الإنسان العربي على مواجهة التحدي بالشلل⁽⁴⁶⁷⁾.

وينتقد الباحث العربي نبيل علي الموقف العربي من المسألة الثقافية في كتابه (الثقافة العربية وعصر المعلومات) ويرى ضرورة التفهم الشديد العمق لعلاقة منظومة الثقافة بمنظومات المعلومات والعالمية ويرى انه لا خوف من الثقافات الأجنبية لأنه سيبقى لدينا نحن العرب (ثقافتنا ومواردنا البشرية) لأن الموارد البشرية هي التي تضع الثقافة العربية مهما تكن طبيعة المبدعين صغاراً أم كباراً، نخبة أم عامة على الرغم من وجود الثنائية في الثقافة العربية بين التراث والمعاصرة وهو في موقفه هذا من العولمة أقرب إلى الموقف البراغماتي أو العلمي ويرى نبيل علي

(465) د. عبد المنعم الحسني، العولمة والأمن الثقافي، في كتاب "العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج6، الثقافة والإعلام، دار الحكمة، بغداد، 2002، ص60.

(466) المصدر نفسه، ص60.

(467) أحمد مجدي حجازي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، نقلاً عن: د. عبد المنعم الحسني، المصدر نفسه، ص60.

أن العولمة أصبحت حقيقة واقعة وينبغي التعامل معها في ظل ماتعرضه من قيود من جهة وما تنتجه من فرص من جهة أخرى (468).

ويرى نبيل علي ان صورة الثقافة العربية على الإنترنت لاتدعو إلى الارتياح ويورد أسباب ضعف الثقافة العربية على شبكة الإنترنت بالآتي (469):-

- 1) غياب التنسيق بين الدول العربية في هذا المجال.
- 2) الاختلاف الكبير في طبيعة وأهداف رسم صورة الثقافة العربية والحضارة الإسلامية بسبب مشاركة فرق متنوعة ومؤسسات متعددة وجماعات مختلفة في تشكيل هذه الصورة داخل الوطن وخارجه.
- 3) تطغى على الإنترنت الأمور المتصلة بالعقيدة والقيم على كل عناصر الثقافة العربية الأخرى، ورغم أهمية العقيدة والقيم وضرورة التمسك بهما إلا انه يلاحظ غياب عناصر ثقافة أخرى مثل الأدب والشعر واللغة والتاريخ وتاريخ العلوم عند العرب والفن وغيرها.
- 4) تركيز أغلب الحديث على الماضي فيما يخص النشاط الثقافي والحضاري واهتمام أقل بالحاضر والمستقبل.
- 5) الانفعال وعدم توفير مهارات الحوار في عرض الخطاب الثقافي العربي.
- 6) يتصف عرض الثقافة العربية عبر الانترنت خاصة الجدل الديني بالطابع التصادمي والمواجهة وغيرها من خصائص سيئة تضعف قوة العرض وتأثيره.

(468) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، نقلاً عن: د.عبد المنعم الحسني، المصدر نفسه، ص61.

(469) المصدر نفسه، ص62.

7) نقل الخلافات بين الدول العربية والأفراد حول كثير من الأمور إلى ساحة
الجدل العلمي.

8) ضعف الترجمة من العربية إلى الإنكليزية.

9) ضعف أو شبه انعدام صلة المفكرين العرب بالإنترنت ووسائل الاتصال
الحديثة⁽⁴⁷⁰⁾.

ويورد الدكتور عبد المنعم الحسني بعض المعالجات لمواجهة تحدي اختراق
الثقافة العربية منها⁽⁴⁷¹⁾:-

1) تقويم مسألة التعليم في الوطن العربي وجعله كما كان- حقاً للجميع بما فيه
التعليم العالي ومعالجة نسبة الأمية المرتفعة في المجتمع العربي ومساعدة
الأسرة العربية على معالجة التفكك الذي نالها.

2) ضرورة وجود ديمقراطية حقيقية تتضمن التعبير الحر والمشاركة ويتم فيها
تحرير (الثقافة) من (السياسة) فالسياسة سلطة والثقافة حرية والسلطة تقتل
الحرية وتكبلها وتلغيها⁽⁴⁷²⁾.

3) التسلح بالعلم والتقنية وتوظيفها في مواجهة الصعوبات والمشاكل داخل
الوطن العربي والتأكيد على تطوير ثقافة ابداعية وتطبيقها وتوظيفها في
مواجهة الاحتياجات الفعلية للمجتمع وينبغي ألا يقتصر التسلح ضد مخاطر
العولمة على المثقفين بل انه يشمل عامة الناس وبلغة بسيطة بإمكانهم منهما
والتأكيد على دور الدين⁽⁴⁷³⁾.

⁽⁴⁷⁰⁾ نبيل علي، المصدر نفسه، ص62-63.

⁽⁴⁷¹⁾ د. عبد المنعم الحسني، مصدر سابق، ص63.

⁽⁴⁷²⁾ د. محمد عابد الجابري، نقلاً عن: د. عبد المنعم الحسني، المصدر نفسه، ص67.

⁽⁴⁷³⁾ د. عبد المنعم الحسني، المصدر نفسه، ص67-68.

4) التفاعل الإيجابي والحوار مع ثقافات الأمم الأخرى خاصة المتقدمة على أساس التكافؤ والأخذ والعطاء والتأثير والتأثر - كما حدث في العصور الوسطى- وليس على أساس الاستعلاء والتعصب والعنصرية وحتمية (الصراع) بين الحضارات الذي يدعو إليه بعض دعاة العولمة، وقد سبقتنا في تحقيق ذلك دول وأمم عديدة احتفظت بخصوصيتها وبأصالتها في تفاعلها مع العولمة، فقد تعاملت اليابان والصين بدرجة أقل مع العولمة دون فقدانها للخصوصية الثقافية وعلينا دراسة هاتين التجربتين بصورة عميقة والاستفادة منهما في مواجهة مخاطر العولمة ومن ضمنها مخاطر الاختراق الثقافي⁽⁴⁷⁴⁾.

رابعاً- الآثار السلبية في الصعيد الاجتماعي:

لغرض فهم التغيرات التي حدثت لأنساق القيم الاجتماعية في عصر العولمة لابد من الرجوع إلى الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمعات العربية قبل السبعينات من القرن العشرين.

1- ساد النظام الإقطاعي في الأرض الزراعية، وكان المزارعون والفلاحون في المجتمع يخضعون لشروط الإقطاعي، وصاحب الأرض سواء بالتأجير أو بإعطائهم حصة قليلة من إنتاجهم الزراعي بضمنها البذور للموسم المقبل، وقد اتبعوا في بعض البلدان العربية على أسلوب إيجار الأرض وأدبي ذلك إلى ارتفاع أثمان الأراضي الزراعية وفي نفس الوقت كان الإقطاعيون وملاك الأراضي يغرقون الفلاحين بالديون والإيجارات المتأخرة، وفي فترة لاحقة سكن ملاك الأراضي المدن ودرجوا على تأجيرها، ولجأ بعضهم إلى استثمار

(474) المصدر نفسه، ص69.

أموالهم في الصناعة والاستهلاكية، وقسم منهم أدخل أموالهم في صناعات نسيجية تستدعي اشتراك الأجانب فيها لغرض الخبرة والمعدات ولذلك دخلت الاحتكارات الأجنبية على النشاط الصناعي⁽⁴⁷⁵⁾.

2- وفي عهد الاستقلال المتتالية في الوطن العربي سيطرت الحكومات على وسائل الإنتاج وتم توجيه ضربات لرأس المال المتواجد عن طريق قوانين التأميم، ونقلت أدوات الإنتاج في الصناعة والزراعة لتصبح في مجموعها تحت سيطرة الدولة⁽⁴⁷⁶⁾.

3- إن إجراءات التأميم في الوطن العربي في الستينات والسبعينات من القرن العشرين أدت إلى امتلاك الدولة لقسم مهم من الخصائص الاقتصادية تم تبديده بأهداف سميت قومية سعياً وراء العز والمجد الكاذب⁽⁴⁷⁷⁾.

4- في تلك المرحلة ظهرت الفئات البيروقراطية التي ضمت الكوادر الإدارية والفنية والعسكرية التي احتلت مراكز القيادة في معظم الدول العربية وكان له تأثير هائل على المجتمع والقرارات السياسية بوضعها الوظيفي ونفوذها الإداري فهي التي تحدد طريقة التصرف في الفائض الاقتصادي المتولد في قطاع الدولة بما تتخذه من قرارات استثمارية أو قرارات تتعلق بالعمالة والأجور وتلعب دوراً خطيراً في توزيع الدخل القومي حسبما يشتهي ويراه الحاكم الدكتاتور⁽⁴⁷⁸⁾. ومن هذا الموقع استطاعت ان تحصل لنفسها على امتيازات كبيرة كما نشطت داخل القطاع العام لتكوين الثروات غير المشروعة

⁽⁴⁷⁵⁾ د. أحمد أنور، الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004، ص277.

⁽⁴⁷⁶⁾ إبراهيم عامر، الأرض والفلاح، نقلاً عن: د. أحمد أنور، المصدر نفسه، ص277.

⁽⁴⁷⁷⁾ باتريك أوبريان، ثورة النظام الاقتصادي في مصر، نقلاً عن: د. أحمد أنور، المصدر نفسه، ص278.

⁽⁴⁷⁸⁾ ايغور بيليايف وافغيني بريماكوف، نقلاً عن: د. أحمد أنور، المصدر نفسه، ص278.

مستغلة مواقعها منه وتمثلت خطورة هذه الطبقة البيروقراطية في أنها كانت تخفي أهدافها الانتهازية وراء شعارات الاشتراكية والوطنية والقومية كذباً وزوراً⁽⁴⁷⁹⁾. وأكدت الفئات البيروقراطية والانتهازية على التنظيم السياسي الواحد كأداة لخلق التضامن والتكامل وتمت تصفية الحركة الحزبية بكل فصائلها وفرقها وأصبح الناس لا يسمعون إلا رأياً واحداً ووجهة نظر واحدة هي وجهة نظر القائد الضرورة⁽⁴⁸⁰⁾، ومن ثم كان الانسحاب من قبل المجتمع والنظر للأحداث من موقع المتفرج وفقدان القدرة على الرفض والاعتراض والمقاومة، وسيطرة قيم السلبية وعدم المشاركة، ولم تكن تملك الأنظمة صنعة الاستمرار النفسي ذلك ان القيم التي أفرزتها لم تكن هي القيم الحقيقية للجماهير⁽⁴⁸¹⁾.

5- إن تلك السلبيات وغيرها التي كانت كامنة في الأنظمة العربية وخاصة القوى البيروقراطية والتكنوقراطية في الحكومة والقطاع العام قد وجدت لها ظهيراً في قوى ضغط دولية تمثلت في الرأسمالية العالمية، وإقليمية تمثلت في الدول العربية البترولية في الخليج وبدأت تنادي بضرورة إعطاء المزيد من الفرص للقطاع الخاص المحلي وفتح الأبواب أمام الاستثمار الأجنبي وتفكيك القطاع العام بإنهاء سيطرة الدولية والقطاع العام على مجال التجارة الداخلية والخارجية بالشركات وأسواق المال والتعامل النقدي وسعر الصرف وكذلك نحو مزيد من تخلي الدولة عن وظائفها الاجتماعية وإلغاء الأموال المخصصة

(479) عادل غنيم، حول قضية الطبقة الجديدة، نقلاً عن: د. أحمد أنور، المصدر نفسه،

ص 279.

(480) الباحث.

(481) علي الدين هلال، الديمقراطية والاشتراكية، الفكر العربي، السنة الأولى، نوفمبر

1978، ص 21-22.

لدعم السلع والتخلي عن سياسة التخطيط والتسعير الجبري والحماية الجمركية
وتقييد الاستيراد وتقليص دور القطاع العام⁽⁴⁸²⁾.

وفي الفقرات التالية نحاول الوقوف على الآثار السلبية للعولمة في الصعيد
الاجتماعي.

1- تأثير سياسة الانفتاح:

بدأت المحاولات لدمج الوطن العربي في السوق بفتح الأبواب أمام رؤوس
الأموال الأجنبية وتحويل الاقتصاديات العربية بالتدريج إلى اقتصاد تحل فيه
الاستثمارات والقروض الأجنبية محل المدخرات الوطنية وتحل فيه الواردات
الأجنبية محل منتجات الصناعة والزراعة وتمت تعبئة الفائض الاقتصادي مصدر
التطوير المركزي وتحويله إلى الخارج، وقد تم تحطيم القيود أمام الانطلاق
الرأسمالي وذلك بفتح الأبواب أمام الاستثمارات الأجنبية وتقديم كل التسهيلات أمامها
في جميع المجالات⁽⁴⁸³⁾، كما تميز نمط الإنتاج في عهد الانفتاح بتخلف قطاعات
الإنتاج الرئيسية كالزراعة والصناعة بينما برزت قطاعات ذات نمو سريع ولاتستند
إلى عناصر القوة الذاتية للاقتصاد كما إنها مرهونة للخارج مثل البترول والسياحة،
وانخفضت الاستثمارات الموجهة للزراعة وفقدت القرية وظيفتها الإنتاجية وتحولت
إلى وحدة استهلاكية انضمت إلى المدينة كمستهلك طفيلي، كما اتجهت سياسة
الانفتاح إلى تصفية الصناعة الوطنية عن طريق محاصرة وتطوير القطاع العام إلى
محاولات تحجيمه وتقليص وزنه داخل الاقتصاد الوطني وأصبح المجتمع العربي

⁽⁴⁸²⁾ جودة عبد الخالق وآخرون، الانفتاح، نقلاً عن: د.أحمد أنور، المصدر نفسه،
ص280.

⁽⁴⁸³⁾ محمد ديويدار، الاقتصاد العربي بين التخلف والتطوير، نقلاً عن: د.أحمد أنور، دار
المطبوعات العربية، الإسكندرية، 1978، ص537.

يستورد بشكل يفوق حجم ماينتج ويدخر ويصدر⁽⁴⁸⁴⁾، فزادت حاجة الدول العربية للاقتراض الخارجي بمعدلات مرتفعة فزاد حجم الديون وارتفعت أعباء فوائدها وزادت الخطورة في أن هناك قسم من الديون قد تم إنفاقه على الاستهلاك وأغرقت البلاد العربية بالسلع الأجنبية والتي جعلت المستهلك حتى بين محدودي الدخل فيها يصدق أن كل سلعة مستوردة هي سلعة متفوقة في كل شيء عن السلع المنتجة محلياً وبالتدريج فقدت السلع المصنوعة محلياً سيادتها تدريجياً في السوق⁽⁴⁸⁵⁾. ولا يعقل أن تتضافر السياسات الاقتصادية على نحو يؤدي إلى إغراق الأسواق بشتى صنوف السلع الاستهلاكية من خلال الاستيراد ثم يطلب من الفرد أن يتحلى بالقناعة وضبط النفس ويحجم عن الاقتراب من هذه السلع والإغراءات الإعلانية بحجة أن المصلحة القومية تقتضي ذلك⁽⁴⁸⁶⁾.

وقد أفرزت سياسة الانفتاح ضغوطاً تضخمية أسهمت في ارتفاع الأسعار وتدهور أحوال الفئات الثابتة الدخل من أصحاب المرتبات والمتقاعدين (أصحاب المعاشات) في نفس الوقت أصبح هؤلاء غير قادرين على محاكاة أنماط الاستهلاك المرتفعة التي صنعتها القلة المتمكنة مادياً ولا يمكن الإفلات من ضغوطها فظهرت أوهام الحل الفردي التي وجدتها لنفسها طريقاً في إمكانيات هجرة العمل في شركات القطاع العام للعمل في شركات الاستثمار خاصة بين أبرز الكفاءات أو الهجرة إلى البلدان النفطية في الخليج التي أسهمت في تدعيم قيم الاستهلاك وإهدار قيمة العمل المنتج، حيث يخضع المهاجر بعد وصوله لأثر المشاهدة والمحاكاة لنمط الاستهلاك

(484) إبراهيم العسوي، في إصلاح مايفسده الانفتاح، نقلاً عن: د. أحمد أنور، المصدر نفسه، ص281.

(485) المصدر نفسه، ص281.

(486) جلال أمين، محنة الاقتصاد والثقافة في مصر، المركز العربي للبحث، القاهرة، 1982، ص96-97.

السائد في بلدان النفط الخليجية، إذ يجد أحدث ما وصل إليه العالم الغربي من فنون سلع الإنتاج الحديث⁽⁴⁸⁷⁾. ولم يسلم من أثر المحاكاة أي فئة من فئات العمالة المهاجرة، فقد كان المهاجرون يأتون بأنواع عديدة من السلع لم يروها لا هم ولا أسرهم من قبل مثل تلفزيونات ملونة أو فيديو هات وحتى مستحضرات التجميل⁽⁴⁸⁸⁾. كما اتجه الجانب الكبير من استثمارات المهاجرين إلى أنشطة تزيد من الدخل بدون مجهود أو أقلمة مثل التاكسي أو السمسة أو العقارات أو محلات تجارية وبذلك ساهمت الهجرة سواء بين الدول العربية أو إلى خارجها في إتاحة مناخ مواتٍ للاستسهال كقيمة⁽⁴⁸⁹⁾.

ومن أهم الآثار التي ترتبت على هجرة الأيدي العاملة إهدار قيمة العمل المنتج فقد اهتزاز لتصور وجود علاقة بين زيادة مستوى الدخل وزيادة مستوى الإنتاجية ولم تعد هناك علاقة بين زيادة مستوى الدخل وزيادة مستوى الإنتاجية أو بين عمليات رفع مستوى المعيشة وبين مقدار الجهد المطلوب⁽⁴⁹⁰⁾.

2- التمايز الطبقي:

وكنتيجة للتغيرات التي حصلت في الصعيد الاقتصادي على النحو الذي أسلفنا شرحه آنفاً، ظهر التمايز الطبقي الحاد في المجتمع العربي وقد تجلت مظاهره في العمارات والأبراج الشاهقة والفنادق الفخمة وشقق التمليك يقابلها سكان المقابر

⁽⁴⁸⁷⁾ جلال أمين، الاقتصاد والسياسة والمجتمع في عصر الانفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1984، ص47.

⁽⁴⁸⁸⁾ المصدر نفسه، ص49.

⁽⁴⁸⁹⁾ نادر فرجاني، الهجرة إلى النفط وأثرها على التنمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1983، ص57-58.

⁽⁴⁹⁰⁾ سعد الدين إبراهيم، النظام الاجتماعي العربي الجديد، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1982، ص42-43.

والعشش وأحياء (التتك)⁽⁴⁹¹⁾، والمنازل القديمة الآيلة للسقوط وبينما تنتشر في المجتمعات العربية المستشفيات الفندقية الاستثمارية الخاصة نجد المستشفيات الحكومية فيها من مسببات المرض أكثر منها مسببات الشفاء وغيرها كثير من مظاهر الاستقطاب الطبقي وكان لذلك انعكاساته السلبية في تفشي جرائم البغاء والرشوة والاختلاس وتجارة المخدرات والذي يعكس مظاهر البحث عن أقصر الطرق للغنى والثراء⁽⁴⁹²⁾.

3- تراجع قيم التعليم والثقافة:

شهد أفراد المجتمع العربي في عصر العولمة طرقاً للكسب السريع سهلة ولا تحتاج إلى بذل الجهود والمعاناة في تحصيل العلم وسيطرت قيم الاستسهال والغش والتزوير فانتشر الغش بين الطلاب، وأصبح المدرس لا يقوم بالتدريس في المدرسة وإنما خارجها حيث انتشرت الدروس الخصوصية، وترتب على ذلك إضعاف قيمة المدرسة الرسمية حيث أصبحت تحتل وجوداً هامشياً لا يبره إلا احتفاظها بحق إصدار الشهادة وما ارتبط بذلك من تهديد لمبدأ تكافؤ الفرص. وانتشر التعليم الأهلي والخاص ذا المصروفات الخيالية بحيث لا يستطيع الالتحاق بها أبناء الفقراء⁽⁴⁹³⁾، بينما تعاني المدارس الحكومية من كثير من النواقص والمشكلات من بينها الماء والكهرباء كما في كثير من المدارس في ضواحي مدينة بغداد⁽⁴⁹⁴⁾، وتحول التعليم

⁽⁴⁹¹⁾ تنتشر في أطراف بغداد منذ الثمانينات من القرن العشرين هذه الأحياء وهي عبارة عن صفائح وعلب فارغة يملأها الناس بالتراب ويرصفونها فوق بعضها فيبنون منها حيطان ويسقفونها بحصران القصب والخشب والطين فيبنون منها (بيوتاً) "الباحث".

⁽⁴⁹²⁾ سعد الدين إبراهيم، المصدر السابق، ص 85.

⁽⁴⁹³⁾ سعيد إسماعيل علي، محنة التعليم في مصر، نقلاً عن: د. أحمد أنور، المصدر السابق،

ص 286.

⁽⁴⁹⁴⁾ الباحث.

إلى سلعة باهظة الثمن بل تحولت المدارس إلى بوتيكات وتبرعات وهدايا مما قوض التعليم (كقيمة) ولم تسلم الجامعة من الغزو العولمي والإجهاز على قيمة التعليم فظهرت الجامعات الخاصة بمصروفات باهظة واضطرت أعداد كبيرة من خريجي الجامعة إلى مزاولة أعمال لاتمت إلى تخصصاتهم ولا إلى العلم بصلة كما تأثر أستاذ الجامعة بالمناخ ذاته فانصرف عن مهمته الحقيقية في نشر العلم والإنتاج المبدع وأصبح ما يشغله هو حجم الكتاب وسعره وانتشرت الدروس الخصوصية وكثرت الإعاقة⁽⁴⁹⁵⁾.

4- قيم السلبية واللامبالاة:

ساهم مناخ العولمة في تعميق دونية المرأة وتبعيتها وتجلى ذلك من خلال إظهار المرأة أداة للمتعة والجنس من خلال الأفلام والإعلانات التلفزيونية التي تمتلئ بإشارات وإيماءات ومشاهد ذات مضمون جنسي، وكانت نتيجة ذلك لدى فئات كثيرة من المجتمع العربي كبت حرية المرأة وحرمانها من العمل ومنعها من بالاختلاط بالجنس الآخر وحرمانها من العمل ولذلك تراجعت قيم المساواة بمعناها الواسع بين الجنسين لتحل محلها قيم دونية المرأة وقهرها وتبعيتها⁽⁴⁹⁶⁾، كما انتشرت قيم السلبية واللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية والانقياد في الولاء للآخر والتسليم بالأمر الواقع وهي محاولات أسهمت في تكريس القدرية الجاهلية - غير الشرعية- والاتكالية، ولذلك جذور في البنية الاجتماعية العربية تعود أساساً إلى القهر السياسي الذي تعرض له المواطن العربي وإلى الطغيان الشرقي الذي استمر خلال مختلف العصور، كما إن الواقع الاقتصادي والاجتماعي المسرف في التمايز الطبقي أفرز

⁽⁴⁹⁵⁾ محمد نور فرحات، جامعات مصر وقيم الانفتاح الاقتصادي، الأهرام الاقتصادي، العدد 770، القاهرة، أكتوبر 1983، ص20-23.

⁽⁴⁹⁶⁾ سعد الدين إبراهيم، النظام العربي الجديد، مصدر سابق، ص288.

الانسحابية المفرطة للجماهير أمام الطغيان القاهر للحاكم والخضوع وممالة الحاكم وعدم الاكتراث بالمسائل العامة وعدم المشاركة السياسية⁽⁴⁹⁷⁾.

5- إشاعة الروح الانهزامية⁽⁴⁹⁸⁾:

بعد حرب اكتوبر عام 1973 ومع بداية عصر العولمة والانفتاح، بدأت محاولات دؤوبة لزرع الهزيمة في وجدان العرب ومنها شعب مصر بصفة خاصة، بفرملة مشاعر الكراهية ضد الاستعمار والتخلي عن قيم الانتماء القومي ورُوجت في مصر وسائر البلدان العربية مقولات تقول حرب أكتوبر هي آخر الحروب وأزمة مصر الاقتصادية سببها حروبها من أجل العرب وفلسطين وبدأ الخط المنحاز للولايات المتحدة في السياسة وتم توقيع معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل وبعدها بدأت محادثات الصلح بين البلدان العربية لبنان، سوريا، وفلسطين مع إسرائيل في محادثات أوسلو عام 1993 لتصبح العلاقة هي حواجز نفسية وميراث من الكراهية والأحقاد ويمكن إنهاؤه بالحوار والمفاوضات، ومن ناحية أخرى قيست الوحدة العربية بميزان الكسب والخسارة وكان لكل ذلك أثره على انهيار قيم العروبة والانتماء القومي⁽⁴⁹⁹⁾.

⁽⁴⁹⁷⁾ جمال حمدان، نقلاً عن: د.أحمد أنور، المصدر السابق، ص289.
⁽⁴⁹⁸⁾ محمد فرج، أزمة الإنتماء في مصر، نقلاً عن: د.أحمد أنور، المصدر السابق، ص290.
⁽⁴⁹⁹⁾ محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، ط4، بيروت، 1983، ص373-387.

المبحث الثاني الآثار الإيجابية للعولمة على الوطن العربي

عرضنا في المبحث السابق مختلف الآثار السلبية للعولمة لكن هذا لا يعني ان العولمة كلها شر، بل يمكن القول ان في العولمة فرص إيجابية كثيرة يمكن لمجتمعاتنا في الوطن العربي الاستفادة منها، سيما وأن مؤيدي العولمة لا يزالون يرفعون شعار (الحلم الجميل) الذي طالما انتظرته شعوب الأرض⁽⁵⁰⁰⁾، وبخاصة ان العولمة ماهي إلا تطوير وامتداد لحركة المصالح الدولية وتوحيد الأسواق في العالم يتم فيه تجاوز كافة الحواجز الفاصلة بين الأمم عبر معابر مشتركة من المصالح. وإذا كان البعض قد قال ان إيجابيات العولمة تبدأ من (الكوكاكولا والهامبرغر وأغاني الفيس بريسلي ومادونا وملابس الجينز وتنورة الميني جوب) فنحن نرى إن من الآثار الإيجابية التي يمكن الاستفادة منها هي التحول الاقتصادي وتقدم الاتصالات وتقنية المعلومات. وسنحاول في صفحات هذا المبحث المحدودة التدرج في شرح هذه المحاور للإيفاء بهدفه المنشود.

أولاً- المحور الاقتصادي:

1- يعتبر المحور الاقتصادي للعولمة محورها الرئيس وأهم أدوات هذا المحور الشركات عالمية النشاط متعددة الجنسية ذات القدرة التنفيذية العالمية، والتي تمتلك مزايا التفوق التنافسي الفائق ومن ثم فإن العولمة تقوم على الانتخاب الانتقائي للمتفوقين. إن فتح الأسواق أمام المتفوقين سوف يزيد من كفاءتهم في الوقت ذاته يعمل على تحفيز الآخرين من أجل تحقيق المزيد من التفوق، ومن ناحية أخرى فإن التقنية الحديثة سوف تدفع إلى أبعاد غير مسبوقة في

(500) محسن أحمد الخضيرى، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص52.

الإنتاج والإنتاجية وفي تدنية الكلفة وخفض أسعار المنتجات مع تحقيق أرباح مناسبة، وهذا كله ترجمة لعوامل الرغبة والتطلع الطبيعي نحو الأحسن وما تمليه اعتبارات البنية الكلية التي تتجاوز عند تكاملها واتساعها كل ما هو قائم ومعروف⁽⁵⁰¹⁾. إن العولمة سوف تعمل على تسريع تطبيقات التكنولوجيا الحديثة بتطوراتها السريعة المتلاحقة فالعولمة تمر في لحظة عبقرية ولهذا فهي شيء جديد، بل إن كل لحظة يولد فيها جديد ومبتكر، وتعتبر العولمة فرصة هائلة من أجل الاستفادة من هذا الجديد وبفاعلية كاملة⁽⁵⁰²⁾.

2- ومن الإيجابيات الاقتصادية للعولمة ماضمته اتفاقيات الجات المكونة لمنظمة التجارة العالمية من المطالب والمقاصد للدول الصناعية والنامية على حد سواء، وما قامت بتنفيذه على فترات من المرحلة الانتقالية وما وعدت بالوفاء به ابتداءً من سنة 2005⁽⁵⁰³⁾. ومن تلك الوعود تخفيض الضرائب الجمركية وتعزيز المنافسة بين الدول والشركات الكبرى المصدرة ومكافحة أسلوب إغراق الأسواق وتوسيع قاعدة التجارة الدولية بما يجعلها تشمل الخدمات وتقنية المعلومات والاتصالات والمواصلات التي مكنت من تعميم المنتجات أينما تتوفر المهارات والمعرفة الضروريتين وإنتاج أجزائها المطلوبة في أرخص مكان يمكن صناعتها فيه ثم شحنها للتجميع في أرخص مكان، وكذلك فتح الأسواق العالمية أمام سلع ومنتجات الدول العربية والنامية الأخرى⁽⁵⁰⁴⁾.

(501) المصدر نفسه، ص52.

(502) المصدر نفسه، ص52.

(503) محمد الحبيب بلخوجة، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، ص53.

(504) المصدر نفسه، ص53.

3- وفي المجال الاقتصادي يتم إعادة تشكيل العالم إنتاجاً وتسويقاً وتمويلأ وتنمية بشرية ومن خلال مؤسسات اقتصادية عالمية بالغة الضخامة لدرجة غير مسبوقة تشرف على الجانب الاقتصادي للعولمة وتقوم بانتهاج سياسات يكون من شأنها تعزيز وتنمية ثروة العالم وسبيلها في ذلك هو وحدة السياسات المالية العالمية والنقدية المطبقة ومقاييسه ووحدة العملة العالمية بحيث يصبح العالم وحدة واحدة (لايفرقها مخرب ولا نمّام) وتطوير الصناعة والزراعة والخدمات الإنتاجية على مستوى جميع مناطق العالم امتصاصاً للفوارق القائمة الآن والتحول من اقتصاد الخاص إلى اقتصاديات المجموع الكلي العام⁽⁵⁰⁵⁾.

4- إن من أهم مزايا العولمة توحيد الأسواق جميعها لتصبح سوقاً واحدة دائمة التوسع والاتساع تشمل العالم بأسره شماله وشرقه وغربه بكل سكانه ودوله وتصبح البحار والمحيطات الفاصلة فيه معابر وجسور واصلت بينه وتصبح الأجواء والفضاء طرقاً للتقارب والنقل والتنقل والانتقال للأفراد والسلع والخدمات والأفكار⁽⁵⁰⁶⁾. ويرى أصحاب الأحلام الجميلة للعولمة إنها تهدف إلى ظهور مجتمعات وتكتلات الإنتاج والتسوق والتمويل والكوادر البشرية وما تملكه من مزايا تنافسية فائقة وارتقائية تزيد من درجة الارتباط المتبادلة بين الشعوب والدول وبصفة خاصة عمليات الاتصال والانتقال الفعلي للسلع والخدمات والأفكار والوصول بها عبر الحدود إلى سوق عمليات الاتصال والانتقال الفعلي للسلع والوصول بها عبر الحدود إلى سوق عمليات الاتصال والانتقال الفعلي للسلع عبر الحدود إلى سوق عالمية واحدة تطرح فيها نفس

(505) المصدر نفسه، ص54.

(506) المصدر نفسه، ص54.

السلع وتتداول فيها بذات الطرق وبنفس الأسعار والشروط، الأمر الذي يخلق ويوجد في نفس التزام إنتاج فائق الجودة وتمويل الكتروني وبناء قاعدة فكرية جديدة قائمة على وحدة العالم⁽⁵⁰⁷⁾. ويُذكر مثلاً على هذا الطموح ما توصلت إليه مجموعة الأربع الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واليابان ودول الاتحاد الأوروبي من الحصول على اتفاقية بهدف تمرير التجارة في تكنولوجيا المعلومات وتضييق الخلافات بين الدول الصناعية ودول العالم النامي وذلك بتقديم الدعم لأفقر 48 دولة في العالم وتحسين قدرتها على التعامل مع الفرص التي يوفرها نظام التجارة العالمي الحديث⁽⁵⁰⁸⁾.

ويرى الدكتور عبد الرشيد عبد الحافظ إن العولمة تيار جارف هادر له توجهاته في المجال الاقتصادي خاصة ومن أراد الاستفادة من هذا التيار عليه إتباع مايلي⁽⁵⁰⁹⁾:-

1) كسر الحاجز النفسي القائم والناج عن الخوف من مجاهيل المستقبل وكسر حالة الجمود والتحجر والتي تؤدي إلى العجز عن الفعل وإلى التراخي والكسل وكسر حالة التردد والتضارب والتخبط المدمرة للإمكانيات والموارد الاقتصادية والمبردة للطاقت والمهدرة للوقت والمسببة للفاقد والتالف والعاطل وغير المستغل⁽⁵¹⁰⁾.

(507) المصدر نفسه، ص54.

(508) المصدر نفسه، ص55.

(509) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، العولمة وآثارها، مصدر سابق، ص56.

(510) المصدر نفسه، ص57.

2) اختيار النموذج والمثل والرمز الذي سيتم التوجه به إلى العولمة وانتقال

المجال والمدى والنشاط الرئيس الذي سيتم استخدامه كجسر ينقل كل شيء

قابل للتعولم إلى تيار العولمة⁽⁵¹¹⁾.

3) تحديد الأهداف والأدوات والأساليب والوسائل والمناهج والمداخل المناسبة

لامتلاك قوة التعولم⁽⁵¹²⁾.

4) الغزو العولمي والاجتياح الذي يمكن الدخول به نطاق العولمة الاقتصادية

الفعالة مع استهلاك قدرة تطوير دائم ومستمر وإحداث تراكم للقوة تؤكد كل

لحظة أن العولمة هي الاختيار المناسب .

5) امتلاك ناصية العولمة والسيطرة والتحكم بها ولمن أراد ذلك أن يكون عليم

بأوضاع وظرفيات الطريق واتخاذ الطريق إلى العولمة حليفاً من أجل

التعولم⁽⁵¹³⁾.

ثانياً- الآثار الإيجابية على صعيد الاتصالات :

يعود تاريخ ظهور المفاهيم الأولى لتيار بحوث وسائل الاتصال لسنة 1927

ويعتبر كتاب هارولد لاسوال "تقنيات الدعاية خلال الحرب العالمية "من المؤلفات

الأولى التي قدمت قراءة للحرب العالمية الأولى 1914-1918 الموصوفة بالحرب

الشاملة⁽⁵¹⁴⁾.

Harold Lasswell- (1902-1978)

(511) المصدر نفسه، ص57.

(512) المصدر نفسه، ص58.

(513) المصدر نفسه، ص59.

(514) أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة: د.نصر الدين العياضي ود.الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص47.

(Propaganda Techniques in the World War)

ومنذ ذلك الوقت ظلت آثار الصعود القوي لمقولات الخبراء الذي حملته الممارسة يزيد في نشاطات الاتصال التي تكمن وظيفته الضمنية في إضفاء شرعية على الاستراتيجيات ونماذج التسيير الإداري والمؤسساتي، وخلال العقد الأخير من القرن العشرين اتسعت النقاشات الكثيفة في المؤسسات الدولية المختلفة أمثال منظمة اليونسكو ومنظمة التجارة العالمية والاتحاد الدولي للاتصالات والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، وظهر التباين واضحاً بين مشاريع النظام الإعلامي الجديد وتزامن ذلك مع حرص المجتمع المدني المنظم على إسماع صوته ووعيه بأهمية المسألة التقنية بالنسبة لمصير الديمقراطية، لذا فإن دلالات العديد من المفاهيم مثل الحق في الاتصال والمشاركة والمجتمع المدني والخدمة العمومية والمصلحة العامة والتنوع الثقافي أصبحت تشكل رهانات سياسية وفكرية⁽⁵¹⁵⁾.

تعرف عملية الاتصال الدولي بأنها (العملية التي يتم من خلالها نقل الأفكار والمعاني بين الأفراد أو الجماعات عبر الحدود الإقليمية للدول)⁽⁵¹⁶⁾. وهكذا يتضح أن الآثار الاتصالية لظاهرة العولمة تعمل كافة أشكال الاتصالات الإعلامية والدعائية بأجهزتها ووسائلها المختلفة المطبوعة أو المسموعة أو المرئية وكذا كافة عمليات نقل وتداول المعلومات والبيانات والأخبار والصور والأصوات عبر الوسائل الإلكترونية كشبكة الإنترنت وغيرها ذات الصلة بالعولمة سواء بهدف الترويج لها أو من خلال التأثير بها⁽⁵¹⁷⁾.

⁽⁵¹⁵⁾ المصدر نفسه، ص204-205.

⁽⁵¹⁶⁾ د. عبد المنصف حسن علي رشوان، مصدر سابق، ص118.

⁽⁵¹⁷⁾ المصدر نفسه، ص119.

وعلاقة العولمة بوسائل الاتصالات علاقة تبادلية، أي علاقة السبب بالنتيجة أي أن كل منهما يؤثر بالآخر ويتأثر به ويمكن النظر إلى آثار العولمة في مجال الاتصالات من خلال الأبعاد التالية:-

1. إن تكنولوجيا وسائل الاتصال قد أحدثت تغييرات اجتماعية هائلة ولاسيما فيما يتصل بالنمو الهائل في العلاقات التفاعلية بين قطاع الاتصال وبين سائر القطاعات الأخرى وهذا ما تأكد خلال الربع الأخير من القرن العشرين بحيث أصبحت المجتمعات المتطورة توصف بأنها مجتمعات معلومات وهو ما يوحى بأن الثورة الاتصالية قد انتقلت بالمجتمعات الإنسانية إلى مرحلة جديدة من مراحلها التطورية، فمنذ سبعينات القرن العشرين شكل قطاع الاتصالات واحداً من أكثر القطاعات حيوية ضمن قطاعات النشاط الاقتصادي في العديد من الدول ولم تقتصر الآثار التي ترتبت على ثورة الاتصالات على العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات فقط وإنما امتدت لتمثل مجال العلاقات الدولية⁽⁵¹⁸⁾، بحيث باتت المجتمعات المختلفة وثيقة الاتصال ببعضها ومن خلال الرسائل عن طريق التلفزيون التي تبادلتها كل من إيران والولايات المتحدة خلال أزمة الرهائن عام 1979 بات ما يدفع البعض إلى القول بأن ثمة دبلوماسية جديدة تنشأ عبر الأقمار الصناعية أو بدبلوماسية الأقمار الصناعية أو دبلوماسية الاتصال الإلكتروني بمعنى أن الوسائل الرئيسية المستخدمة في تحقيق هدف معين أو التمهيد لحدث معين أو تهيئة الرأي العام لقبوله هي وسائل الإعلام أو الاتصال الإلكتروني⁽⁵¹⁹⁾. ومن ناحية أخرى فإن وسائل الاتصال باتت تمثل مصدراً رئيساً من مصادر

(518) المصدر نفسه، ص120.

(519) المصدر نفسه، ص120-121.

المعلومات بالنسبة لمتخذي القرارات السياسية أو قد أدى التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال إلى العديد من النتائج التي تمثلت في دعم التوجه نحو الديمقراطية وفي تزايد معدلات المشاركة السياسية كما تم إجراء أول انتخابات عامة الكترونية في النرويج عام 1993⁽⁵²⁰⁾.

2. ويمكن القول إن ثورة الاتصالات على المستوى العالمي قد أدت إلى زيادة الوعي العالمي بفكرة العالمية أو الكونية أو دعم اتجاهات العولمة في هذا المنحى حيث أدت إلى حدوث توحيد متزايد للعام ككل مترابط ولهذا يمكن القول إن ظاهرة العولمة قد مثلت قوى دافعة كبيرة في مجال النهوض بقطاع تكنولوجيا الاتصال وتنميته وتطويره، إذ باتت الحاجة ماسة، في ظل العولمة لوسائل الاتصال والربط والتكنولوجيا متطورة في مجال المعلومات والاتصالات⁽⁵²¹⁾.

ويرى الدكتور محمد شومان أن عولمة الإعلام هي عملية تهدف إلى التعظيم المستمر والمتسارع في قدرات وسائل الإعلام على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ماتوفره التقنية الحديثة من التكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات وذلك لدعم عمليات توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسية على حساب تقليص السيادة الدولية في المجالين الإعلامي والثقافي⁽⁵²²⁾.

(520) المصدر نفسه، ص121.

(521) المصدر نفسه، ص121.

(522) المصدر نفسه، ص122.

ويرى الدكتور عبد المنصف حسن علي رشوان بأن العولمة الإعلامية والاتصالية قد اتخذت عدة أبعاد وقد تجلت في بعض المظاهر منها⁽⁵²³⁾:-

(1) إن عصر العولمة الإعلامية قد اتسم بالتكامل أو الاندماج بين كافة وسائل الإعلام الجماهيري وتكنولوجيا المعلومات مع تطور الحاسبات وشبكات الهاتف والمعلومات ظهرت تقنية الاتصال متعدد الوسائط وتكنولوجيا الاتصال التفاعلي بتطبيقاتها المختلفة ومن أشهرها شبكة الإنترنت⁽⁵²⁴⁾.

(2) أما بصدد مضامين الرسائل الاتصالية الدولية فتشير الملاحظة إلى أن العولمة الإعلامية قد تجلت في تنميط التجارة الإعلامية والمعلوماتية وفقاً للأنماط التي تتفق مع القيم الأوروبية الغربية بوجه عام، ومع القيم الأمريكية بوجه خاص⁽⁵²⁵⁾، وهو مايشكل تهديداً للهويات الثقافية للشعوب غير الأوروبية، وانهيار السيادة الإعلامية للدول في ظل انتشار فكرة السماوات المفتوحة وذيوع استخدام أنظمة البث الفضائي⁽⁵²⁶⁾.

(3) إن عولمة الإنتاج تستلزم أن تحل الوحدات الإنتاجية الصناعية المبعثرة في أماكن مختلفة من العالم محل الوحدات الصناعية العملاقة في دول المركز، ومن هنا تأتي الأهمية القصوى لتقنية الاتصال في تحقيق التواصل بين هذه الوحدات الإنتاجية المتباعدة جغرافياً ومن ثم يمكن القول بأن تقدم وسائل الاتصال يمثل شرطاً ضرورياً ولازماً لتحقيق العولمة ولتسارع معدلاتها⁽⁵²⁷⁾.

(523) المصدر نفسه، ص 122.

(524) المصدر نفسه، ص 123.

(525) المصدر نفسه، ص 123.

(526) المصدر نفسه، ص 123.

(527) المصدر نفسه، ص 123.

ثالثاً - الآثار الإيجابية للعولمة على صعيد تقنية المعلومات :

أضحى من البديهي أن تقنية المعلومات تعتبر من سمات التقدم والتطور القائم على أساس المعرفة في أي بلد كونها أصبحت من أهم الوسائل الدافعة لعجلة التنمية، وقد بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين تقنية المعلومات بالتأثير في مجالات حياة المجتمع المختلفة وبدا إنها ستغير وجه الحياة وتزيد من سرعة التحول الاقتصادي والاجتماعي وستحدث ثورة جديدة في مجال التعليم والبحث العلمي وستتيح وسائل تعليمية رفيقة ترفع من كفاءة الموارد البشرية⁽⁵²⁸⁾. ويورد (بيل غيتس) رئيس مجلس إدارة مايكروسوفت رأي بعض الأكاديميين الذين يرون أن الصراع بين الدول في المستقبل سيكون حول السيطرة على المعلومات وليس على الموارد الطبيعية⁽⁵²⁹⁾.

وتشير الدلائل أن الوطن العربي بدأ يستفيد من تقنية المعلومات في رفع مستوى الإنتاجية وقدرات الاختراع والإبداع وبصفة خاصة الدول المهية منها لاستقبال التقنية الحديثة في المعلومات مثل مصر (التي تعتبر رائدة في هذا المجال) وسوريا والأردن والسعودية والإمارات وتونس والمغرب وتهتم معظم الدول العربية في تقنية المعلومات من أجل الاستفادة منها في إحراز معدلات أعلى في التنمية وعدم الانعزال عن فرص التقدم في تقنية المعلومات والاتصالات الدولية⁽⁵³⁰⁾.

أهم استخدامات وتطبيقات تقنية المعلومات :

(528) د.صلاح زين الدين، تكنولوجيا المعلومات والتنمية، الطريق إلى مجتمع المعرفة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2008، ص13-14.
(529) بيل جيتس، المعلوماتية بعد الإنترنت، ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، العدد 231، الكويت، 1998، ص41.
(530) د.صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص15.

إن تقنية المعلومات والاتصالات تسرّع من سيطرة الإنسان على المعرفة، ذلك أن ثورة المعلومات والمعرفة التي تحملها هذه التقنية في طياتها القضاء على العزلة في العالم بفضل تواتر المعلومات وغازاتها ومن شأنها أن تجعل الوطن العربي يتحرر من المراحل المكلفة في عملية التطور إذا ركزت الدول العربية جهودها لعلاج المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الملحة⁽⁵³¹⁾. ونعرض فيما يلي أهم تطبيقات تقنية المعلومات في المجالات الحيوية التي يمكن أن تستفيد منها المجتمعات العربية⁽⁵³²⁾.

1- تحسين الخدمات الحكومية والتعليم والبحث العلمي والصحة :

يمكن استخدام تقنية المعلومات في إعادة تنظيم الإدارة الحكومية والخدمات العامة وخفض تكلفة الإدارة الحكومية وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات في تنفيذ برامج التنمية في المناطق الريفية والنائية وتدعيم اتخاذ القرارات في مجالات الصناعة والإدارة وفي مجال المواصلات تعمل تقنية المعلومات والاتصالات على رفع مستوى التشغيل، والعمل على التخفيف من مشكلات تلويث وتدمير البيئة وبالتالي الارتقاء بنوعية الحياة ورفع المستوى الصحي بتداول المعلومات والمعرفة بين العاملين في الخدمات الطبية والصحة العامة ما يوفر الوقت والجهد والمال، كما تسمح تقنية المعلومات بنقل سجلات براءات الاختراع من مواقع شبكة الإنترنت ورفع مستوى التعليم والتدريب واستحداث طرق التعليم عن بعد والتعلم مدى الحياة ونقل خدمات التعليم والتدريب إلى المناطق النائية والمعزولة⁽⁵³³⁾.

(531) السيد ياسين، الفردوس المعلوماتي الموحد، نقلاً عن: د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص35.

(532) د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص37.

(533) Crede A. Mansell, R., Knowledge Society in a Nut Shell Development Research Center, Ottawa 1998, PP.19-22.

ويجري تقديم خدمات التعليم عن بعد Tele education وذلك مثل نظام الجامعة المفتوحة أو إشراف أسناذ جامعة أجنبية على دارسي الدكتوراه⁽⁵³⁴⁾. وكما يجري في مصر الآن بربط الجامعات المصرية بشبكة معلومات الجامعات الأجنبية، كما يبرز دور تقنية المعلومات والاتصالات في التعليم باستخدام أهم عناصر تقنية المعلومات والاتصالات وهي الوسائل السمعية والبصرية، وربما يكون من أهم المؤسسات التي تستخدم تكنولوجيا المعلومات في الوطن العربي مركز التعليم المفتوح بجامعة القاهرة وشبكة معلومات المجلس الأعلى للجامعات وشبكة معلومات جامعة عين شمس ومعهد تكنولوجيا المعلومات ومركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء⁽⁵³⁵⁾.

2- تطبيق تقنية المعلومات في الصناعة :

في مجال الصناعة يتم تطبيق تقنية المعلومات والاتصالات في التخطيط والتنفيذ والرقابة والمتابعة وأتمتة المصانع وتحديث الإدارة وتسهيل عملية الحصول على المعلومات بطريقة منتظمة في مراحل التصميم والإنتاج والتسويق، ففي مرحلة التصميم تستخدم عدة برامج مثل (CAD) Computer Aided Design.

وأيضاً برامج للرسومات الهندسية وفي مجال رفع المهارات تطبق تقنية الإنتاج المتقدمة لتشمل الالكترونيات والبرامجيات والروبوت⁽⁵³⁶⁾.

نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص38.
(534) أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، المعهد القومي للاتصالات، 1998، القاهرة، ص45.
(535) المصدر نفسه، ص39.

(536) Crede A. Mar, R., Op.Cit, P.15.

نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص40.

ولعل من أهم ملامح تقنية المعلومات انها تعمل على زيادة اقتراب كل من المنتج والمستهلك من بعضهما واتساع أسواق السلع الوسيطة وتساهم بقيام أسواق واسعة وفعالة سواء الوسيطة أو المغذية وتعطي دفعة كبيرة للصناعات الصغيرة والمتوسطة . إن خفض تكلفة الاتصالات بفضل تطبيق تقنية المعلومات في مجال الإنتاج سيشجع الفرصة للدول النامية ومنها العربية لدخول الأسواق العالمية .وبينما تخصص الدول النامية في الوضع الحالي لتقسيم العمل الدولي في مجالات الإنتاج ذات الميزة النسبية، فإن مستقبل التنمية الاقتصادية يتوقف على مدى نجاحها في تطبيق تكنولوجيا المعلومات لرفع مستوى الإنتاجية، ومن هنا يكون دور سياسة التنمية ليس تشجيع الأنشطة الاقتصادية التي تصل أعلى عائد في الحاضر وإنما تلك التي تبني قدرات اكبر للمستقبل⁽⁵³⁷⁾.

3- التوسع في استخدام شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت):

تعتبر شبكة نقل المعلومات العالمية (الإنترنت) عن قدرات الاختراع والابداع في تطبيق تقنية المعلومات، وتقدم إمكانيات غير محدودة للاتصالات وتطوير المعلومات ونقلها في كل أنحاء العالم وذلك باستخدامه الوسائط المتعددة Multimedia مصحوبة بتطبيقات حيوية مهمة ونصوص وعرض سمعي وبصري للمعلومات وقد أتاح انخفاض أسعار أجهزة الكمبيوتر الشخصي في السنوات الأخيرة وتطبيق الوسائط المتعددة استخداماً أوسع لشبكة الإنترنت على

⁽⁵³⁷⁾ Lucas R.E., On the Mechanics of Economic Development, In Journal of Monetary Economics, Vol.11, PP.39-42.

مستوى جميع الدول في العالم⁽⁵³⁸⁾. وستشهد السنوات القادمة تطورات هائلة وتقدماً محتملاً سريعاً في نطاق عمل ونوعية الشبكة، ومن هنا فإن تجهيز بنية أساسية جيدة للمواصلات والاتصالات في الدول النامية ومنها العربية سيؤدي بكل دولة إلى اتساع حجم السوق ورفع درجة المنافسة بين المتعاملين فيه محلياً أو قومياً، فالدخول إلى شبكة الإنترنت وانتشار استخدامها يتوقف على مدى توفر البنية الأساسية للاتصالات وتلك ترتبط بمستويات الدخول، واللغة الإنكليزية كما هو معروف تهيمن على المعلومات في الشبكة، كما وتوجه إطارات جديدة للاتصالات وتوزيع المعلومات في الشبكة في المجتمعات العالمية عبر شبكات داخلية Intranet وأخرى خارجية Extranet والتي تكون في متناول الشركات ومراكز البحث العلمي⁽⁵³⁹⁾. ويشكو بعض المثقفين العرب من ضآلة المواقع العربية في شبكة الإنترنت حيث يمثل الحضور العربي على الشبكة نحو 0.004% فقط وإن هذا الحضور في معظمه باللغة الإنكليزية مما يكشف القصور الواضح في ضعف وجود الثقافتين الإسلامية والعربية على هذه الشبكة الخطيرة⁽⁵⁴⁰⁾.

4- اتساع نطاق وكثافة التجارة الالكترونية :

تنمو التجارة الالكترونية Electronic Commerce عبر شبكة الإنترنت بسرعة لم تكن متوقعة، ففي الفترة من بداية 1998 إلى نهاية 1999 تم إيجاد نحو 2.3 مليون وظيفة تتعلق بالتجارة الالكترونية وخدمات الإنترنت، كما ارتفع حجم

⁽⁵³⁸⁾ Crede, A. Mansell, R., Op.Cit, P.22.

نقلاً عن: د.صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص42.
⁽⁵³⁹⁾ محمد سكران، العولمة والخصوصية الثقافية، جريدة الأهرام في 2000/2/4، نقلاً عن: زين صلاح الدين، المصدر نفسه، ص44.
⁽⁵⁴⁰⁾ المصدر نفسه، ص44-45.

التجارة الإلكترونية وخدمات الإنترنت في نفس الفترة من 16.5 مليار دولار إلى 37.5 مليار أي بمعدل نمو 127% وتوسع دول الاتحاد الأوروبي إلى إصدار تشريع موحد لتنظيم التجارة الإلكترونية، أما في الدول النامية فما زالت هناك حاجة لتطوير قدراتها للاستفادة من إمكانيات التجارة الإلكترونية والنفوذ إلى الأسواق العالمية⁽⁵⁴¹⁾.

5- كيفية الاستفادة من تقنية المعلومات :

هذه هي العولمة ..تقدم فرص جيدة في مجال تقنية المعلومات يمكن استغلالها لرفع المستوى الثقافي والإداري والمعاشي في الوطن العربي ويمكن اعتبارها مساعدة لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية ورفع كفاءة الأداء وتحسين الخدمات .فكيف يمكن لنا نحن في الوطن العربي شعوباً ودولاً الاستفادة القصوى والسريعة من هذه الفرص بما يتلاءم مع البيئة؟

يرى الدكتور صلاح زين الدين في كتابه (تكنولوجيا المعلومات والتنمية) أن هناك أساليب كثيرة يمكن العمل بها بغية الاستفادة وإنجاح تقنية المعلومات في الوطن العربي، منها⁽⁵⁴²⁾:-

1- ضرورة وضع سياسة للتنمية التقنية :

إن المنتجات التقنية تعني ان لها طابع المجتمع الذي أنتجها وأفرزها، ومن هنا تأتي أهمية وضع سياسة للتنمية التقنية تراعي الظروف المحلية وتراعي أسلوب إنتاج ملائم لظروف المجتمع العربي سواء بتوحيدها أو تطويقها والتقنية المطلوبة في

⁽⁵⁴¹⁾ University of Texas's Center Research in Electronic Commerce.
موقع جامعة تكساس وإدارة التجارة الأمريكية على الإنترنت، نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص45.
⁽⁵⁴²⁾ د.صلاح زين الدين، تكنولوجيا المعلومات والتنمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2008، ص52.

الوطن العربي هي التي تتلاءم مع البيئة الطبيعية والبيئة الحضارية⁽⁵⁴³⁾. ويرى البعض أن التقنية المتوسطة تعد أكثر ملائمة للوطن العربي وذلك بسبب قدرتها على استيعاب قدر كبير من قوة العمل بها وتقديم ميزة التعلم من خلال العمل كما انها تصبح إمكانية رفع مستوى إنتاجية العمل، ومنتجات التقنية المتوسطة ليس من المهم أن تكون ذات جودة راقية كما هو الحال في التقنية المتقدمة كثيفة رأس المال ومع ذلك تجعل استخدام الموارد والخدمات المحلية ممكناً، وبالتالي الاستفادة من المزايا النسبية للدولة العربية لتوفير العمل الرخيص طبقاً لنظرية نسب عوامل الإنتاج⁽⁵⁴⁴⁾. ومن آثار تطبيق استراتيجية التقنية المتوسطة في الأجل القصير زيادة معدل التشغيل والحد من مشكلة البطالة وهذا مناسب للدول النامية⁽⁵⁴⁵⁾، ويلاحظ منذ السبعينات من القرن العشرين تغير ظروف الطلب في السوق العالمية على السلع كثيفة العمل وبالتالي التقنية المتوسطة وان الطلب العالمي على السلع الرأسمالية التقنية المتقدمة يتزايد بوضوح والسبب في ذلك انخفاض مرونة الطلب على السلع كثيفة العمل، وعلى المدى البعيد يكون اتباع هذه الاستراتيجية غير ملائم لأن ظروف العرض والطلب ستتغير على المدى البعيد وتكون لصالح السلع كثيفة رأس المال والتقنية، كما يلاحظ في السوق العالمية منذ سبعينات القرن العشرين تزايد أهمية الاختراع والابداع والابتكار خاصة في المنتجات الالكترونية الدقيقة، لأن دورة المنتج لها أصبحت أفضل من ذي قبل وتصل بسرعة إلى مرحلة النضج والتتميط⁽⁵⁴⁶⁾، مما يدعو إلى زيادة الاستثمارات الرأسمالية في الدول منخفضة الدخل، ومن الصعب على الدول النامية ومنها العربية أن تقوم بتطوير تقنية خاصة بها لأنها تحتاج إلى

(543) المصدر نفسه، ص52.

(544) المصدر نفسه، ص53.

(545) المصدر نفسه، ص53.

(546) المصدر نفسه، ص53.

استثمارات هائلة في البحث والتطوير لكي يمكنها تحويل المكتشفات العلمية إلى ابتكارات تقنية⁽⁵⁴⁷⁾.

وفي تقرير لجنة الجنوب المنشور عام 1990 إشارة واضحة إلى ضرورة الاهتمام بصياغة نظام دولي جديد للعلم والتقنية يتم التفاوض حوله بين الشمال والجنوب ويهتم هذا التقرير بالتأكيد على ضرورة أن يحتوي النظام الدولي الجديد على المعونات الدولية العلمية منها والفنية وعلى الدول المانحة للمساعدات أن تخصص جزءاً لتمويل عملية البحث والتطوير في الدول النامية ويجب مراعاة ضرورة نقل التقنية المهمة إلى الجنوب ومساعدته في استيعابها وتطويرها وإنشاء مراكز للمعلومات التقنية، أما التقنية التي تساعد على حماية البيئة والمحافظة على الموارد الطبيعية فيجب معاملتها كسلعة دولية عامة، وعلى الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة مثل UNCTAD و UNESCO و UNIDO والوكالة الدولية للطاقة النووية IAEA يجب أن تلعب دوراً مهماً في حدود اختصاصاتها لإقامة بنية أساسية علمية في الدول النامية وتقوم بوضع الأولويات لذلك لجنة الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا⁽⁵⁴⁸⁾.

2- ضرورة إنشاء بنية أساسية حديثة للعلم والتقنية والمعلومات :

1) من الواضح أن التقنية كثيفة العمل لا تؤدي إلى رفع مستوى رأس المال البشري ومن ثم يصبح تطبيق استراتيجيات التقنية الراقية هو الاختيار الأفضل لكثير من الدول النامية ومنها العربية وذلك يتطلب قيام قاعدة علمية وتقنية من العلماء والمهندسين والباحثين والفنيين ورفع قدرات البحث والتطوير

⁽⁵⁴⁷⁾ المصدر نفسه، ص54.

⁽⁵⁴⁸⁾ تقرير لجنة الجنوب للأمم المتحدة المنشور 1990، نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص54.

والاختراع والإبداع وتشمل البنية الأساسية للعلم والتقنية أهم مقومات المنظومة القومية للعلم والتكنولوجيا من حيث الموارد والمؤسسات والنظم الإدارية والتشريعات القانونية المنظمة لهذه المؤسسات بالإضافة إلى السياسات والقيم والوظائف المنوطة إلى هذه المؤسسات⁽⁵⁴⁹⁾. وعلى الدول النامية ومنها العربية إذا أرادت الاستفادة من التقدم التقني أن تعمل على تغيير هيكلها الإنتاجية حتى يمكنها التلاؤم مع التغيير التكنولوجي واستيعابه وتطويره، وإذا سلمنا بأن انتشار التكنولوجيا الجديدة إلى الدول النامية والإسراع بمعدل نموها يعد خطوة أساسية ومهمة فإنه يصبح من الضروري تقديم معونات تكنولوجية إلى الدول النامية لتلحق ببقية دول العالم المتقدمة -أو أن تتوقف تلك الدول عن التقدم- لحين وصول الدول النامية⁽⁵⁵⁰⁾. وقد أجريت خلال سبعينات القرن العشرين مفاوضات في إطار مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD من أجل صدور قانون دولي لإدارة نقل التكنولوجيا وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي رحبت الدول الصناعية بالتفاوض إطار دورة أورغواي وطالبت بضرورة وجود قوانين قومية ومعاهدات دولية لحماية حقوق الملكية الفكرية⁽⁵⁵¹⁾.

(2) إن البنية الأساسية للعلم والتكنولوجيا تعرف بدلالة المؤسسات والهيكل الاجتماعية التي تتضمن أنشطتها أساساً الاكتشافات وشيوع المعرفة العلمية والتكنولوجية ويعتبر نشاط البحث والتطوير R&D في قلب هذا النظام

⁽⁵⁴⁹⁾ يوسف مرسي، المفاهيم الأساسية لوضع استراتيجية تكنولوجية في محمد السيد (محرر)، الثورة التكنولوجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1996، ص204.

⁽⁵⁵⁰⁾ نقلاً عن: د.صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص55.

⁽⁵⁵¹⁾ المصدر نفسه، ص55.

ويعرف بأنه عمل إبداعي يتم تنفيذه على أسس نظامية من أجل زيادة مخزون المعرفة العلمية والتكنولوجية واستخدامه لاستنباط تطبيقات جديدة⁽⁵⁵²⁾. وهناك عوامل تؤثر في قدرة الدول النامية على استيعاب التجديد والتحديث التقني منها مدى توفر البنية الصناعية والتقنية من مصانع ومدارس وجامعات ومراكز بحوث وتدريب تقني، وتوفر المعرفة الفنية والموارد البشرية والقوى العاملة والخبرة الفنية والعلمية. ومن الضروري توفر القبول الاجتماعي للتكنولوجيا والقدرة على التعامل معها وأن يكون حجم الأسواق المحلية كبيراً نسبياً⁽⁵⁵³⁾.

3) تعتبر البنية الأساسية بوجه عام هي المحرك الرئيس للنشاط الاقتصادي حيث يستفاد من المدخلات والمخرجات والحسابات القومية في كل من الولايات المتحدة واليابان. إن الاتصالات السلكية واللاسلكية تستخدم في جميع القطاعات الاقتصادية تقريباً والمستخدمون يطلبون هذه الخدمات للاستهلاك المباشر ولرفع إنتاجيتهم وتوفير الجهود والوقت وبالتالي تقليل الكلفة، وبيّن تقرير البنك الدولي للتنمية حول العالم لعام 1994 تفاوت مستويات البنية الأساسية في الاتصالات بين الدول منخفضة الدخل والدول متوسطة الدخل والأداء الضعيف للبنية الأساسية للاتصالات في الدول النامية يعود بالأساس إلى عدم التجاوب مع حاجة المنتفعين⁽⁵⁵⁴⁾.

4) تحاول الدول النامية اللحاق بثورة المعلومات وعدم التخلف عن تطبيق التقنية المتقدمة في المعلومات فيساهم الكثير من علماء الدول النامية مثل باكستان

(552) يوسف مرسي، المصدر السابق، ص95.

(553) تقرير التنمية في العالم، الطبعة العربية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1994، ص17.

(554) د. صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص57.

ومصر والهند وكوريا والبرازيل بنشر بحوثهم في المجالات المتخصصة العالمية وأيضاً تسجيل حقوق الاختراع والحصول على جوائز عالمية في مجال العلم والتكنولوجيا مثل حصول الدكتور أحمد زويل من جمهورية مصر العربية على جائزة نوبل في الكيمياء عام 1999 وذلك مؤشراً للاهتمام والحماس إلى المجتمع العلمي في مصر والوطن العربي⁽⁵⁵⁵⁾.

(5) إلا أن إمكانيات الدول الصناعية المتقدمة وارتفاع مستوى الدخل ورفق النظم في التعليم والبحث العلمي تسمح لها بالاستفادة من نتائج مثل تلك البحوث أكثر من الدول النامية، وما لم تحافظ الدول النامية على رأس المال البشري في استنزاف العقول فستظل تطبيقات التقنية على أمل الوصول إلى الأفكار الابتكارية وليس إلى توليدها⁽⁵⁵⁶⁾.

(6) هناك اتجاه نحو تطوير بنية اتصالات دولية سوف يسمح للدول النامية أن تلحق بالمجتمع العالمي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإذا كانت خدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مازالت مرتفعة الكلفة لكثير من الدول النامية فإن ذلك يتطلب سياسة جديدة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من قبل المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة وعلى رأسها الاتحاد الدولي للاتصالات IIU⁽⁵⁵⁷⁾، ويقوم هذا الاتحاد الذي أنشئ قبل أكثر من قرن وربع القرن بتجميع بيانات وإحصائيات شاملة عن تطوير شبكة الاتصالات في الدول الأعضاء وتؤكد هذه البيانات تفاوت كبير يوجد في خدمات التلفونات الأساسية وكثافة التلفونات معبراً عنها بعدد خطوط التلفونات الرئيسة لكل مئة

(555) المصدر نفسه، ص 57.

(556) المصدر نفسه، ص 57.

(557) الاتحاد الدولي للاتصالات، المكتب الإقليمي للدول العربية: دراسة عن البحث والتطوير في الاتصالات، القاهرة، 1998، ص 19.

نسمة تتأرجح ما بين 53 في الدول المتقدمة مثل السويد و 3 خطوط لكل مئة

نسمة في الدول النامية منخفضة الدخل مثل بنغلاديش ونيجيريا.

(7) وبمفهوم علم الاقتصاد يخلق التوسع في شبكة الاتصالات آثاراً خارجية

بمعنى ان المنافع التي تعود على مستخدمي شبكة الاتصالات تزيد بمعدل

أكبر من التوسع فيها وتبين بعض الدراسات أن زيادة القدرة على الاتصال

التلفوني بنسبة 20% تزيد من الفرص بأكثر من أربعة أضعاف وبمعنى آخر

فإن تزايد منافع شبكة الاتصالات مقاسة في زيادة فرص الاتصال يبلغ

أضعاف معدل التوسع في شبكة الاتصالات⁽⁵⁵⁸⁾.

(8) توجد أربعة خيارات فيما يتعلق بملكية مرافق الاتصالات وتحسين خدمات

الاتصالات في الدول النامية :

أ- ملكية عامة لمرافق الاتصالات وقيام مشروع عام للإدارة .

ب- التعامل مع القطاع الخاص على التشغيل والإدارة .

ج- ترك ملكية وتشغيل مرافق الاتصالات للقطاع الخاص مع وضع تنظيمات

وضوابط تحددها الحكومة .

د- قيام المجتمع المحلي والمنتفعين بتوفير الخدمة بالجهود الذاتية⁽⁵⁵⁹⁾.

3- تشجيع الطلب الاجتماعي على التقنية والعمل على نشر تقنية المعلومات :

أ- لغرض الاستفادة القصوى من ميزة العولمة الرئيسة في تقنية المعلومات، فإن

الواجب يحتم على الدول العربية أن تبذل أقصى الجهد في الوقت الحاضر لزيادة

⁽⁵⁵⁸⁾ Crede A. Mansell, R., Op.Cit, PP.19-23.

نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المرجع السابق، ص59.
⁽⁵⁵⁹⁾ البنك الدولي، تقرير التنمية في العالم، الطبعة العربية، مؤسسة الأهرام، القاهرة،
1994، ص19.

إقبال المجتمع على تقنية المعلومات⁽⁵⁶⁰⁾. وإذا كان الطلب الاجتماعي ضعيفاً حالياً فإن ذلك يعود بالتأكيد إلى ضعف تطبيقات التقنية الحديثة في الدول العربية. وإذا كانت الدول المتقدمة تقنياً تتمتع بميزة السبق في احتكار واستخدام التقنية الحديثة وتطويرها وبالتالي زيادة الطلب الاجتماعي عليها، فإن على الدول النامية والعربية منها التابعة تكنولوجياً العمل على سد الفجوة وضعف الطلب على التقنية⁽⁵⁶¹⁾.

ب- ولعل من أهم مكونات الطلب الاجتماعي على العلم والتقنية أربعة عناصر هي:-

- 1) اتفاق الدولة على إقامة وتنمية البحث العلمي والتطوير التقني.
- 2) الاهتمام بالمجتمع العلمي بما يشمل من كفاءات علمية متخصصة.
- 3) تشجيع الشركات الصناعية في القطاعين العام والخاص على تطبيق منجزات العلوم الحديثة وتطوير المنتجات.
- 4) اهتمام المواطنين في حياتهم اليومية بتطبيقات التقنية الحديثة وهذا يأتي من زيادة الوعي والمعرفة⁽⁵⁶²⁾.

ج- أن يقوم التصنيع الحديث في ظل الدولة، استناداً إلى نظرية عالم الاقتصاد الألماني فردريك لست List في حماية الصناعة الناشئة وضرورة فرض حماية جمركية عالية لتشجيع الصناعة الناشئة وضرورة فرض حماية جمركية عالية لتشجيع الصناعة الوطنية الناشئة حتى تقوى وتصبح قادرة على المنافسة الأجنبية⁽⁵⁶³⁾.

(560) المصدر نفسه، ص 61.

(561) المصدر نفسه، ص 61.

(562) رضا محرم، بحوث العلم والتكنولوجيا في محمد السيد سعيد - الثورة التكنولوجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة، 1996، ص 49.

(563) المصدر نفسه، ص 62.

د- إن الحجة التي تستند إلى ان تنظيم الاتصالات والمعلومات هو احتكار طبيعي للدول المتقدمة لم تعد قوية في مجالات تقنية المعلومات، حيث أتاح التقدم العلمي طرق مختلفة لإقامة شبكة الاتصالات بالإضافة إلى انه في ظل المنافسة تصبح الرقابة الحكومية أكثر كفاءة، كما إن الإدارة الحكومية في كثير من الدول النامية لم تسمح بالكفاءة في الإنشاء والتطوير، فقد انخفض مستوى التشغيل وطال انتظار المجتمع لانجازات (حكومة الثورة)⁽⁵⁶⁴⁾.

هو طبقاً لنظرية دورة المنتج فإنه يمكن لكثير من الدول النامية أن تشارك في تصنيع منتجات تقنية المعلومات وبيعها في السوق المحلية، وتستطيع الدول النامية أن تنجح في ذلك إذا استطاعت رفع قدراتها التنافسية في السوق العالمية وهذا مانجحت به الهند إلى حد كبير، حيث أقامت صناعة قوية للبرمجيات ولديها أكثر من ستين ألف مهندس برمجيات كومبيوتر يعمل بعضهم لدى الشركات العالمية للبرمجيات مثل مايكروسوفت وينقلون خبراتهم مباشرةً إلى مراكز البحث والتطوير في وطنهم الأم الهند، وفي الوطن العربي تعد مصر مرشحة في المستقبل القريب للمساهمة في إنتاج تقنية المعلومات⁽⁵⁶⁵⁾.

و- يمكن الاستنتاج من ذلك ان تقنية المعلومات سوف تلعب دوراً مهماً في اكتساب مجالات جيدة في أسواق التصدير وانه من الممكن التعامل مع منتجات تقنية المعلومات كسلع استثمارية أكثر منها سلع استهلاكية خاصة هو أخذ نابعين الاعتبار الضريبة الجمركية على الواردات⁽⁵⁶⁶⁾.

(564) المصدر نفسه، ص62.

(565) د.صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص63.

(566) المصدر نفسه، ص64.

ز- ان المنافسة في جانب العرض لسلع تقنية المعلومات سينتج عنها تخفيضاً كبيراً في أثمانها وإتاحتها لعدد أكبر من المستخدمين ولأهمية هذه التقنية فمن الأفضل السماح بالمنافسة في أسواقها حتى لو كانت تسودها الشركات الأجنبية لأنها ربما تكون أكثر كفاءة وقدرة على إدخال التقنية الحديثة أكثر من الشركات المحلية⁽⁵⁶⁷⁾.

ح- تسعى الدول النامية ومنها مصر سعياً حثيثاً إلى تدعيم البيئة الأساسية لتكنولوجيا المعلومات لتؤدي دورها في التنمية وترفع من قدراتها التنافسية في السوق العالمية ويحتاج متخذو القرارات إلى إلمام بالمشكلات المعقدة للاتفاقيات المنظمة لقطاع المعلومات والاتصالات واتفاقيات التوحيد القياسي للمواصفات الفنية⁽⁵⁶⁸⁾.

4- طرق الحصول على التقنية الحديثة:

تعاني دول الجنوب من صعوبات جمّة في الحصول على التقنية المتطورة سواء بسبب ضعفها المادي أو قلة كواردها الفنية للصيانة والتشغيل، أو ابتلائها بأنظمة دكتاتورية متخلفة لاتريد لبلدانها أن تتطور أساساً لأن تطورها يعني مطالبة الشعوب بحقوقها أو حاجة في نفس يعقوب، ويعقوب هنا الدول المتقدمة، غير إن هناك من الطرق والأساليب ماتستطيع الدول النامية انتهاجها للحصول على التقنية الحديثة حتى ولو كان ذلك بشق الأنفس، ومنها:-

أولاً- البحث والتطوير التقنى الوطنى:

يعتبر التغيير التقنى تحسيناً في حالة المعرفة أو تحولاً في دالة الإنتاج وتؤدي الإمكانيات التقنية إلى التحسين في اتجاهين، أما مزيداً من الإنتاج يتم إنجازه بنفس

(567) المصدر نفسه، ص64.

(568) المصدر نفسه، ص64.

الموارد أو نفس الإنتاج يمكن إنجازَه بتكاليف أقل⁽⁵⁶⁹⁾. ويعتبر الاختراع والابداع من أهم المفاهيم المصاحبة للتنمية التقنية حيث يتم تقسيم فئات البحث إلى بحث أساسي وبحث تطبيقي وتطوير تجريبي، ويميز شوميتز بين الاختراع وهو عنده فكرة أو رسم تخطيطي أو نموذج جديد أو محسن للأداء، أو

(569) فورمان كلارك، الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا، ترجمة: محمد رضا محرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص124.

منتج أو عملية أو نظام⁽⁵⁷⁰⁾، وبين الإبداع الذي يعتبر عملية تطبيق للاختراع وينطوي على تجديد سواء للمنتج أو عملية أو نظام، ويعرف الدكتور مصطفى سويف من علماء النفس، الابتكار بأنه سلوك يصل بنا إلى حل جديد لم نكن قد بلغناه من قبل لمشكلة أو مشكلات مطروحة أما لأن الحلول السابقة لم تعد تصلح لحلها أو لإمكان إيجاد حلول أعلى من السابقة في كفاءتها أو لأن المشكلة جديدة في كل أبعادها⁽⁵⁷¹⁾. ومشكلة التنمية التقنية في الوطن العربي هي جديدة في كل أبعادها وكذلك في الدول النامية، وتختلف نشاطات الاختراع والابتكار فيها من بلد إلى آخر تبعاً لطبيعة الاستثمار المحلي في التقنية الراقية والبحث والتطوير، ففي سنة 1992 بلغ الإنفاق العام في البحث والتطوير نحو 0.06% في مصر فقط من الناتج المحلي الإجمالي، بينما بلغ في تركيا 0.02% و0.06% في المكسيك يضاف إلى ذلك انخفاض استفادة القطاع الخاص من مراكز البحوث والتطوير⁽⁵⁷²⁾.

والدول النامية ومنها العربية جميعها غالباً ماتكون مشتتة من السوق العالمية للتقنية الحديثة والتي تهيمن عليها الدول الصناعية بمركز شبه احتكاري، كما تفقر الدول النامية بدرجات متفاوتة إلى المعلومات والقدرة على التفاوض لضمان شروط عادته لاستيراد التقنية⁽⁵⁷³⁾، ويضاف إلى ذلك أن نظام ملكية الأصول المعنوية مثل براءات الاختراع والعلامات التجارية.. الخ يعمل على تدعيم مركز موردي التقنية

(570) المصدر نفسه، ص137.

(571) د.مصطفى سويف، دراسات نفسية في الإبداع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1995، ص85-86.

(572) World Bank, Private Sector Development: The Status and the Challenges, Washington DC, 1994, P.19.

دراسة البنك الدولي، نقلاً عن: د.صلاح زين الدين، تكنولوجيا المعلومات والتنمية، مصدر سابق، ص81.

(573) د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص81.

في الدول الصناعية بضمن مركز احتكاري لهم في أسواق الدول النامية، وبذلك تحد من ترقى الدول النامية إلى مستوى عالمي من العلم والتكنولوجيا. ولعل المشكلة الرئيسية في الدول النامية هي الازدواجية الاقتصادية والتقنية، فالنمو السريع للقطاع الاقتصادي الحديث يعزى إلى ارتباطه بالسوق العالمية واستيراد التقنية الراقية بينما يوجد بجانبه قطاع تقليدي متخلف اقتصادياً وتقنياً⁽⁵⁷⁴⁾.

ثانياً- دور الشركات دولية النشاط في نقل التقنية إلى الدول النامية:

غالباً ما توصف التقنية المنقولة أو تنتصف بأنها عالية الثمن وإن إنتاجيتها العالية لا تتحقق إلا في الكميات الضخمة جداً من الإنتاج، وأكثر من ذلك إنها تحتاج إلى قوى عاملة ماهرة لصيانتها ومراقبة الإنتاج كما إنها تحل محل العمل غير الماهر أو رأس المال⁽⁵⁷⁵⁾. ومن ناحية أخرى يوجد اتجاه واضح لخفض التكاليف بقدر الإمكان حتى يمكن المحافظة على قدرة ثابتة تتلاءم مع نسب عناصر الإنتاج ذلك لأن انخفاض تكاليف عناصر الإنتاج هو السبب الرئيس لنقل الإنتاج وتوطينه في مناطق أخرى، وتسعى الشركات دولية النشاط إلى تفكيك العالم الثالث وإعادة تركيبه لغرض إدماجه في تقسيم العمل الدولي في ظل آليات نظام عالمي جديد تهيمن عليه منظمة التجارة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي⁽⁵⁷⁶⁾، ويكون الدور المرسوم للدول النامية في ظل عولمة الاقتصاد العالمي تكريس التبعية الاقتصادية

⁽⁵⁷⁴⁾ المصدر نفسه، ص 81.

⁽⁵⁷⁵⁾ Baranson J., Changing Role of MNC's Technological Advancement of LDC's, In: Atlanta Economic Review, Sep. 1972, P.18.

(تقرير)، نقلاً عن د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص 82.
⁽⁵⁷⁶⁾ المصدر نفسه، ص 82.

والتقنية. ولاتستطيع الدول النامية العزلة عن السوق العالمية أو القرار من التبعية⁽⁵⁷⁷⁾، ولكن تستطيع الدول النامية النفاذ ولو بعين خفية إلى تعظيم منافعها ورفع قدرتها على التفاوض مع الشركات دولية النشاط بشأن نقل التقنية المتقدمة إليها وبشروط تلك الشركات طبعاً⁽⁵⁷⁸⁾. وفي أحيان كثيرة يكون هناك تلاؤم للتقنية المتقدمة من خلال الشركات دولية النشاط بصفة خاصة عندما يوجد في الدول النامية مناخ استثماري مشجع للاستثمارات الأجنبية⁽⁵⁷⁹⁾. وقد أجريت دراسة مقارنة لنحو 14 فرعاً لشركات أمريكية بالمقارنة مع نفس العدد من شركات منافسة لها في المكسيك والفلبين ونتج عن ذلك انه لا توجد فروقات فيما يتعلق بكثافة العمل أو كثافة رأس المال وبإجراء مقارنة بين 9 شركات أجنبية و10 شركات محلية في كوريا الجنوبية لم يثبت هناك فروق مهمة في درجة الألية⁽⁵⁸⁰⁾، ومن ناحية أخرى فقد جاء في دراسة أجراها هوفبادر أن إنتاج التصدير في تايوان كان أكثر من الكثافة الرأسمالية من متوسط المنتجات الأخرى في تايوان⁽⁵⁸¹⁾.

إن عملية نقل التقنية بواسطة الشركات دولية النشاط لا يقتصر فقط على اختيار درجة كثافة العمل أو رأس المال في العمليات الإنتاجية، وإنما يشمل أيضاً المعرفة الغنية والتنظيم والإدارة والتسويق، والسبب في ذلك يعود إلى ان قدرة المشروع الاقتصادي على المنافسة الدولية ترتبط أساساً بالقدرة التسويقية، ان غزو

(577) المصدر نفسه، ص82.

(578) المصدر نفسه، ص82.

(579) Mason R.H, Some Observation on the Choice of Technology.

نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص83.

(580) Hubauer GC., The Impact of National Character.

نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص83.

(581) Frankena M., Marketing Factors in Manufacture & Export.

نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص83.

الأسواق الخارجية يصبح ميسوراً عن طريق أنشطة الشركات دولية النشاط التي أصبحت تندمج في الأونة الأخيرة تحت مظلة مجموعات مالية دولية، كما إنها يمكن أن تسوق منتجات الدول النامية في جميع أنحاء العالم عن طريق شركات تسويق عالمية تسمى (مجموعات الشراء الدولية)⁽⁵⁸²⁾. وعند التفكير في نقل التقنية في المعلومات والاتصالات إلى الدول النامية لابد من الأخذ بعين الاعتبار بعض المشكلات المصاحبة لذلك ولعل أهمها ارتفاع تكاليف النقل وضرورة وضع أساليب وتشريعات لنقل التكنولوجيا والرقابة عليها .

ثالثاً- دور الاتفاقيات والمنظمات الدولية في انتشار تقنية المعلومات :

بالنظر للتغير السريع في عمليات الاختراع والابداع وتطبيقات تقنية المعلومات والتحول إلى التنمية القائمة على المعرفة، فإن القوانين التي تنظم حقوق الملكية الفكرية تتغير أيضاً بنفس السرعة وبالإضافة إلى ذلك بروز دور المنظمات الدولية في إطار الأمم المتحدة أو خارجها والتي تهتم بحماية حقوق الملكية الفكرية وانتشار تقنية المعلومات ومن أهم تلك الاتفاقيات التي يمكن أن يشار إليها والتي عقدت بين الأطراف الدولية بهذا الشأن مايلي:-

1- معاهدة باريس لسنة 1883.

2- معاهدة برلين لسنة 1886.

3- اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية الناتجة عن

محادثات أورغواي في 5 أبريل 1994⁽⁵⁸³⁾.

(582) Helleiner, G.K, Transnational Enterprises.

نقلًا عن : د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص83.
(583) حسام الدين عبد الغني الصغير، أسس ومبادئ اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية (تربس)، دار النهضة، القاهرة، 1999، ص129-135.

4- ومن المنظمات الدولية التي لها دور في انتشار تكنولوجيا المعلومات،

المنظمة العالمية للملكية الفكرية (وايبو) لعام 1967 والاتحاد الدولي

للاتصالات ITU⁽⁵⁸⁴⁾ ووكالات الأمم المتحدة الدولية منها والإقليمية.

وتتجلى الأهمية الاقتصادية لحماية حقوق الملكية الفكرية في انها أداة لتنمية

القدرات التقنية والاقتصادية، فالنظام القانوني لحماية حقوق الملكية الفكرية يمثل أداة

فعالة لتنمية المقدرات الوطنية في التقنية وانتشارها واستخدامها وقد توصل

(نوردهاوس) في دراسته عن أثر الاختراعات وحمايتها في النمو الاقتصادي إلى انه

يتم تعظيم الرفاهية والمنافع للمجتمع وتعويض المخترع عن تكاليف الاستثمار في

اختراعه بالبحث والتطوير⁽⁵⁸⁵⁾.

(584) نقلاً عن : د.صلاح زين الدين، المصدر السابق، ص89.

(585) Nordhaus W.D, Invention, Growth and Welfare, Cambridge, Mass, M.I.T. Press, 1969, PP.19-40.

نقلاً عن: د.صلاح زين الدين، المصدر نفسه، ص90.

الفصل الثالث
الوطن العربي
في ظل تداعيات
العولمة

الفصل الثالث الوطن العربي في ظل تداعيات العولمة

يمثل الوطن العربي أهمية خاصة في النسق الدولي سواء بسبب موقعه الجغرافي الاستراتيجي على نقاط التقاء القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، أو بسبب امتلاكه الثروات الطبيعية الهائلة والتي يأتي في مقدمتها الثروة النفطية التي قامت عليها معظم الصناعات الحديثة إلى جانب انها تشكل العنصر الأساسي للوقود في العالم. ومن الطبيعي أن ميزات مثل هذه وغيرها تجعل الوطن العربي محلاً للتنافس الاقتصادي والصراع السياسي بين الأمم على مختلف العصور. وفي عصر العولمة تزداد مكانة الوطن العربي أهمية لأسباب نفسها إلى جانب انه يشارك في سياق الدول النامية للحاق بالتطور الجديد على مختلف الأصعدة.

لقد استمر تأثير العولمة في الوطن العربي سلباً أو إيجاباً بقوة هائلة، وعلى الرغم من ذلك فقد خطا الوطن العربي خطوات موفقة دولاً منفردة أو أقاليم من أجل احتواء تأثير العولمة، ولو بالحدود التي تتماشى مع إمكانياته المتواضعة.

وفي هذا الفصل سنتناول أوضاع العولمة في الوطن العربي في ثلاثة مباحث:

الأول: استمرار تأثير العولمة.

الثاني: احتواء تأثير العولمة.

الثالث: احتمالية تراجع العولمة.

المبحث الأول استمرار تأثير العولمة

لا يزال تأثير العولمة في الوطن العربي مستمراً سواء لأسباب تتعلق بسعي العولمة لتحقيق أهدافها أو بسبب ظروف الوطن العربي الخاصة المتمثلة بتخلفه من الناحية المادية والتقنية ما جعله يتخلف عن الاستعداد الكامل لفهم واستقبال العولمة والتكيف معها وبما تمليه المصلحة القومية، أو اختلاف البيئة والقيم الحضارية التي يعيش في كنفها.

إن استمرار تأثير العولمة في الوطن العربي يحدث في كل يوم ومن هذا التأثير ما ظهر، تارة للعيان في الوقت الحاضر وسوف يكون تارة ليس في صالح الوطن العربي إذا لم يتم تداركه والتعامل معه بما يجب، ويجري استمرار التأثير هذا في مختلف الأصعدة ابتداءً من لقمة العيش إلى السياسة الخارجية لدول الوطن العربي بما في ذلك التأثير في المنظومة الثقافية للوطن العربي، والتي بدأت أثارها تظهر جلياً ابتداءً من سياسات هذه المنظمة (الأسرة والتعليم) بحيث ظهر التأثير كلياً في سلوكيات أجيال متعاقبة في المجتمع العربي.

وفي هذا المبحث سنتناول استمرار تأثير العولمة على الأصعدة الثقافية والسياسية والاقتصادية.

أولاً- استمرار التأثير في الصعيد الثقافي:

1- تراجع دور المرجعيات الثقافية:

ظلت الثقافة الوطنية في الوطن العربي ودول العالم تنهل سيادتها وتجدها على مرّ العصور من مصدرين هما التربية والتكوين معبراً عنهما بالممارسة العملية الأسرة والمدرسة. ويبدو اليوم أن الإعياء قد دبّ في أداء هاتين المؤسستين ونال من

وظائفهما التربوية والتكوينية ومن قدرتهما على الاستمرار في ممارسة أدوارهما التقليدية الفعّالة في إنتاج وإعادة إنتاج منظومات القيم الاجتماعية ورصيد الوعي المدني اللذين يؤسسان البنى التحتية للثقافة الوطنية والسيادة الثقافية⁽⁵⁸⁶⁾.

أ- الأسرة:

هي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي بواسطة شبكة القيم التي توزعها من خلال التربية لسائر أفرادها وتلقنهم الآداب السائدة الواجب عليهم احترامها والمقدسات التي يتعين الالتزام بها والإيمان بها. وكما يتلقن الطفل في هذه المؤسسة التكوينية لغته ومبادئ عقيدته والقوالب الأخلاقية العامة والعليا لسلوكه كذلك يتلقن بعضاً من المبادئ المؤسسة للشعور بالأنا الجمعي- أي هوية الجماعة الوطنية التي ينتمي إليها- وتبقى تلك القيم في وجدانه حتى عندما يتمرد على الأسرة. وفي امتداد الانهيار الكامل والشامل لنظام القيم في المجتمعات العربية تفكك بنيان الأسرة، فقد جرى في امتداد تحولات اجتماعية وثقافية عميقة عصفت بالمجتمع العربي، هي في جانب كبير منها ثمرة مدخول حداثة مرتبكة لاتعبر عن طريق واضح للتقدم فقدان الأسرة المتزايد مقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية، أخلاقية للناشئة بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها وفي مقدمتها الإعلام المرئي، ولم يتوافق تراجع السلطة الأبوية مع حدود نظام القيم الاجتماعي، بل مع انهياره الأمر الذي عوض السلطة الأبوية المتقهقرة والثقافة التقليدية السائدة في امتدادها بحالة من الاستباحة والتسيب القيمي تجعل الفرد أعزل من أية دفاعات⁽⁵⁸⁷⁾.

⁽⁵⁸⁶⁾ د. عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2000، ص312. (مجموعة باحثين)

⁽⁵⁸⁷⁾ د. عبد الإله بلقزيز، المصدر نفسه، ص312.

وهذا هو الاغتراب والوحدانية الذي نوه به الدكتور الجابري⁽⁵⁸⁸⁾، فالشاب ينفصل عن أسرته فيخرج إلى الشارع لتتلقفه مئات وآلاف المشاهد من الهمبركر والأكلات السريعة إلى السينما ولباس الجينز وأحلام اليقظة المال والسيارات والقصور، فيتغير ذهنه إلى الهجرة إلى الخارج بحثاً عن حلول سحرية.

ب- التعليم:

تراجع دور التعليم في الوطن العربي كله بسبب الظروف الاقتصادية والمجتمعية المتغيرة بشكل مستمر، وتراجع دور المعلم القدوة بسبب ضآلة صرفه الذي بلغ حد الدولار الواحد في بعض الدول العربية أحياناً، وأصبح أستاذ الجامعة يطلب من طلابه نقله بسياراتهم الحديثة، كما إن المحتوى التعليمي للمناهج تراجع هو الآخر وقصر عن الإجابات المعرفية والعلمية، وبسبب ضيق الحياة هجر الطلاب مدارسهم أفراداً وجماعات سعياً وراء لقمة العيش فأصبحت الأمية في الوطن العربي تشكل أمماً بأكملها⁽⁵⁸⁹⁾.

وهكذا انهارت السيادة الثقافية في امتداد الوطن العربي وتراجع النسيج الثقافي الوطني وتعرض للتمزيق، وتضافرت عليه بذلك ضغوط خارجية وداخلية دون أن يكون في وسع المجتمع العربي أن يعالج الأمر فضلاً عن أن ينتج بديلاً عنه من داخل البنى الذاتية القائمة، وذلك التآكل والتراجع كله يؤسس لإقامة معامل عولمة الثقافة الزاحفة، تنمو موضوعياً، نحو تحطيم الحدود وتوجيه العالم على مقتضى نظام قيمي

(588) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات في كتاب العرب والعولمة، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص302-303.
(589) الباحث.

واحد، وهكذا يتلازم تمدد العولمة الثقافية مع انحسار السيادة الثقافية الوطنية وتراجعها في مجتمعات الجنوب عامة، وفي المجتمعات العربية بشكل خاص⁽⁵⁹⁰⁾.

2- تأثير النظام الثقافي للعولمة:

في النظام الثقافي للعولمة تعدّ الصورة أهم مكوناته ومفتاحه الرئيس والصورة هي المادة الأساس التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري، وهي تلعب في إطار العولمة الثقافية- الدور نفسه الذي لعبته الكلمة في مختلف تواريخ الثقافة⁽⁵⁹¹⁾. والصورة لا تحتاج -دائماً- إلى المصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقي، فهي بحد ذاتها خطاب ناجز مكتمل يمتلك سائر مقومات التأثير الفعالة، وهذا أساس شعبيتها وتداولها الجماهيري الواسع. وفي ظل النظام الثقافي المسيطر في حقبة العولمة الثقافية هذه، وهو النظام السمعي البصري، تستطيع الصورة الوصول إلى مكان جغرافي يقع خارج حدود بلدها، وبفضل البث عبر الأقمار الصناعية أصبح بالإمكان توزيع الصورة، بوصفه المادة الثقافية المعاصرة على أوسع نطاق عالمي، وبذلك أصبحت الصورة سلطة رمزية⁽⁵⁹²⁾. وصيرورة الصورة سلطة رمزية يعني أن النظام السمعي-البصري (نظام ثقافة العولمة) أصبح المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم والرموز وصناعتها وتشكيل الوعي والوجدان والذوق، ولذلك أثاره الخطيرة على صعيدين: على صعيد مستوى التنمية الثقافية والقيمية التي تقترحها العولمة على البشرية اليوم، وعلى صعيد درجة التناسب الطبيعي بين الثقافي والاجتماعي في المجتمعات المعاصرة والمستقبلية⁽⁵⁹³⁾. وتبدو الثقافة، على الصعيد

⁽⁵⁹⁰⁾ د. عبد الإله بلقزيز، مصدر سابق، ص314.

⁽⁵⁹¹⁾ المصدر نفسه، ص316.

⁽⁵⁹²⁾ المصدر نفسه، ص316.

⁽⁵⁹³⁾ المصدر نفسه، ص316.

الأول، على مستوى من الهزل والفقر والسطحية يثور معه التساؤل المشروع عن مستقبلها الإنساني، تشبه ثقافة هذا (النظام الثقافي) سائر مواد الاستهلاك، معلبات (ثقافية) جاهزة للاستهلاك وشركات إعلامية تتنافس لتقديم سلعتها إلى المستهلك في إخراج مثير يضعه في وطأة إغراء لايقاوم⁽⁵⁹⁴⁾. لا وقت إذن للتفكير والتمحيص والتردد النقدي وسائر مايمكن أن يحمي الوعي من السقوط في إغراء الخداع، ويتحول الوعي إلى مجال مستباح لكل أنواع الاختراق، ثم تتكفل التقانة بهندسة ذلك الإغراء وصناعة أسباب الجاذبية له⁽⁵⁹⁵⁾. وإذا ما علمنا أن هجوم ثقافة الصورة على الوعي يجري في امتداد التراجع المروع لمعدلات القراءة في الوطن العربي تتبين لنا معالم النفق المظلم الذي تدخل إليه الثقافة والوعي العربي في عصر الصورة والإعلام السمعي والبصري. وذلك يعني ضموراً متزايداً لجسم المعرفة وضيقة شديداً في جغرافيا التكوين وتفتتاً في نظام القيم وتكريس منظومة جديدة من المعايير ترفع من قيمة النفعية والفردانية الأنانية والمنزوع المادي والغرائزي المجرد من أي محتوى إنساني، أي أن العولمة الثقافية ستغدق على الجسد ما سيفيض عن حاجته من الإشباع غير أنها ستقتل الروح وتذهب بالمحتوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الناس. ومن المؤلم أن يصبح التلفزيون المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي تقوم وظيفياً مقام الأسرة والمدرسة⁽⁵⁹⁶⁾.

أما على الصعيد الثاني، فتبدو الثقافة خارج حدود تعريفها وماهيتها الطبيعية وسيصبح من الوجوب التفكير في معنى أن تنشأ في وعي الناس ثقافة أو قيم ثقافية لاتقوم صلة بينها وبين النظام الاجتماعي الذي ينتمون إليه، فحين يحمل الناس عبر

(594) المصدر نفسه، ص316.

(595) المصدر نفسه، ص316.

(596) المصدر نفسه، ص316.

الزخ اليومي للصور المبتوثة- منظومات من الأفكار والقيم لم تخرج من رحم التطور الاجتماعي الطبيعي الذي نشأ عن حادثة رثة شهدتها هذه البنى من دون تقديم مقدمات وتمهيد أصول. وهذا التأثير الذي يهدف إلى إفراغ الثقافة الوطنية من محتواها القيمي والأخلاقي تستفيد به العولمة من بديهياتها الاقتصادية ومن النتائج المثيرة التي تحققها على صعيد توحيد العالم وتحطيم الحدود وإلغاء مفاعيل السيادة⁽⁵⁹⁷⁾.

3- تكريس الإنشطار في الهوية الثقافية العربية:

تعاني الثقافة العربية منذ القرن التاسع عشر وضعاً لا يخلو من عدم التركيز والتوتر، بسبب احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية التي هي نتيجة تطور خاص قوامه التحديث والحديث، تطور لم تعشه الثقافة العربية، بل بقيت بعيدة عنه تجتر وضعها القديم⁽⁵⁹⁸⁾، وانجر الكثير من المثقفين العرب الذين درسوا في أوربا إلى الإعجاب بكل ما هو غربي. وأصبح المفكرون في البلاد العربية ينقلون النصوص عن المفكرين الأمريكيين والأوروبيين، يكفي أن يكتب رجل فرنسي أو إنكليزي أو ألماني أو أمريكي كتاباً يمدح العرب أو الإسلام حتى يصبح هو المثل الأعلى للمفكرين في البلاد العربية⁽⁵⁹⁹⁾. فهذا جارودي (فيلسوف الإسلام) وهذا (تيموثي ميشيل) الذي أصبح مدافعاً عن الثقافة العربية، وقد يكون لهؤلاء أو غيرهم ابداعاتهم الفكرية التي يمكن أن نستفيد منها، إلا أن الابداع الفكري الحقيقي هو الذي من تجارب المفكرين العرب وحياتهم وآلامهم وبيئتهم واصلأ الحاضر بالماضي

⁽⁵⁹⁷⁾ المصدر نفسه، ص316.

⁽⁵⁹⁸⁾ محمد عابد الجابري، مصدر سابق، ص304.

⁽⁵⁹⁹⁾ دنوال السعداوي، الحراك والشراك عند الرأسمالية في كتاب العولمة والتحويلات المجتمعية في الوطن العربي، مركز البحوث العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص223.

والمستقبل الأفضل وأكثر عدلاً وحرية⁽⁶⁰⁰⁾، إلا أن ذلك لم يعد فضولاً، ومن هنا نشأت تلك الثنائية التي تطبع الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية، ثنائية التقليدي والعصري، وهي ثنائية تركز الازدواجية والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية بمستوياتها الثلاثة الفردي والجمعي والوطني القومي، وتتمثل هذه الثنائية بطرفين أو صورتين هما صورة (الجمود على التقليد) ضمن قوالب ومفاهيم وآليات دفاعية تستعصي على الاختراق وتقاوم التجديد والصورة الأخرى تجسد الاختراق الثقافي، وقد اكتسح هذا التيار الساحة الثقافية اكتساحاً يتحول إلى ثقافة الاختراق المباشرة به والمكرسة له⁽⁶⁰¹⁾. والاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام بل إنه سلاح خطير يكرس الثنائية والانشطار في الهوية الوطنية والقومية العربية، ليس الآن فقط ولكن على مدى الأجيال القادمة، من ذلك الوسائل السمعية والبصرية المرئية واللامرئية التي تحمل هذا الاختراق وتكرسه إنما تملكها وتستفيد منها فئة معينة هي النخبة العصرية وحواشيها فهي التي تستطيع امتلاكها والتعامل معها بلغاتها الأجنبية، بحكم التعلم العصري الذي تتلقاه، أما عامة الشعب وعلى رأسه النخبة التقليدية من المثقفين فهو في شبه عزلة يجتر بصورة أو بأخرى ثقافة الجمود على التقليد، والنتيجة استمرار إعادة إنتاج متواصلة ومتعاطمة للثنائية نفسها، ثنائية التقليدي والعصري، ثنائية الأصالة والمعاصرة في الثقافة والفكر والسلوك⁽⁶⁰²⁾.

4- السيطرة الأجنبية على وسائل الإعلام العربية:

(600) المصدر السابق، ص 223.

(601) محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ص 304-305.

(602) المصدر نفسه، ص 305.

تهيمن الثقافة الأجنبية على معظم وسائل الإعلام العربية في الدول المنفتحة، مما جعل مضمون وسائل الإعلام العربية يساهم بصورة عامة في تغريب المواطن في الوطن العربي عن مجتمعه بدل تسهيل مشاركته في أمور هذا المجتمع. يتم هذا التغريب عن طريق مضمون إعلامي يشعر المواطن بأن لاصلة له أو روابط مع ما يراه على صفحات صحيفة أو قنوات تلفزيونية من مضمون، والمواطن العربي يشعر بأن ماتعطيه إياه هذه الوسائل من مضمون غير واقعي ولا صلة له بواقعه، وفي حالة قبوله لما تعطيه هذه الوسائل يرى نفسه مندفعاً للثورة على قيمه وطرق معيشتته فيصبح غريباً عن مجتمعه وحتى عن نفسه، كما تلعب وسائل الإعلام العربية أيضاً دوراً كبيراً في إلهاء المواطن عن مشاكله؟ عن طريق تحويل أنظاره عن المشاكل الاجتماعية والقومية الحقيقية إلى مشاكل ثانوية مستوردة من خارج مجتمعه⁽⁶⁰³⁾.

وقد ذكرت إحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث (كما في سوريا ومصر) ونصف هذا الإجمالي كما في (تونس والجزائر)⁽⁶⁰⁴⁾. أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثّة، إذ تبلغ نسبتها 58.2% وتبلغ البرامج المستوردة في لبنان 69% من مجموع البرامج الثقافية⁽⁶⁰⁵⁾.

ولاتكتفي وسائل الإعلام العربية بهذا التدفق الإعلامي والثقافي الأجنبي، بل وتقدم غالبية هذه البرامج بلا ترجمة إلى اللغة العربية، ففي لبنان -مثلاً- نجد أن أكثر من نصف البرامج لا تعرض ترجمة عربية لها والخطر في الأمر هنا أن تُلثي برامج

⁽⁶⁰³⁾ نبيل الدجاني في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص335. (مجموعة باحثين)

⁽⁶⁰⁴⁾ المصدر نفسه، ص335.

⁽⁶⁰⁵⁾ المصدر نفسه، ص335.

الأطفال تبث بلغة أجنبية وبدون ترجمة إلى اللغة العربية تقدم لمشاهدها من الأطفال⁽⁶⁰⁶⁾.

وهكذا دخل التلوث الثقافي والإعلامي إلى منطقتنا العربية منذ نهاية القرن العشرين، ولا بد أن يعطى أهمية تفوق الاهتمام الذي نعطيه لتلوث البيئة، نحن لم نبلغ مرحلة متقدمة من التصنيع الذي هو من أهم مسببات التلوث البيئي ولكننا بالتأكيد بلغنا مرحلة متقدمة جداً من استيراد التقنيات الإعلامية التي لها الأثر الأكبر في تلويث ثقافتنا وعقول أطفالنا وشبابنا وفتياتنا⁽⁶⁰⁷⁾. وأهم مايفترض بالعالم العربي فعله في هذا المجال هو تقييم التقنيات الإعلامية المستوردة في ضوء حاجة المجتمعات العربية، ولا بد من وضع ضوابط لانسياب البرامج والمواد الإعلامية والثقافية التي قد يكون لها أثر سلبي في المجتمع لمواجهة الهجمة الثقافية والإعلامية الأجنبية. ومن أجل إيقاف سياسة التغريب هذه لابد من السعي لإنتاج ثقافي وإعلامي عربي مشترك ذي نوعية جيدة. ولكي ينجح هذا المسعى لابد من تقوية أساسيات الإنتاج كتدعيم المناهج والبرامج في معاهد التدريس والتدريب والتأهيل (للمعوقين)⁽⁶⁰⁸⁾.

ثانياً- استمرار التأثير على الصعيد السياسي والأمني:

1) مشروع الشرق الأوسط الجديد (ويسمى المشروع الشرق أوسطي):

أظهرت الدراسات التي أعدتها جامعة هارفرد في الولايات المتحدة اهتماماً خاصاً بالشرق الأوسط، حيث أعدّ فريق الباحثين عام 1988 مشروعاً اقتصادياً

⁽⁶⁰⁶⁾ وثيقة عمل المؤتمر الحكومي للسياسات الإعلامية في الدول العربية، 1987، ص25-26، نقلاً عن: نبيل الدجاني، مصدر سابق، ص335.

⁽⁶⁰⁷⁾ المصدر نفسه، ص335.

⁽⁶⁰⁸⁾ المصدر نفسه، ص335.

سياسياً للمنطقة العربية، يوقف الحرب والصراع بين العرب وإسرائيل، ويدخلهم في علاقات اقتصادية وتجارية تساعد على ترك الماضي والتفكير في المستقبل⁽⁶⁰⁹⁾.

(609) د.علي كنعان، الإقليمية الجديدة والمفتوحة الأوسطية والمتوسطية في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص84.

وعلى هذا الأساس تم التوقيع على معاهدة أوسلو عام 1993 وأعدّ رئيس وزراء إسرائيل الأسبق شمعون بيريز كتابه (الشرق الأوسط الجديد) متضمناً بعض ملامح المشروع الشرق أوسطي ومن ثم عرضه للرأي العام للمناقشة:

1- بنود المشروع: يتضمن المشروع الشرق أوسطي البنود الآتية:

أ- وقف التسلح وتحويل النفقات الحربية لخدمة القطاعات المدنية حيث لم تؤدّ الحروب إلا للدمار واستنزاف الطاقات البشرية والمادية.

ب- إقامة مشاريع اقتصادية ولاسيما مشاريع البنى التحتية من طرقات وسكك الحديد ودعم وتطوير السياحة بين دول المنطقة.

ج- إقامة منطقة تبادل تجاري حر بين الأردن وفلسطين وإسرائيل ثم توسيعها لتضم فيما بعد دول الخليج ومصر وسوريا⁽⁶¹⁰⁾.

د- الحصول على قروض و ضمانات أجنبية لإقامة استثمارات ضخمة في المنطقة تساعد على تطوير الخدمات الأساسية ووقف التصحر والقضاء على البطالة والفقر ونبذ الأصولية والتعصب كما ورد ذلك في مشروع بيريز.

هـ- استطاعت إسرائيل من خلال المفاوضات المتعددة الأطراف أن تحصل على أشكال وتنظيمات جيدة للمنطقة مثل إقامة بنك إقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا مركزه مصر، وإقامة إدارة إقليمية للسياسة ومجلس رجال أعمال ومشاريع أخرى مشتركة⁽⁶¹¹⁾.

2- أهداف المشروع:

⁽⁶¹⁰⁾ مصطفى العبد الله، العمل العربي المشترك والمشاريع الشرق أوسطية، نقلاً عن: د. علي كنعان، المصدر نفسه، ص 85.
⁽⁶¹¹⁾ محمد الأطرش، المشروعان الأوسطي والمتوسطي والوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 10، 1996، ص 8-9.

يهدف مشروع الشرق الأوسط الجديد إلى تحقيق الأغراض الآتية:

- أ- تكريس السيطرة الإسرائيلية على المنطقة العربية وذلك من خلال البرامج الاقتصادية والتجارية ووقف كل أشكال المقاومة المشروعة بحجة شرق أوسط جديد.
- ب- اعتراف العرب بمشروعية إسرائيل وعدّ منظمة التحرير الفلسطينية منظمة إرهابية يجب أن تنتقل إلى العمل السياسي.
- ج- محاربة الفقر والبطالة والتصحر وتحسين مستوى المعيشة لسكان المنطقة بغض النظر عن طبيعة الخلافات الفكرية العربية-الإسرائيلية.
- د- إيجاد مجال كبير للتوسع والتمركز في المنطقة عبر تصنيع النفط والغاز وتصنيع المنتجات الصناعية عبر المعادلة:

نفط الخليج + الأيدي العاملة المصرية + المياه التركية + العقول الإسرائيلية

ومن ثمّ على العرب مقايضة التوسع في احتلال الأراضي بالسيطرة الاقتصادية وإعادة تقسيم العمل بين دول المنطقة مع بقاء السيطرة الإسرائيلية⁽⁶¹²⁾.

3- تأثير المشروع على الوطن العربي:

يرى الدكتور علي كنعان أن مشروع الشرق أوسطي يحمل بين طياته آثاراً سلبية جمّة في الوطن العربي -ويشاطره الرأي المفكر محمد الأطرش-، أهمها:

1- تفكيك النظام العربي أكثر مما هو مفكك حالياً، وأن المؤسسات الإقليمية التي

يقوم عليها من سياحة ونقل واستثمار وتصنيع لاتخدم النظام الإقليمي الجديد

المفتوح، بل هي أدوات تفكيك وإعادة تركيب بحيث تصبح كل وزارة سياحة

عربية أو صناعة عربية مرتبطة بالإدارة الإقليمية وتطبق تعليمات وأوامر

⁽⁶¹²⁾ د.علي كنعان، المصدر السابق، ص86.

وإرشادات وبذلك تنتهي الدولة الوطنية وتخسر المكانة المحددة في المشروع

الإقليمي⁽⁶¹³⁾.

2- سيؤدي مشروع الشرق أوسطي لاستقطاب استثمارات أجنبية تقوم بدور المالك لا المستثمر وبذلك تتحول العمالة الغربية أو الخبرات الغربية إلى منفذ حتى لو اشتركت الاستثمارات العربية، فلن يكون لها الدور المميز في إصدار قرار الاستثمار والإنتاج والتصدير. وهذا مايجعل من هذه الاستثمارات الأجنبية مالكا يتحكم بالمقدرات العربية.

3- ستتم المحاولة من خلال المشروع الشرق أوسطي ربط الاقتصاديات العربية بالاقتصاد الأمريكي أكثر من ارتباطها الحالي عن طريق النفط واستيراد التكنولوجيا⁽⁶¹⁴⁾.

4- يتضمن المشروع الشرق أوسطي إقامة نظام اقتصادي جديد يقوم على أطراف المركز الرأسمالي، وسيكون تابعاً لذلك المركز المتطور تحت الإدارة الإسرائيلية، ويقوم هذا الاقتصاد على الليبرالية والخصخصة وفقدان دور الدولة وسيطرة رجال الأعمال الأجانب على مفاتيح الاقتصاد العربي⁽⁶¹⁵⁾.

(613) د.محمد الأطرش، المصدر السابق، ص8.

(614) المصدر نفسه، ص9.

(615) المصدر نفسه، ص94.

2) الشراكة الأوروبية-المتوسطية:

أرسى مؤتمر برشلونة الذي عقد يومي 27-28/10/1995 ومن بعده مؤتمر مالطا لعام 1997، وشتوتغارت لعام 1999 بداية عهد جديد للعلاقات الأوروبية-العربية. ومن أبرز العوامل التي دفعت الاتجاه الأوربي إلى تأسيس شراكة مع اثنتي عشرة دولة متوسطية هو تأمين الحدود الأوربية الجنوبية من مخاطر انتشار الإسلام السياسي والهجرة غير الشرعية والإرهاب، أما دوافع انخراط الدول المتوسطية فإنها تتسم بالتباين نظراً لاختلاف المصالح، وبالتالي يلاحظ مثلاً أن دوافع انخراط تركيا وإسرائيل إلى الشراكة تختلف عن دوافع الدول العربية، فبينما تعمل إسرائيل على خرق النظام الإقليمي العربي عن طريق القبول بها كشريك سياسي وثقافي واقتصادي يلاحظ مثلاً أن الدول العربية قد انضمت إلى عملية برشلونة أما بقصد تفعيل الدور الأوربي في عملية السلام ولاسيما ان الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد بدور مؤثر في هذا المجال، أو بهدف الحصول على مساعدات مالية وتقنية أو بقصد دعم الحوار بين الحضارات⁽⁶¹⁶⁾.

ومن أبرز العوامل التي دفعت الاتحاد الأوربي إلى تأسيس الشراكة برونز أوروبا كقوة فاعلة في إطار النظام العالمي الجديد⁽⁶¹⁷⁾، وتحقيق توازن لعلاقة الاتحاد الأوربي مع شرق أوروبا وبروز التكتلات الكبرى الاقتصادية والعولمة وجعل حوض البحر الأبيض المتوسط منطقة سلام واستقرار وأمن. ولكي تتحقق أهداف وإعلان

⁽⁶¹⁶⁾ د.مصطفى عبد الله خشيم، التحديات السياسية والأمنية التي يواجهها النظام الإقليمي العربي في إطار عملية برشلونة، المستقبل العربي، العدد (1)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص82.

⁽⁶¹⁷⁾ Tareqy, Ismael and Jacqueline, S. Ismael, eds. The Gulf Way and the World Order.

نقلاً عن: د.مصطفى عبد الله خشيم، المصدر السابق، ص83.

برشلونة لعام 1995 يلاحظ أن أعضاء الشراكة ينخرطون بشكل لم يسبق له مثيل في حوار سياسي- أمني على عدة مستويات وزارية إلى جانب كبار المسؤولين والخبراء. ويعتبر مؤتمر برشلونة الأساس الذي تنطلق منه الشراكة وعليه يلاحظ مثلاً أن مؤتمر مالطا لعام 1997 قد عقد في المقام الأول لمعرفة ماتحقق أو تم إنجازه في إطار عملية برشلونة⁽⁶¹⁸⁾.

1- الأهداف:

أما الأهداف الأساسية للمشروع فتتمثل بما يلي⁽⁶¹⁹⁾:-

(1) إيجاد مجالات أوسع لصادرات الاتحاد الأوربي من سلع وخدمات ورساميل في المنطقة العربية نظراً لأن دول المنطقة لا تنتج إلا المواد الأولية والخامات وجميعها تصدر إلى أوربا.

(2) وقف هجرة أبناء الجنوب المتوسطي إلى أوربا أولد منها وذلك عبر مايعتقد ان المشروع سيؤدي إلى تنمية وازدهار في البلدان العربية المتوسطية وبخاصة شمال أفريقيا بحيث يمكن توظيف هؤلاء في مناطقهم خوفاً من الجدل الاجتماعي الذي يمكن أن يحدثه المهاجرون في العلاقات الاجتماعية الأوربية.

(3) وقف انتشار الأصولية الإسلامية تحت شعار مايسمى (الإرهاب) وحماية أمن إسرائيل وفي ذلك يلتقي المشروع المتوسطي مع مشروع الشراكة الأوربية المتوسطية⁽⁶²⁰⁾.

(618) المصدر نفسه، ص83.

(619) محمد الأطرش، مصدر سابق، ص88.

(620) المصدر نفسه، ص88.

4) تقديم مساعدات مادية لتطوير الخبرات الفنية وتطوير قطاعات الإنتاج بحيث تصبح قادرة على استهلاك السلع الأوروبية المتطورة فكلما ازدادت درجات التخلف كلما عجزت دول الجنوب عن استيراد التكنولوجيا من أوروبا⁽⁶²¹⁾.

لقد اهتمت اتفاقية برشلونة بإقامة مجال أوروبي متوسطي مبني على التبادل الحر وإلغاء الحواجز كافة من خلال اتفاقيات التبادل الحر على أن تقام تدريجياً وحتى عام 2010 منطقة تجارة حرة بينهما مع التقيد بالالتزامات المترتبة على اتفاقية المكان ضمن منطقة التجارة الحرة العالمية والقيام في الوقت نفسه بوضع إجراءات خاصة في مجال شهادات المنشأ وشهادة الأصل وحماية الملكية الفكرية واعتماد سياسة الاقتصاد الحر والعمل على إدماج اقتصادات الشركاء واعطاء أولوية لتحديث القطاع الخاص مع التعهد بتقديم مساعدات مالية (ميرا) للدول العربية المتوسطة الموقعة على اتفاق المشاركة من أجل الترغيب والترهيب لتفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتوفير مناخ ملائم وتشريع إيجابي لتشجيع الاستثمارات الأجنبية وتقديم الدعم للمشاريع الصغيرة في مجال الطاقة⁽⁶²²⁾.

(621) د. علي كنعان، مصدر سابق، ص 88.

(622) د. ثامر محمود العاني، التكامل الاقتصادي العربي والعلاقة بين الاستثمار والطاقة الاستيعابية للاستثمار في الوطن العربي في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج 4، دار الحكمة، بغداد، 2000، ص 24.

2- التأثيرات:

ويرى الدكتور علي كنعان أن أهم الآثار الناجمة عن مشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية فكانت كما يلي:-

(1) إقامة منطقة تجارة حرة بين الاتحاد الأوروبي والدول العربية كل من (مصر- تونس- المغرب) وبداية حركة الاستيراد والتصدير بينها وذلك وفق الأسس التي تم الاتفاق عليها وهي لصالح السلع الصناعية العربية لأنها كانت محرومة من الدخول سابقاً إلى الاتحاد الأوروبي، في حين تدخل مع الاتحاد إلى الوطن العربي دون عقبات.

(2) إنشاء نظام قانوني-إداري متجانس ومرن لتدعيم الاستثمار الخارجي وتحرير التبادل المالي وقد اقترحت بعض الدول إقامة وكالة لضمان الاستثمارات فيما لو تعرضت لمخاطر تجارية أو غيرها⁽⁶²³⁾.

(3) إمكانية التفاوض بين الاتحاد الأوروبي وسوريا أو مصر على انها دولة في تجمع اقتصادي عربي (منطقة التجارة الحرة العربية)، ويمكن إيجاد الحلول المناسبة لكل مشكلة على أساس وجهات النظر الأوروبية العربية، لكن الانضمام لهذا التكتل الجديد يمكن أن يخفض هموم الدول العربية في تطوير تجمعها الاقتصادي الاجتماعي السياسي وهذا الأمر يتعلق بالعرب أنفسهم دون سواهم⁽⁶²⁴⁾.

(4) سوف يؤدي المشروع إلى زيادة البطالة نظراً لأن الأوربيين يقترحون إعطاء صلاحيات للقطاع الخاص (الخصخصة) وإعادة ترتيب علاقات الإنتاج بما

⁽⁶²³⁾ وثائق مؤتمر برشلونة، ترجمة: المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية، تونس، 1997، ص38، 84، نقلاً عن: د.علي كنعان، مصدر سابق، ص88.
⁽⁶²⁴⁾ المصدر نفسه، ص88.

يخدم الليبرالية الاقتصادية وهذا التوجه يقود في نهاية المطاف لزيادة أعداد العاطلين في الوطن العربي وبالتالي تبقى أهداف الشركات في تشغيل العاطلين عن العمل حبراً على ورق، إضافة إلى ذلك فإن دخول السلع الأوروبية بأسعار رخيصة سوف يخفض حجم التصنيع وتطوير الصناعة الوطنية إلا في إطار التصنيع الزراعي الأمر الذي سيؤكد على مسألة تزايد العاطلين عن العمل⁽⁶²⁵⁾.

(5) لم تستطع دول أوروبا أو لم ترغب (وهذا هو الأصح) في إدانة الإرهاب الإسرائيلي، بل أدانت المقاومة الفلسطينية وحققها في الدفاع عن أرضها علماً بأن المشروع المتوسطي يهدف لزراعة الأمن وإزالة كل عوامل التوتر في المنطقة، وبما أن التعاون الاقتصادي مع أوروبا يسير بأشكال متعددة فإن قضية القوينة في إطار اتفاقيات نظامية يصبح أكثر ملائمة للطرف العربي الضعيف بحيث يحقق للعرب مزايا جديدة في إدخال سلعهم المزجاة إلى أوروبا وفي الحصول على مساعدات مادية وتقنية لتطوير اقتصادياتهم⁽⁶²⁶⁾.

3- تحديات الشراكة الأوروبية-المتوسطية:

لاشك أن الشراكة الأوروبية-المتوسطية تنسم بالتعقيد نظراً لكثرة التداخل الموجود فيها والمبني على اعتبارات سياسية واستراتيجية واقتصادية وثقافية وأمنية إذ المفهوم الأوروبي للأمن لا يقتصر فقط على جعل منطقة البحر المتوسط منطقة استقرار ولكنه يمتد ليشمل الارتباط بقضايا أخرى ذات علاقة بتحقيق الأمن والاستقرار في حوض المتوسط ومن أمثلة هذه الكلمات: التسلح وإدارة الأزمات

(625) المصدر نفسه، ص 89.

(626) المصدر نفسه، ص 89.

والدبلوماسية الوقائية والحد من الهجرة غير الشرعية ومكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة والمخدرات، ويعكس الميثاق الأوربي- المتوسطي وجهة النظر الأوروبية أكثر من وجهة النظر العربية، حيث أن معدل تكرار الكلمات المعبرة عن موقف الاتحاد الأوربي، مثل تحقيق السلام والاستقرار في المتوسط ودعم التعاون في كافة المجالات، ومنع التسلح وإدارة الأزمات يفوق معدل تكرار الكلمات المعبرة عن وجهة النظر العربية، مثل تحقيق السلام العادل والشامل وجعل البحر الأبيض المتوسط منطقة منزوعة السلاح⁽⁶²⁷⁾، ولكن التنسيق العربي-العربي تجاه الميثاق الأوربي-المتوسطي وصل إلى مستوى ملحوظ نظراً لأهمية الموضوعات التي يعالجها هذا المشروع، فقد عقدت الدول العربية المتوسطية عدة اجتماعات في إطار الجامعة العربية للاتفاق على موقف موحد تجاه الميثاق وتم تعديل بعض النصوص المثيرة للجدل مثل المفهوم الإسرائيلي للأمن الذي يؤكد على ضرورة تفوق إسرائيل العسكري والتقني⁽⁶²⁸⁾، كما ان الموقف العربي عكس أيضاً اتخاذ مبادرة في هذا الشأن حيث اقترحت الأمانة العامة للجامعة العربية مشروع ميثاق الاستقرار والأمن في حوض المتوسط وذلك بقصد تبني موقف عربي موحد، كما إن تحقيق أهداف الشراكة الأمنية المتمثلة في جعل حوض البحر الأبيض المتوسط منطقة أمن واستقرار وسلام لايمكن أن يتحقق إلا في ظل إطار وجود آليات محددة وفعالة، عملية برشلونة تعكس وجود تداخل بين أنماط الشراكة المختلفة، حيث أن الشراكة الاقتصادية والمالية والاجتماعية-الثقافية لايمكن أن تتم إلا في إطار الشراكة

(627) Guidelines for Elaborating Euro-Med Charter for Peace and Stability, 1999.

نقلاً عن: د. مصطفى عبد الله خشيم، المصدر السابق، ص 87.
(628) المصدر نفسه، ص 87.

السياسية-الأمنية⁽⁶²⁹⁾. ومن هنا فإن الدكتور علي كنعان يعتبر أن مشروع الشرق أوسطي أكثر (عدالة) من موضوع الشراكة الأوروبية المتوسطية لأنه يتضمن قضايا واضحة قابلة للتفاوض⁽⁶³⁰⁾.

ويرى الدكتور مصطفى عبد الله خشيم أن عملية برشلونة التي أنتجت موضوع الشراكة الأوروبية المتوسطية هذه تنطوي على تحديات سياسية وأمنية كبيرة تُفرض على الدول العربية المشاركة فيها، يمكن إجمالها بما يلي⁽⁶³¹⁾:-

1- إيجاد حل سلمي شامل وعادل لإشكالية الصراع العربي-الإسرائيلي يقوم فيه الاتحاد الأوروبي بدور فعال يوازي الدور الأمريكي المنفرد لحد الآن، فالموقف الأوروبي تجاه إشكالية الصراع العربي-الإسرائيلي أكثر إيجابية من الموقف الأمريكي المتحيز لإسرائيل، وبالتالي يمكن للاتحاد الأوروبي أن ينجح بما أخفقت به الولايات المتحدة في إطار العملية السلمية سيما وان الاتحاد الأوروبي نسبياً حل الصراع على أساس قرارات الأمم المتحدة في هذا الخصوص، لكن تفعيل الدور الأوروبي في العملية السلمية يواجه عدة صعوبات منها على سبيل المثال الرفض الأمريكي المتحيز لإسرائيل لأي دور مواز لدورها وفعال إلى جانب تعنت إسرائيل الراض لموقف الاتحاد الأوروبي، وعدم وجود إرادة سياسية أو رغبة أكيدة لدى الاتحاد الأوروبي للقيام بدور فعال وممارسة ضغوط سياسية واقتصادية على إسرائيل بقصد حملها على تنفيذ قرارات الشرعية الدولية في هذا الشأن ولاسيما قراري مجلس الأمن رقمي (242) و(338) ورغم ان أوروبا اتخذت خطوات تزيد

(629) المصدر نفسه، ص 87-88.

(630) د. علي كنعان، مصدر سابق، ص 8.

(631) د. مصطفى عبد الله خشيم، مصدر سابق، ص 88.

من فعاليتها في العملية السلمية إلا أن تفعيل الدور الأوربي في العملية السلمية لا يتم بمعزل عن الولايات المتحدة الحليف الاستراتيجي لها ولإسرائيل باعتبارها طرفاً في صراع الشرق الأوسط⁽⁶³²⁾.

2- ضرورة حل عادل ومرض لمشكلة المياه في الشرق الأوسط حيث ان تركيا وإسرائيل تخالفان مبادئ القانون الدولي في هذا الشأن، ويمكن للاتحاد الأوربي أن يقوم بدور فعال في هذا الخصوص ولاسيما أن كلاً من تركيا وإسرائيل تربطهما علاقات خاصة بأوروبا⁽⁶³³⁾.

3- ضرورة مشاركة الدول العربية غير المتوسطية في عملية برشلونة لاسيما أن دول الاتحاد الأوربي لا يقع معظمها على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وتطالب الدول من خلال الجامعة العربية بضم كل من ليبيا وموريتانيا إلى الشراكة باعتبارهما دولتين متوسطيتين وتطالب قرارات الجامعة العربية أيضاً بمشاركة وانضمام كل البلدان العربية في هذه الشراكة حتى وإن كانت لاتقع على حوض البحر المتوسط نظراً لترابط المصالح العربية-الأوربية⁽⁶³⁴⁾.

4- تمثل عضوية إسرائيل في عملية برشلونة قبل تحقيق التسوية السلمية العادلة والشاملة تحدياً آخر لا يمكن تجاهله، فإسرائيل تريد الحصول على كل شيء مقابل إعطاء اليسير لذا فإن تطبيع العلاقات مع إسرائيل قبل تحقيق التسوية

(632) المصدر نفسه، ص88.

(633) المصدر نفسه، ص88.

(634) اتخذت الجامعة العربية عدة قرارات بهذا الشأن منها القرار (5556) في 1996/3/21 والقرار (5601) في 1961/9/17. نقلاً عن المصدر نفسه.

الشاملة والعادلة سيجعل إسرائيل تمتنع عن تقديم أية تنازلات وتطبيق قرارات مجلس الأمن⁽⁶³⁵⁾.

5- إن تحقيق الإجماع العربي تجاه عملية برشلونة يحتاج إلى الانخراط الكامل في عملية تنسيقية متعددة الأبعاد حتى يمكن سماع الصوت العربي الموحد من قبل الاتحاد الأوربي وعليه فإن التحدي الكبير الذي يواجهه الدول العربية يتمثل في زيادة مستوى التنسيق إلى أقصى حد ممكن حتى يتمكن من تبني مواقف محددة من عملية برشلونة وما يرتبط بها من أبعاد مختلفة⁽⁶³⁶⁾.

6- على الرغم من إجماع الدول الأوربية-المتوسطية على ضرورة تحقيق الأمن الشامل إلا إن تحقيق هذا الهدف يظل مطلباً بعيد المنال في الوقت الحاضر نظراً لاعتبارات إقليمية ودولية مثل الصراع العربي-الإسرائيلي والنزاع العربي التركي حول المياه والتنافس الدولي للسيطرة على حوض البحر المتوسط وارتباط أوروبا بتحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة في منظمة حلف شمال الأطلسي وامتلاك إسرائيل لأسلحة الدمار الشامل.

7- إن نجاح أي تحالف، وتحقيق أهداف إعلان برشلونة لا يمكن أن يتحققا إلا في ظل سيادة علاقات الثقة والأمان بين الدول الأعضاء في الشراكة، ولكن نمط العلاقات الآن يسوده التوتر وعدم الثقة بسبب وجود صراعات إقليمية متعددة⁽⁶³⁷⁾.

8- طالما إن الشراكة الأوربية المتوسطة تعكس عملية لها مدخلات ومخرجات، فإن البيئة الخارجية المحيطة لا يمكن تجاهلها ولاسيما موقف الولايات

(635) د. مصطفى عبد الله خشيم، المصدر نفسه، ص 90.

(636) المصدر نفسه، ص 91.

(637) المصدر نفسه، ص 91.

المتحدة الأمريكية القوة الفاعلة في النظام الدولي الجديد من عملية برشلونة، إن البيئة الخارجية تشكل تحدياً خارجياً قد يعيق أو يساعد على تحقيق الأهداف المنشودة لعملية برشلونة. ويمكن القول أن مشروع الشراكة الأوروبية-المتوسطة تؤثر بوضعها الحالي سلباً في فعالية النظام الإقليمي العربي نظراً لأنها تحول دون تحقيقه لبعض أهدافه على الأقل⁽⁶³⁸⁾.

ثالثاً- استمرار التأثير في الصعيد الاقتصادي والاجتماعي:

يشكل المحور الاقتصادي العصب الذي تقوم عليه العولمة وتؤثر من خلاله على المجتمع الإنساني لإنفاذ برامجها على مختلف الأصعدة، وتأثيرهما في هذا المجال مستمراً على الوطن العربي في مختلف النواحي الاقتصادية، ونريد في معالجة هذه الفقرة الانطلاق من الداخل -كما يقال- لإلقاء الضوء على التأثيرات الاقتصادية للعولمة المنصبة في داخل الاقتصاد والمجتمع العربي ونجد في هذه العناوين -قضية ملكية الأصول- والهجمة الشرسة على القطاع العام، وتوجيه إعادة التوزيع، ودعاوي النفاذ إلى الأسواق ما يكفي لتغطية الموضوع.

1- ملكية الأصول:

إن فتح الباب أمام رأس المال الأجنبي له ثمن باهض هو حصول من يجلب المال على ملكية أصول ثابتة مقابل الاستثمار وهذا جانب كبير من التغيير في الواقع العالمي الحديث، فمنذ انهيار نظام النقد الدولي واتخاذ الدولار أساساً للنظام النقدي العالمي في أوائل سبعينيات القرن العشرين وقع العالم فيما يسمى مصيدة تريفين Triffin Trap نسبة إلى العالم تريفين الذي أوضح أن هذا يفترض عجزاً مستمراً

(638) المصدر نفسه، ص91.

للولايات المتحدة حتى تبتع قدرأ متزايدأ من الدولارات يلبي تزايد الطلب على السيولة الدولية مما يعني ضعف الدولار بينما يتطلب سلامة النظام أن يكون أساسه قوياً، ومع انهيار نظام النقد الدولي أوائل السبعينات وتنامي ثورة الاتصالات بدأت النقود تأخذ شكل سلعة تتداول خارج وظائفها الاقتصادية التقليدية، كما خرجت عن سيطرة الحكومات، المحتكر الطبيعي لإصدار النقود وبدأت النقود الإلكترونية والتبادلات عبر شبكات الاتصالات العالمية تتجاوز حدود الأسواق المحلية وتفقد النقود عامل الثقة من الحكومات التي تضاعل دورها هي الأخرى⁽⁶³⁹⁾.

كان هذا سببأ في تصاعد موجات الركود التضخمي الذي عانت منه دول العالم الثالث، وأصبح من المقبول أن تستمر حيازات النقود للتعامل العالمي وعمليات المتاجرة في النقود ولكن من غير المقبول اعتبارها أصلاً جديراً بالاحتفاظ لأمد بعيد وكان لابد بالتالي من التخلص من هذه النقود السائلة إلى أصول رأسمالية ثابتة، وإذا كان التضخم قد حل أو ساعد على حل جانب من المشكلة برفع القيمة النقدية لما هو متاح من أصول، إلا أن هناك حدوداً لايجوز تجاوزها حتى لاتأكل الزيادات في القيم الرأسمالية معدلات الربحية، خاصة وأنه من غير المرغوب فيه استمرار هذا التضخم⁽⁶⁴⁰⁾. من جهة أخرى فإن حالة الركود المصاحبة أضعفت فرص تكوين رؤوس أصولية رأسمالية جديدة بينما ذهب جانب كبير من الاستثمارات إلى تمويل تكنولوجيا إنتاج جديدة سارعت بتقادم الكثير مما هو قائم بينما عجزت عن خلق فرص عمل وإن لم تكن أدت إلى تراجع هذه الفرص وهو ما عرف بـ(النمو غير المصحوب بفرص عمل) Jobless Growth.

⁽⁶³⁹⁾ د.محمد محمود الامام، الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومغزاها بالنسبة للوطن العربي، في كتاب العولمة والتحويلات المجتمعية في الوطن العربي، مركز البحوث العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص95.
⁽⁶⁴⁰⁾ المصدر نفسه، ص95.

وبالتالي هو دعوة رأس المال إلى النفاذ إلى خارج موطنه كمخرج أساسي والترويج للاعتماد على الاستثمار الأجنبي المباشر⁽⁶⁴¹⁾.

2- الهجمة الشرسة على القطاع العام:

لكي ترسخ دول العولمة من تأثيراتها كانت هناك ضرورة العمل على محورين: الأول إيقاف حركة الإقراض التي استعانت بها حكومات دول العالم الثالث على إقامة العديد من مشاريعها التنموية وبناء قطاع عام يقود التنمية والمطالبة بأن يحل الاستثمار الأجنبي المباشر كبديل⁽⁶⁴²⁾. ويتطلب هذا بطبيعة الحال التخلي عن القطاع العام لصعوبة التعامل معه كشريك إلا في النشاطات ذات الصلة الاحتكارية كمشاريع استخراج الثروات المعدنية، أما المحور الثاني فهو المطالبة بتصفية القطاع العام القائم ونقل ملكيته إلى الأفراد مع العمل في الوقت نفسه على بناء أسواق رأس المال والأسواق الناشئة وقدرتها على اجتذاب تمويل خارجي. فعن طريق هذه الأسواق يمكن لرأس المال العالمي أن يحتفظ بصفته كأصل مالي ينتقل من مكان إلى آخر وفق عائد استثمار مركب من ثلاثة عناصر⁽⁶⁴³⁾، الربحية التجارية والربحية الرأسمالية وعمليات المضاربة المدارة بعناية من قبل جهات رأسمالية خبيرة وفي سبيل التنديد بالقطاع العام والدعوة إلى التخلص منه تثار قضية الإدارة ويشار إلى ان ملكية الدولة له تعني خضوع إدارته لقواعد بيروقراطية تنفي عنها الحافز إلى التطوير، ومن ثم فإن دعوى الخصخصة تنادي بتحرير إدارة القطاع العام بما يعني أن تتولى "كفاءات" من القطاع الخاص إدارته ولما كان هذا لا يكفي لضمان توفر الحوافز لهذه الإدارة فإن الدعوة تتحول إلى بيع وحداته إلى مستثمر رئيس يجمع بين

(641) المصدر نفسه، ص95.

(642) المصدر نفسه، ص96.

(643) المصدر نفسه، ص96.

الملكية والإدارة⁽⁶⁴⁴⁾. ولإثبات قدرة القطاع الخاص على النجاح يعاد تعديل البيئة الاقتصادية كلها وهو أمر لم يتم للقطاع العام كما تتخذ إجراءات عديدة لخفض القيمة الرأسمالية لمشاريع القطاع العام عند الشراء حتى تكون الأرباح الرأسمالية ضماناً لربحية تعزز بتحريك الأسعار على حساب المستهلك المحلي⁽⁶⁴⁵⁾.

⁽⁶⁴⁴⁾ صدر في العراق عام 1986 قانون بيع وتأجير أموال الدولة وتم تحويل الكثير من المؤسسات والمصانع إلى (جماعة الحكومة) كما يسميهم (السنهوري) (الباحث).

⁽⁶⁴⁵⁾ د. محمد محمود الامام، مصدر سابق، ص 97.

دور الدولة:

في زمن العولمة استطاعت الشركات عابرة القارات من الخروج عن نطاق الحدود الجغرافية للدولة فلم تكتف بقدرتها على الالتفاف على الدولة والتملص مما يمكن أن تفرضه عليها من قيود، بل سعت إلى احتواء الدولة والتملص مما يمكن أن تفرضه عليها من قيود، بل سعت إلى احتواء الدولة وتسخيرها لخدمتها⁽⁶⁴⁶⁾، فإذا الهيمنة التي تمارسها العابرات تسعى إلى السيطرة بها على الحياة السياسية حتى تطمئن إلى أن مجتمعها يتيح لها ظروف بلوغ أقصى ربحية تستطيع تحقيقها داخله والاستناد إلى قوة الدولة لتعزيز موقعها في الاقتصاد العالمي، ومن ثم فإنها تمارس سلطاتها من خلال الانتقال بمواطن نشاطها وفقاً لمدى استجابة الحكومات المختلفة لطالبتها، ومدى سعي هذه الحكومات للقيام بما يلزم لخلق بيئة تتيح لها التنقل بنشاطها وممارسته بحرية تامة بغض النظر عما يعنيه ذلك بالنسبة لباقي اقتصاداتها القومية، وبالتالي فإن حكومات الدول النامية أصبحت تتعرض لضغط مضاعف، فمن ناحية هي مطالبة مثل الحكومات في الدول المتقدمة بأن تقوم بوظيفة تدبير المنزل وفق ما تمليه إرادة عابرات القارات وما يخدمها من مؤسسات دولية⁽⁶⁴⁷⁾، ومن ناحية أخرى فإنها لاتعتبر شريكاً في الاستفادة من أرباح الشركات لأن هذه الاستفادة مقصورة على الدول المتقدمة التي تقع فيها مراكز تلك الشركات، وبالتالي فبينما تطمئن الدول المتقدمة إلى ما يعود عليها من توسع الشركات الكبرى فإن الدول النامية لاتطمئن إلى انه مهما استجابت لمطالب العابرات فإن هذه العابرات سوف تساهم في جهودها التنموية فإن فصلت فلا يوجد ما يؤكد أن ما ستؤديه لها يمثل نصيباً عادلاً ولا يوجد ما

(646) المصدر نفسه، ص88.

(647) المصدر نفسه، ص88.

يضمن أن يؤدي هذا أو ذلك إلى تلبية أهدافها الرئيسية في التنمية وهي تلبية الحاجات الأساسية وتحسين نوعية الحياة⁽⁶⁴⁸⁾.

3- قضية إعادة التوزيع:

ومن مظاهر استمرار تأثير العولمة في هذا الصعيد هو التجاء الرأسمالية المحلية إلى الاختباء بالرأسمالية العالمية واعتقادها أن الطريق إلى التطور هو إشراك الشركات عابرة القارات في إدارة الأنشطة الاقتصادية التي يقدر لها أن تقوم بالتنمية في البلدان النامية ومنها العربية وان تخرج الاقتصاد الوطني من قيود التخلف⁽⁶⁴⁹⁾، وبدلاً من أن تقوم حكومات وطنية تسعى إلى استقطاب وتعبئة الموارد المحلية المصرفية والمالية وإلى تطوير القدرات الإدارية والفنية وإلى إدارة الاقتصاد على نحو يحقق كفاءة أداء ماتعطيه أولوية في استراتيجيات التنمية فإن الحكومات مطالبة بأن تعترف ليس فقط بعجز أجهزتها (البيروقراطية) عن أداء هذه الوظائف بل وأيضاً بعجز مواطنيها المنتمين إلى القطاع الخاص المحلي عن تحمل تبعات التنمية المتسارعة وعن إدارة منشآت اقتصادية حتى تلك التي تعمل فيما يعتبر مجالاً يتفق والمزايا النسبية القائمة⁽⁶⁵⁰⁾.

وهكذا فإنه سواء في ماتبقى من القطاع العام أو القطاع الخاص فإن المنطق الأساسي هو عمل كل ما من شأنه توفير البيئة المواتية لجذب عابرات القارات أو على أقل تقدير لجذب شريك أجنبي يتولى إصلاح ماأفسده المواطنون⁽⁶⁵¹⁾، وتنتج

(648) الاسكوا، التنمية البشرية في الوطن العربي، سلسلة دراسات التنمية رقم (2)، القاهرة، 1995، نقلاً عن: د.محمد محمود الامام، مصدر سابق، ص88.

(649) د.محمد محمود الامام، المصدر نفسه، ص89.

(650) المصدر نفسه، ص89.

(651) المصدر نفسه، ص90.

بذلك فئة من المجتمع عنه، إيماناً منها بالعجز عن تحقيق شروط التكافؤ في التعامل الدولي، لتؤكد أن الرؤية الكبيرة لمصالح المجتمع تمر بعيون أجنبية⁽⁶⁵²⁾. ولا يقتصر الأمر على الرأسمالية المحلية ورجال الأعمال، بل إن العاملين في منشآت تتم بإشراف شركاء أجنب، يتحولون سريعاً بانتمائهم إلى اعتماد الأسس الثقافية لهؤلاء الشركاء، وإلى تقدير مدى تمكنهم من امتلاك المعرفة التي يبدو أن مجتمعهم يفتقدها. وأهمية التعليم المغترب الذي يتجنح عادةً إلى الأسس العلمية التي طورتها دول المركز، بما في ذلك اللغة وأدوات التعبير الأخرى، وأفضلية مايتاح لهم من تدريب سواء على يد مدربين أجنب بما ينشئ لديهم نوعاً من الارتباط الثقافي بأوطان هؤلاء المدربين، أو في مواقع خارجية يتعرضون فيها لأنماط مغايرة للمعيشة تفصلهم تدريجياً عن واقعهم المحلي⁽⁶⁵³⁾. يضاف إلى ذلك أن ظروف العمل في المنشآت من هذا النوع تسمح بدفع أجور أعلى مقابل تخصصات أدق في ظل انضباط أشد، ويمائل هذا ماكان يقوم به المستعمرون من تحسين أوضاع العاملين في مرافق وأنشطة يتخبرونها للمستعمرات، ويستخدم هذا التباين بين العاملين في منشآت يشارك فيها أجنب وأولئك العاملون في منشآت وطنية لإنشاء عقيدة بأن التقدم للفرد والمجتمع لا يتحقق إلا من خلال التبعية للأجنبي⁽⁶⁵⁴⁾.

ولا يقتصر الأمر على قطاع الأعمال، إذ أن البيئة المحلية تتطلب تطويراً في التعليم وفي التشريعات وأساليب اتخاذ القرار ورسم السياسات، ومايساند ذلك من أجهزة بحث وتطوير، ولعل القاسم المشترك بين هذه الاعتبارات جميعاً والنتيجة الرئيسة التي تترتب عليها هو ترسيخ فقدان الثقة في القدرات الوطنية، ورغم ما يبدو

(652) المصدر نفسه، ص90.

(653) المصدر نفسه، ص90.

(654) المصدر نفسه، ص90.

من اتفاق بين عدد من الفئات الاجتماعية على تقدير أو تقديس ما هو أجنبي⁽⁶⁵⁵⁾، فإن هذا لا ينشئ قدراً من التوافق الوطني على نوع من التبعية يرتضيها الجميع، فالتبعية التي تنشأ في ظل هذا المنهج الذي يبدأ من نهاية البنين التربوي بمحاكاة وجلب هياكل اقتصادية دخيلة يزعزع التنظيم المجتمعي ويضعف المنظومة الثقافية الوطنية ويخلق في النهاية صراعاً اجتماعياً حول أفضل السبل للاندماج في القرية الكبيرة التي يروج لقيامها بفضل الكوكبة التي أصبحت تعامل كما لو كانت حقيقة لا فكاك منها⁽⁶⁵⁶⁾.

إن عمليات التحول التي تمر بها الدول النامية بسبب تنفيذها تلجأ إليه أو تجبر عليه من برامج تسمى بالإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي تقود إلى إظهار مدى ما تضمنته قواعد السوق من آثار اجتماعية سلبية بحيث تصاعد الحديث عن (الإصلاح بوجه إنساني) وجعل الأسواق صديقة للناس⁽⁶⁵⁷⁾، وتزايدت المطالبة بمعالجة العواقب الاجتماعية السلبية لهذه البرامج، ومن المعلوم ان اعتماد السوق ما يسمى بالكفاءة الاقتصادية يحرم المجتمع من تحقيق أهدافه في سيادة عدالة اجتماعية، بل ويؤدي إلى جعل البطالة جزءاً من متطلبات تحسين توزيع الدخل والقضاء على الحرمان والفقر، يبدو في رأي بعض الاقتصاديين متعارضاً مع حوافز ومتطلبات تعزيز التراكم الرأسمالي اللازم لرفع النمو الاقتصادي الذي يوفر الوعاء الذي تتدبر منه الموارد التي توجه لتحقيق العدالة المنشودة⁽⁶⁵⁸⁾، لذلك جرى التمييز بين التوزيع الذي يجب أن يعكس متطلبات الكفاءة وإعادة التوزيع التي تتفق وإشاعة العدالة شريطة ألا تبطل الحوافز التي يعمل الاقتصاد بموجبها في استجابته لمؤشرات

(655) المصدر نفسه، ص 91.

(656) المصدر نفسه، ص 98.

(657) المصدر نفسه، ص 92.

(658) أسكوا، المصدر السابق، نقلاً عن: د. محمد محمود الامام، مصدر سابق، ص 92.

السوق، وعلى هذه الصورة يقوم نوع من العقد الاجتماعي تتخلى فيه الفئات المعرضة للضمو ر بسبب استبعادها من العمل والحصول على دخل من حقوقها للفئات المستفيدة من تعظيم النشاط الاقتصادي على هذا النحو، مقابل أن تعيد هذه الأخيرة توجيه جزء من مكاسبها إلى الأولى من خلال إعادة التوزيع⁽⁶⁵⁹⁾، والمشكلة التي تنشأ في ظل مايسود من انتشار نشاط المنشآت من مختلف أرجاء العالم، انه لا يوجد مثل هذا العقد الاجتماعي على المستوى العالمي، بل ان الأمر على عكس ذلك وهو أن على الدول الراغبة في جذب العابرات أن تقوم بإعادة توزيع لصالحها قبل أن تأتي في شكل تحسين البنية الأساسية وتدريب العاملين وتغيير الأطر التشريعية وتقديم الحوافز الضريبية، أما عابرات القارات فهي لا تفتأ تطالب الحصول على مزيد من الحوافز دون أن يكون ذلك ضماناً بأنها ستقوم بالنشاط المرجو ولأن المصدر الذي تتم منه إعادة التوزيع هو الدخل، فإن فقر الدول النامية وماتعانيه من عجز يجعلها مضطرة إلى تدبر الأمر على حسب الطبقات العاملة⁽⁶⁶⁰⁾.

(659) المصدر نفسه، ص92.

(660) المصدر نفسه، ص93.

4- النفاذ إلى الأسواق والمجتمع:

صاحبت اتفاقيات اورجواي للجات التي تمخضت عنها اتفاقيات مراكش المنشئة لمنظمة التجارة العالمية عبارات مثل النفاذ إلى الأسواق ودعاوي التحرير الكامل للتبادل التجاري والمالي والخدمي والتلويح بأن السماح للاستثمار الأجنبي المباشر بممارسة النشاط يجلب المعرفة، ومن ثم فإن النفاذ إلى الأسواق مطلباً لجميع الدول⁽⁶⁶¹⁾. والواقع ان دعوى تمكين جميع الدول من النفاذ إلى الأسواق فيه الكثير من المغالطة، فمن ناحية يدعو إفراط الدول النامية في الاعتماد على التصدير المركز في عدد محدد من المواد الأولية إلى الحاجة إلى تصحيح هيكلها الإنتاجية ليس بمزيد من التصدير وفق ما يدعى المزايا النسبية التي قادت إلى التخصص في المواد الأولية التي تعرضت لتراجع مستمر في أسعارها النسبية بفعل الاحتكارات العالمية بل بتحقيق مزيد من الترابط الداخلي في اقتصاداتها، وبين الاقتصادات النامية وبعضها البعض⁽⁶⁶²⁾، وهو ما كان يدعو إلى التكامل الإقليمي والتعاون بين بعضها البعض على مستوى الجنوب، غير أن هذا لا يتعارض مع رغبة رأس المال العالمي في السيطرة على الأصول الإنتاجية في هذه الدول، وتحويلها إلى أنماط إنتاجية للربط بين مواقع فروع العابرات التي تتحكم في الإنتاج، بدلاً من الترابط الداخلي أو الإقليمي، وتنطوي دعاوي التصدير على مغالطات أخرى لأنها في جوهرها تمثل (نفاذ إلى المجتمعات وليس إلى الأسواق)⁽⁶⁶³⁾. فمن ناحية تتحكم الدول الصناعية بحكم وزنها النسبي وتحكمها في تكنولوجيا الإنتاج فيما تصدره إلى الدول النامية،

(661) المصدر نفسه، ص98.

(662) المصدر نفسه، ص98.

(663) د.محمد محمود الامام، الجات والعرب من النفاذ إلى الأسواق إلى النفاذ إلى المجتمعات، مقالة، الأهرام، 1994/9/2 نقلاً عن: د.محمد محمود الامام، مصدر سابق، ص99.

وفيما تنشئه شركاتها من مشروعات على أراضي هذه الدول، وهو مايفرض أنماطاً استهلاكية على أبنائها، ومن ناحية أخرى فإنه خارج إطار المواد الأولية النمطية يتعين على الدول النامية أن تنتج وفق مواصفات تحددها الدول الصناعية بما يتفق والأذواق السائدة فيها والقواعد التي تضعها لحماية البيئة فيها، وهو مايفرض على الدول النامية أن تؤقلم نفسها لحاجات وشروط الدول الصناعية حتى تتمكن من التنافس داخلها أو التنافس معها في دول نامية أخرى⁽⁶⁶⁴⁾. وهكذا تفرض المجتمعات الرأسمالية نفسها في جانبيين التصدير والاستيراد، الأمر الذي يؤدي إلى الخضوع إلى منظومتها الثقافية⁽⁶⁶⁵⁾. وهناك من الشواهد مايشي إلى أن الدول التي يضرب بها المثل في سرعة النهوض بالتصنيع للتصدير اعتماداً على منظومتها الثقافية الذاتية تعرضت إلى تحولات اجتماعية باعدت بين الجيل الجديد الذي تعرض نتيجة ذلك لمواصفات الحياة الغربية عن الجيل الذي قاد عملية التصنيع⁽⁶⁶⁶⁾. ويترتب على هذا أن المجتمع النامي لا يخضع فقط للمقومات التكنولوجية المتضمنة في العملية الإنتاجية بل انه يتعرض أيضاً إلى تغيرات في الأنماط الاستهلاكية، ترتبط بالقدرة على تحقيقها، نظراً لأنها أنماط تعبر عن حاجات عند مستوى دخل مرتفع، الأمر الذي لايتيسر إلا لقلّة داخل الدول النامية نجدها شديدة المتحمس لهذه التحولات الاقتصادية لتحسين موقعها الذاتي وهو ما يؤثر في سلوك شريحة كبيرة من المثقفين ويباعد بينهم وبين الرؤية الحقيقة لحاجات مجتمعاتهم⁽⁶⁶⁷⁾.

(664) المصدر نفسه، ص99.

(665) المصدر نفسه، ص99.

(666) اليونسكو، باريس 1993، نقلاً عن: د.محمد محمود الامام، المصدر السابق، ص100.

(667) المصدر نفسه، ص100.

المبحث الثاني

احتواء تأثير العولمة

هذه هي العولمة، قد طغت على الوطن العربي بكامل ثقنها وآلياتها وأحاطت بتأثيراتها بكل التفاصيل في حياة المجتمعات العربية وبدأت نتائج التأثير تظهر في تغيير طباع البشر وسلوكيات الكبار والصغار وتغير التعامل في الحياة اليومية بحيث أصبح الأخذ والعطاء مادي بحت وتراجعت قيم كثيرة عاش فيها ولها المواطن العربي مئات السنين مثل الحياة الأسرية والأخلاق الأدبية العامة والسلوكيات الدينية وحسن الجوار وصلة الرحم، فهل انتهى الأمر عند هذا الحد وعلينا أن نعود إلى البيت؟ يرى كثيرون ومنهم الباحثة العربية الدكتورة ليلي عبد المجيد أن الأمر لم ينته عند هذا الحد فإن لدى البلاد العربية إمكانيات هائلة لتطوير مقدراتها المعرفية تتمثل في رأسمال بشري لم يستغل بعد وتراث ثقافي ولغوي وفكري ثري⁽⁶⁶⁸⁾، فيما ترى الدكتورة سهير عبد الباسط أن العولمة قدمت الأدوات الفكرية والمادية التي يمكن استخدامها للمساعدة في استخدام أكثر فاعلية للمعلومات⁽⁶⁶⁹⁾، وهذا يعني أن هناك آمالاً كبيرة للعمل من أجل اللحاق بالتطور الحديث واستيعاب واحتواء تأثير العولمة في مختلف الأصعدة حسب الإمكانيات العربية المتواضعة، خصوصاً وان هناك دولاً كثيرة من دول العالم الثالث قد استطاعت تجاوز المحنة واحتواء تأثيرات العولمة على مجتمعاتها، بل استطاعت تحويل السلبيات المحتملة إلى إيجابيات استطاعت أن تؤسس عليها إنجازات علمية واقتصادية كبيرة، وما تجربتي الصين وكوريا الجنوبية

(668) د. ليلي عبد المجيد، الطريق العربي إلى مجتمع المعرفة، الأهرام، 16 نوفمبر 2003، نقلاً عن: د. محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2008، ص 136.

(669) د. سهير عبد الباسط، مجتمع المعلومات دراسة في المفاهيم والخصائص والقياس، نقلاً عن: د. محمد فتحي عبد الهادي، المصدر السابق، ص 50.

اللذان بسطهما الدكتور شوقي جلال⁽⁶⁷⁰⁾ في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة إلا مثلاً يحتذى في طريقة التعامل والاحتواء لكل قادم جديد مبني على الفهم ومعرفة الأهداف وإمكانيات التعامل معه وطريقة اللعب حسب توصية مدربي لعبة الكاراتيه اليابانيين لطلابهم التي تقول (انحني أمام خصمك وكن كالغصن الطري ولا تقف كالخشب فتكسر)⁽⁶⁷¹⁾.

و(احتواء تأثير العولمة) عنوان فيه الكثير من التحدي والعزم على المعالجة بالطريق العقلي والعلمي السليم وفق مايناسب بينتنا العربية، ويستند إلى الإمكانيات الهائلة البشرية والمادية والمعنوية الكامنة لدى المجتمعات العربية، فهذه المجتمعات تستند إلى حضارة عريقة سادت العالم ثمانية قرون ولكن العرب أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتفرقوا فذهبت ريحهم، لكن ذلك يمكن أن يكون عبرة ودروساً مستقاة من التجربة المريرة للانطلاق من جديد ليأخذوا مكانتهم الطبيعية في عالم معولم أو غير معولم.

في هذا البحث سنتابع جهود الاحتواء للعولمة في الوطن العربي والآفاق المستقبلية في محاور السياسة والاقتصاد والتقنية.

أولاً- احتواء تأثير العولمة في الصعيد السياسي:

تمثل التأثيرات السلبية للعولمة في المجال السياسي تحديات كبيرة أمام الوطن العربي مجتمعات ودول وأفراد، ويتطلب ذلك اتخاذ مواقف وسياسات مبدئية رصينة مبنية على الفهم للظروف المحيطة ووضوح الأهداف من أجل احتواء هذه التأثيرات

⁽⁶⁷⁰⁾ د.شوقي جلال، الصين وكوريا الجنوبية: التجربة والمواجهة في عصر العولمة، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004، ص225.
⁽⁶⁷¹⁾ زار الباحث الصين في الأعوام 1984 و1985، فرأى أنهم قد نزعوا ملابس ماوتس تونغ وتحولوا إلى ورش عمل كخلايا النحل للانتظام ضمن عالم التقنية والتطور الحديث.

والقدرة على مواجهة التحديات، ونعتقد أن من أهم السياسات والخطوات اللازمة لذلك تتمثل في:

- 1- التمسك بسلطة الدولة والمجتمع.
- 2- التمسك بالخيارات الثابتة للأمة.
- 3- انتهاج طريق ملائم للحكم.

1- التمسك بسلطة الدولة والمجتمع:

في ظل ظروف العولمة، حيث انتقال الأفكار بسهولة في أرجاء الكون وسهولة الحصول على المعلومات والتقدم الهائل في وسائل الاتصال وتقنية المعلومات وظهور الشركات عابرة القارات ومحاولة بسط سلطتها على الدول، كل هذه العوامل وغيرها أدت بالبعض للقول أن سلطة الدولة آيلة للانقراض ولم تعد قادرة على بسط سيطرتها وسياساتها على إقليمها⁽⁶⁷²⁾.

والحقيقة التي لا جدال فيها ان هناك تأثيرات واضحة للعولمة على سلطة الدولة ودورها في المجتمع ولكن ما مدى قدرة الدولة على التعامل معها⁽⁶⁷³⁾:

1) يرى الدكتور محمد الأطرش أن دور الدولة لم يتلاشَ وماتزال الدولة تقوم بدور كبير في الاقتصادات القومية عدا أدوارها الأخرى في مختلف مجالات الحياة⁽⁶⁷⁴⁾. ويذكر كمؤشر على دور الدولة في المجال الاقتصادي بأنه خلال عام 1995 أنفقت الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية 33% من ناتجها

⁽⁶⁷²⁾ هورسمان وآخرون، مالعولمة، ص386-387، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص111.

⁽⁶⁷³⁾ المصدر نفسه، ص111.

⁽⁶⁷⁴⁾ د. محمد الأطرش، العرب والعولمة مالععمل، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص417.

المحلي الإجمالي، وفي ألمانيا 49%، وفي السويد 68%⁽⁶⁷⁵⁾. كما إن حجم الإنفاق في الكثير من دول العالم يتراوح بين النسب المذكورة أعلاه أو نسب أقل أو أكثر، فدور الدولة والقطاعات التابعة لها في الدول العربية النفطية مثلاً أكبر من ذلك بكثير من دورها في الدول العربية غير النفطية نظراً للدور الكبير الذي يمثله النفط في اقتصادات الدول الأولى ونظراً لأنها تمتلك هذا القطاع فإنفاق الدولة يؤدي إلى سيطرتها على جزء كبير من موارد المجتمع وإلى توجيهه لتحقيق الأهداف التي ترغب فيها، كما يؤثر ضمن عوامل أخرى في وضع ميزان مدفوعاتها على الحساب الجاري، ويعكس هذا الوضع إلى درجة كبيرة تدفق الاستثمارات منها وإليها، وعندما تتعرض منشآت القطاع الخاص للأزمات - كما يحدث في الأزمة المالية العالمية الراهنة- فإنها تلجأ إلى الدولة لحل مشاكلها وأزماتها والأمثلة على ذلك كثيرة، فخلال أزمات البورصات العالمية في أكتوبر 1987 تدخل المصرف المركزي الأمريكي بفعالية للحيلولة دون انهيار النظام المصرفي الأمريكي وخلال الأيام الأخيرة من عام 1997 أعلنت وزارة المالية اليابانية والمصرف المركزي الياباني عن دعمهما للمنشآت المالية المنهارة لتمكينها من تسديد التزاماتها المحلية والأجنبية، فأين إذن هو الانحسار أو التلاشي في دور الدولة ولعل من الصحيح القول بأنه خلال الفترة بين عامي 1840 و1914 كانت درجة الانحسار في دور الدولة أكبر بكثير لأنه لم تكن هناك سيادة لأقطار العالم الخاضعة للاستعمار⁽⁶⁷⁶⁾.

⁽⁶⁷⁵⁾ Inemyah of the Powerless State, P.13.

نقلاً عن: د.محمد الأطرش، المصدر نفسه، ص416.
⁽⁶⁷⁶⁾ المصدر نفسه، ص418.

(2) إن الغالبية الكبرى للشركات الدولية ليست شركات عولمة حقيقية، فأغلب القيمة المضافة حوالي 70 إلى 75 بالمئة من إنتاجها العالمي يتم في موطنها الأصلية كما إن أغلب أصولها الثابتة موجودة في الوطن الأم وأغلب مبيعاتها أو جزء كبير منها في الوطن الأم⁽⁶⁷⁷⁾. فهذه الشركات متجذرة في أوطانها تحتاج إلى الدولة في مجالات عديدة، فالدولة الأمريكية مثلاً وعلى أعلى المستويات تتدخل بتسويق إنتاج شركات السلاح لديها ونتيجة لذلك ليس لدى الدولة القومية أية مشكلة في ممارسة سلطاتها على الشركات المذكورة وفي حال عدم قيامها بذلك فإن السبب ليس ضعف الدولة وإنما نتيجة خيارات سياسية⁽⁶⁷⁸⁾، فضلاً عن ذلك من الصعب جداً على فروع هذه الشركات والموجودة في دول أخرى والتي تمثل استثمارات حقيقية أن تهدد الدولة المضيفة بإغلاق مصانعها أو فنادقها مثلاً وبخاصة إذا كان حجم السوق الذي تمارس نشاطها به كبيراً⁽⁶⁷⁹⁾.

وهكذا ستستمر الدولة في أداء دورها ووظيفتها ولكن وفق ظروف معينة هي ظروف العولمة وإن اختلفت طبيعة هذا الدور من دولة لأخرى ومن زمن إلى آخر بما يلائم مصالح مجتمعها ومن تكف الدولة عن التدخل لفرض سياسات معينة تراها مناسبة في جانب من جوانب الحياة⁽⁶⁸⁰⁾.

⁽⁶⁷⁷⁾ Paul Hirst and Graham Thompson, *Globalization in Question*, Cambridge, Policy Press, 1996, PP.96-98.

نقلاً عن: د.محمد الأطرش، المصدر نفسه، ص418.

⁽⁶⁷⁸⁾ المصدر نفسه، ص419.

⁽⁶⁷⁹⁾ المصدر نفسه، ص419.

⁽⁶⁸⁰⁾ د.محمد عبد الشفيق عيسى، الدولة والعولمة في الوطن العربي، في كتاب العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، نقلاً عن: د.عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص112.

ويرى الدكتور جلال أمين ان الدولة لم تختف وإنما طرأ تغير في وظائفها المنوطة بها تنفيذها فالمطلوب منها الآن جهداً دؤوباً لهدم الحواجز العالية التي سبق لمختلف الدول إقامتها طول نصف القرن العشرين الأخير، فقد كان من المهام الخطيرة للدولة الغربية استخدام كل ما بيدها من وسائل لتفكيك الاتحاد السوفيتي من أجل فتح الطريق أمام شركاتها العملاقة للدخول إلى السوق السوفيتي وأوروبا الشرقية الواسع والغني بالموارد البشرية والطبيعية، فالدولة لها مهام لا يستهان بها وضرورية لخدمة المصالح الحديثة للطبقات المسيطرة وليس أقل أهمية ما يجب أن تقوم به الدولة في العالم النامي⁽⁶⁸¹⁾.

إن البشرية تمر بطور جديد في تاريخها، تريد فيه القوى الكبرى استثمار ظروف العولمة لتأكيد هيمنتها وفرض سلطانها ولن تتردد في هذا السبيل في الترويج لأفكار يكون من شأنها غل يد الدول وشل قدراتها على التحكم والسيطرة في نطاق إقليمها لفائدة تلك الدول الكبرى وشركاتها، ولذلك ينبغي على كل دولة أن تتعامل مع هذه الأفكار بالحدز الواجب وبعين الريبة ولكن أيضاً بالجدية المناسبة، وفي مجتمعاتنا في الوطن العربي علينا أن ندرك أهمية أن تظل الدولة قادرة على رسم وفرض السياسات والممارسات التي تضمن تحقيق مصالح الأمة، وكل ذلك بافتراض ان هذه السلطة في المجتمعات هي السلطة المعبرة عن إرادة الجميع وجاءت باختياره وإرادته الحرة⁽⁶⁸²⁾.

2- التمسك بالخيارات الثابتة للأمة:

⁽⁶⁸¹⁾ د. جلال أمين، العولمة والدولة، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص160.
⁽⁶⁸²⁾ د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص113.

لكل أمة خياراتها الاستراتيجية والثابتة التي تحددها عوامل متعددة ومتداخلة مثل المرجعية الدينية والانتماء الحضاري والموقع الجغرافي وظروف واقع الأمة، والتمسك بالخيارات الثابتة للأمة والتمسك بها هو العاصم من مخاطر التيه في تقنيات السياسات الأمنية، ولاشك أن للوطن العربي والمجتمع العربي خياراته الثابتة وأهدافه العليا والتي لاينبغي التهاون بشأنها واعتبارها خطوطاً حمراء لاينبغي تجاوزها⁽⁶⁸³⁾، ومن أبرز هذه الخيارات هي:

أ- العقيدة الإسلامية.

ب- الوحدة السياسية للأمة العربية.

(683) المصدر نفسه، ص113.

أ- العقيدة الإسلامية:

ندرك جميعاً أن المكون الأساسي لهذه الأمة هو الإسلام عقيدة وشريعة وان الحياة في مجتمعاتنا العربية لا بد لها أن تتوافق بالضرورة مع تعاليم الدين السمحاء وأي مجافاة لهذا الدين مآله الخسران والتهيه والضياع⁽⁶⁸⁴⁾.

وهذا الموضوع لا يحتاج إلى شرح ومراجع، فقد اعتنقه العرب منذ بعثة الرسول العربي (ص) وبه انتصروا وأقاموا حضارتهم الأخلاقية والعلمية التي استفادت منها كل أمم الأرض وأولها أمم العولمة نفسها، وهو آخر رسالة سماوية حملها العرب إلى العالم وشريعة متكاملة وقاتلتهم الأمم عليه ليطفئوا نور الله ((والله متم نوره ولو كره الكافرون)) الآية، وعندما بدأ العرب بالتخلي عنه بدأت انتكاستهم الكبرى ولن ينتصروا إلى بالعودة إلى الله وإلى الإسلام ((إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) الآية⁽⁶⁸⁵⁾.

ب- الوحدة السياسية للأمة العربية:

إن التحديات التي تفرضها العولمة على الوطن العربي تجعل من الصعوبة بمكان على أية دولة مواجهتها والتعامل معها بإيجابية بشكل منفرد ولاشك أن تجزئة الأمة الذي وقع بموجب اتفاقية سايكس-بيكو سيئة الصيت بعد الحرب العالمية الأولى، قد أفقد الأمة العربية أهم شروط نجاحها في مشروعها النهضوي، وتزداد أهمية وحدة الأمة في ظل أوضاع العولمة وتحدياتها، ولا جدال في أن أمل الوحدة يحظى بشعبية طاغية لدى أبناء الأمة جميعاً وتتوق الغالبية العظمى منهم إلى هذا الأمل بشوق كبير⁽⁶⁸⁶⁾. ولكن تحقيق وحدة الأمة ليس أمراً سهلاً في ظل عوائق

(684) المصدر نفسه، ص113.

(685) الباحث.

(686) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص116.

داخلية وخارجية كبيرة، وكما يحقق العرب تفاعلاً إيجابياً خلاقاً مع تجليات التقدم الهائل والمتسارع للعلم والتقانة فهم مطالبون أولاً بالتكامل القومي ومطالبون ثانياً بالتوجه للتحديث والديمقراطية والتنمية البشرية⁽⁶⁸⁷⁾، فهل دول العولمة وعلى رأسها الولايات المتحدة مع اتجاهات العرب هذه أم ان ذلك يتناقض مع الاستراتيجيات الأمريكية وتناقضاً عدائياً مع حليفتها إسرائيل؟ يرى الدكتور علي الدين هلال ومن خلال الاستشهاد بوثائق أمريكية أن الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية لها خمسة أهداف رئيسة هي⁽⁶⁸⁸⁾:

- 1- رفض الوحدة العربية.
- 2- تحجيم الدور القومي لمصر.
- 3- دعم تفوق إسرائيل وضمائه وتفنتيت الموقف العربي إزاءها.
- 4- ضمان تدفق النفط بأسعار مناسبة والتحكم في تدوير عوائده.
- 5- فتح الأسواق العربية للبضائع والتقانة والثقافة الأمريكية⁽⁶⁸⁹⁾.

إن اتخاذ أية مواقف سياسية أو أيديولوجية من العولمة لا يخدم أبداً تفكيرنا في الوطن العربي ومصيرنا القادم ولا يمكن لأي متطفل على الموضوع أن يعبر عن هذه المواقف لأنه سيضر بالضرورة بحياتنا الفكرية، كما إن تفكيرنا العربي بحاجة ماسة فعلاً إلى قراءات معمقة لظاهرة العولمة والقوى التي تقف وراءها ونقد جوانبها وتجاربها ليس على ضوء مايفرزه الواقع القائم عندنا بل على ضوء مايتوصل العالم كله إليه من منتجات بحثية، وإن بقاء العرب في غمار مجادلاتهم الفكرية وانقساماتهم الايديولوجية وتجزئتهم السياسية واستلاباتهم الاقتصادية هو كفيل بتعرضهم إلى

⁽⁶⁸⁷⁾ المصدر نفسه، ص116.

⁽⁶⁸⁸⁾ المصدر نفسه، ص117.

⁽⁶⁸⁹⁾ نقلاً عن: عوني فرسخ، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص276.

المزيد من الضعف والتخلخل والتمزقات والانهيارات، أمام التطورات العولمية الكبيرة⁽⁶⁹⁰⁾.

ومع ذلك أيضاً على العرب أن يدركوا انه لا طريق آخر أمام الأمة لاستغلال إمكانياتها المتاحة واستعادة دورها المفقود إلا في ظل الوحدة، إن بقاء حالة التجزئة لا يكرس فقط هذا الوضع الخاطئ ولكنه قد يقود في ظل أوضاع العولمة إلى المزيد من التجزئة والتفتيت والتشردم داخل هذه الدول القائمة ذاتها⁽⁶⁹¹⁾.

3- انتهاج طريق ملائم للحكم:

يتطلب مناخ العولمة أنظمة سياسية قادرة على التعامل مع مقتضيات هذا المناخ وتحدياته، ففي زمن العولمة تنكشف عورات الأنظمة السياسية المتخلفة وتبرز سوءاتها بصورة أكثر وضوحاً، ولن تصمد تلك الأنظمة المتخلفة كثيراً أمام التحديات التي يفرضها تيار العولمة. لقد خاضت البشرية تجارب طويلة ومتعددة ومريرة في البحث عن نظام سياسي أرقى وأكثر كفاءة لإدارة شؤون المجتمع⁽⁶⁹²⁾. ويبدو الآن أن شكل النظام السياسي المناسب والأرقى هو النظام الذي يقوم على اختيار الحاكم بالانتخاب الحر من قبل أفراد المجتمع والذي يحفظ للأمة قدرتها على مراقبة الحاكم في أدائه لعمله وإمكانية خلعها عندما تقتضي المصلحة العامة ذلك، ومنح الحرية للناس للتعبير عن آرائهم السياسية والحق في تنظيم أنفسهم في تنظيمات تحمل رؤى برامجية مختلفة لإدارة شؤون المجتمع وتكون الفرصة متاحة أمام كل منها للوصول

⁽⁶⁹⁰⁾ سيار الجميل، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص 42-43.

⁽⁶⁹¹⁾ د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص 117.

⁽⁶⁹²⁾ المصدر نفسه، ص 115.

إلى السلطة إذا حظيت بأصوات الناخبين التي تؤهلها لذلك على أساس مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع⁽⁶⁹³⁾.

إن هناك مؤشرات قوية تدل على أن العولمة تيار يقود إلى مزيد من التسلط على المستوى المحلي والعالمي وأغلب البلدان العربية مرشحة للتعرض إلى أشكال متقدمة من التسلط مع وجود أدوات الديمقراطية ولكن دون ضمانات دستورية حقيقية⁽⁶⁹⁴⁾، فإذا كانت الديمقراطية هي الشرط الضروري لتعبئة الشعب العربي فسوف ننتظر وقتاً طويلاً قبل أن يتحقق هذا الشرط وهناك دعوات تنادي بالديمقراطية في آسيا وأفريقيا والوطن العربي ولكنها ترفض الديمقراطية على النمط الغربي باعتبار أن الديمقراطية ليست حكراً على الغرب، فنحن بحاجة إلى مواجهة أوضاعنا الحقيقية وظروف معيشتنا وعلاقتنا بالآخرين بأحاسيس واعية⁽⁶⁹⁵⁾.

فإذا كان يبدو أن النظام الديمقراطي هو الأكفأ في هذا العصر فإن التطبيق السليم له هو العاصم من الاستبداد سواء كان عن طريق الأفراد أو الجماعات، وهو القادر على تصحيح الأخطاء التي يمكن أن تحدث، والذي يجب أن يكون عليه الوضع في الوطن العربي هو التطبيق الحقيقي لهذا النظام دون إفراغه من مضامينه الحقيقية كما هو سائد اليوم في كثير من الدول العربية التي تدعي تطبيق هذا النظام⁽⁶⁹⁶⁾.

إن قيام هذا النظام السياسي المنشود لن يتجسد إلا في إتاحة الفرصة لأفراد المجتمع المشاركة الفاعلة في الحياة العامة والتعبير عن آرائهم وأفكارهم بكل حرية وإمكانية تداول السلطة بين القوى السياسية الفاعلة من أحزاب وأفراد من خلال

(693) المصدر نفسه، ص116.

(694) المصدر نفسه، ص116.

(695) خلدون النقيب، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص448-449.

(696) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص116.

انتخابات عامة تتوفر لها ضمانات حرية المشاركة للناخبين والمرشحين وتتم إجراءاتها بكل شفافية ونزاهة. ان هذا النظام هو القادر على الوفاء باستحقاقات هذه المرحلة من تاريخ أمتنا ووطننا العربي وفي ظل مثل هذا النظام يمكن مواجهة تحديات العولمة واحتواء تداعياتها⁽⁶⁹⁷⁾.

ثانياً- احتواء تأثير العولمة في الصعيد الاقتصادي:

إن تأثير العولمة في الصعيد الاقتصادي واسع وخطير لأنه يعكس حياة المجتمع المباشرة وبشكل يومي سواء في العمل أو ظروف المعيشة. ورغم الإمكانيات المتواضعة في الوطن العربي يمكن السعي بجدية وصبر للعمل على احتواء هذا التأثير مأمكن ذلك وعدم ادخار أي جهد يؤدي إلى نتائج إيجابية في المعالجة الهادفة. ونجد انه يمكن التخفيف من حدة التأثير واحتوائه إذا تم العمل بالمفردات التالية:-

1- توطين التقانة.

2- التركيز على الأنشطة الاقتصادية الاستراتيجية، الزراعة، الإنشاءات، صناعة البرامجيات، الاهتمام بالبحث والتطوير.

3- العمل على إقامة التكامل الاقتصادي العربي.

1- توطين التقانة:

في ظل ظروف العولمة فإن الاقتصاد القادر على مواجهة مخاطرها هو الاقتصاد القادر على المنافسة المعتمد على قاعدة صناعية تدعمها ثقافة عالمية، ولا مجال لأية دولة تريد أن تحقق تنمية اقتصادية حقيقية إلا أن تركز جهودها لإقامة بنية

⁽⁶⁹⁷⁾ المصدر نفسه، ص117.

أساسية قادرة على استيعاب التقانة المتقدمة وتوطينها وتراكم خبرتها بها لتطويرها باستمرار بحيث تصبح كل جهود المجتمع هي الحصول على التقانة واستيرادها من الغير، بل الأهم من ذلك توفير المناخات الملائمة لتوطينها وتطويرها استعداداً للمنافسة⁽⁶⁹⁸⁾.

إن التقدم التقني أهم بكثير جداً مما كنا نظم كمصدر للنمو الاقتصادي في الدول المصنّعة وهو مسؤول عن أكثر من نصف هذا النمو وهو مصاحب للتكوين الرأسمالي وليس محايداً أو حافزاً لزيادة العمالة أي مزايا التقدم التقني تزداد بازدياد مستوى الرصيد الرأسمالي للمجتمع وبهذا يصبح رأس المال والتقدم التقني متكاملين⁽⁶⁹⁹⁾. ولذلك تولي الدول جل اهتمامها بالتقانة المتقدمة وتقوم بتهيئة كل الظروف لامتلاك ناحية التقنية الحديثة، بتعهد المؤسسات العاملة في هذا المجال بالرعاية وبذل جهودها لاكتساب ونقل التقنيات إليها بكل الوسائل المتاحة. وفي واقع الوطن العربي فإن العنوان البارز للتخلف هو التخلف التقني حيث نقف في قطار البشرية السائرة في هذا الاتجاه وآية ذلك أن مجتمعاتنا لم تُبدِ حتى الآن الحد الأدنى من التجاوب المطلوب للتفاعل مع ما يشهده عالم اليوم من ثورة تقانية تنطلق في متوالية هندسية تجعل من الصعوبة بمكان مواكبة نموها وتطورها السريع. ويمكن قياس تطور القدرات الذاتية في مجال التطور التقني بمعايير شتى من أهمها:

(1) نسبة "براءات الاختراع" المنجزة محلياً لكل ألف من السكان.

(2) نسبة "براءات الاختراع" المستوردة إلى نسبة براءة الاختراع المحلية.

(3) نسبة الإنفاق على "البحوث والتطوير" R. & D. إلى الناتج المحلي.

(698) د. عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص 68.

(699) د. أسامة أمين الخولي، في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص 122.

4) تطوير رصيد "ميزان المدفوعات التقاني" من حيث الصادرات والواردات التقانية، إذ كلما انخفض حجم العجز في هذا الميزان كان ذلك دليلاً على درجة التقدم في الاعتماد التقاني على الذات.

5) تطور نسبة "المكون المحلي" من المدخلات التقانية إلى جملة المدخلات التقانية⁽⁷⁰⁰⁾.

ويرى عبد الإله الديوه جي أن الإخفاق قد صاحب معظم برامج نقل التقانة وتوطينها في المنطقة العربية، وعلى الرغم من أن مفاهيم نقل وتوطين التقانة قد تغيرت خلال العقود الماضية بسبب إعادة تكييف وهيكله التقانات المؤثرة في الدول المتطورة إلا أن معظم الدول النامية، وبالأخص الدول العربية، مازالت تناقش المؤثرات والعوامل التقليدية لنقل التقانة وتوطينها وتستخدم النماذج والمنظومات التي تعاملت معها قبل ثلاثة عقود وأخفقت في تطبيق أي منها⁽⁷⁰¹⁾. وهي نماذج تميل لها دول التخطيط المركزي لبساطتها الظاهرية في مراحل إعداد الخطط، لكنها صعبة التنفيذ والمتابعة في المراحل اللاحقة وقد تأثرت أساليب نقل التقانة وتوطينها في العالم مؤخراً بأمرين:

1. انتشار فروع ومصانع الشركات متعددة الجنسية.

2. وتغير القوة المؤثرة إلى القوة المعرفية بدلاً من القوة الصلبة⁽⁷⁰²⁾.

فيما يرى الدكتور أنطوان زحلان أن البلدان العربية قد سعت منذ استقلالها إلى التخلص من علاقات التبعية مع مستعمراتها السابقين، وقد استثمرت هذه البلدان

⁽⁷⁰⁰⁾ نقلاً عن: د. محمود عبد الفضيل، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص 403-

404.

⁽⁷⁰¹⁾ عبد الإله الديوه جي، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق، ص 123.

⁽⁷⁰²⁾ المصدر نفسه، ص 123.

بكثافة في التعليم والبنى التحتية إلا أنها أخفقت في تطوير أنظمتها الوطنية للعلم والتقانة، وقد أدى التجاهل المنتظم للارتباطات الممتدة خلفياً المتعلقة بإجمالي تشكيل رأس المال الثابت إلى تصدير التوظيف المتعلق بهذه الاستثمارات أو عامل المضاعف المرتبط بمعظم الاستثمارات في البلدان العربية يكاد يكون صفرًا أو هو سلبي وهذا هو الحال بوجه خاص في مشاريع البنى التحتية التي تستخدم شركات استشارة وهندسة وتصميم أجنبية وعمالة أجنبية ومعدات وتجهيزات مستوردة أو في التصنيع الذي يعتمد على استيراد معدات رأسمالية وقطع غيار وتجهيزات وخدمات تقنية⁽⁷⁰³⁾. ومع ذلك فليس هناك في دراسة التطورات الاقتصادية في منطقة (الاسكوا) الصادرة عام 1997 عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أوروبا (اسكوا) التابعة للأمم المتحدة، ولا في التقارير الموحدة السنوية الصادرة عن الجامعة العربية والصندوق العربي للتنمية الاجتماعية والاقتصادية وصندوق النقد العربي ومنظمة البلدان العربية المصدرة للنفط (اوابك) ولو حتى لذكر مواضيع مثل الابتكار الصناعي داخل الوطن العربي أو التغيير التقني أو القيمة المضافة من قبل العمال العرب أو اتجاهات إنتاج العمالة. وهذه الأمور كلها مؤشرات رئيسة للمجتمعات الصناعية. والأساس الذي تبنى عليه تقانة المعلوماتية هو صناعة الكترونييات راسخة. ومن دون هذا لما كان في الإمكان تطوير تقانة المعلوماتية إلى ما هي عليه الآن ويترتب على أي بلد يهتم جيداً بمكان له في الهيكل الصناعي الطالع للاقتصاد العالمي أن يجد لنفسه مشكاة ضمن صناعة الالكترونييات⁽⁷⁰⁴⁾.

(703) أنطوان زحلان، صناعة الإنشاءات العربية، ترجمة: عطا عبد الوهاب، نقلاً عن:

انطوان زحلان في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص86.

(704) أنطوان زحلان، العولمة والتطور التقني، في كتاب العرب والعولمة، مصدر سابق،

ص86-87.

إن لدى بعض الدول العربية قدرات مالية كبيرة، ويتم تنفيذ مشاريع ضخمة تعتمد على التقنية المتقدمة الأجنبية. وبالإمكان الاستفادة من هذا الوضع في نقل التقنية الحديثة المرتبطة بهذه المشاريع، ومن ثم توطئها وتطويرها وتطويرها لاحتياجات الوطن العربي بجهود أبنائه إلا أن الواقع، للأسف، بعيد عن هذا الاتجاه، فمع أن المنطقة العربية كانت خلال الخمسة عشرة سنة الأخيرة من القرن العشرين قد استثمرت حوالي ألفي مليار دولار أمريكي في إجمالي تشكيل رأس المال الثابت⁽⁷⁰⁵⁾، إلا أن الطريقة التي يتم فيها بناء المشاريع هي طريقة تسليم المشاريع جاهزة ومكتملة (turn-key) من الشركات الأجنبية من دون أي تعرف على التقانة المستخدمة في هذه المشاريع، ويتم التعاقد لتنفيذ مشاريع البنية الأساسية من دون الاهتمام بنقل التقانة الخاصة بهذه الصناعات والأعمال فتظل البلاد العربية في حالة تبعية دائمة للشركات الأجنبية المالكة للتقنية في هذه المجالات⁽⁷⁰⁶⁾. إن السعي لتوطين التقانة في الوطن العربي يجب أن يكون من أهم الأهداف التي يجب على المجتمعات العربية السعي لإنجازها وتوفير أسباب الوصول إلى نتائج مثمرة فيها، سيما وإن الوطن العربي لا يفتقر إلى الكادر البشري المؤهل علمياً لمثل هذه المهمة مع إعادة تدريبه وتأهيله وفق المتطلبات العصرية، ويجب معالجة المناهج في المدارس والجامعات وإيقاف نزوح العقول العربية إلى الخارج والعمل على ضرورة تطوير النظم Systems التي تستوعب البحث العلمي وربطه مع حركة المجتمع التنموية والتطويرية وتطوير الأنظمة الإدارية وأخيراً تطالب كل من هدى جمال عبد الناصر وليلى شرف بالتكامل العربي ليكون الأساس لخلق حركة علمية بحثية ولا بد

(705) المصدر نفسه، ص95.

(706) المصدر نفسه، ص95.

منه لتوفير الإمكانيات المادية الباهظة التي لا قبل لدولة من دولنا وحدها بتأمينه،
ولتوسيع رقعة التواصل والتكامل في مجتمع البحث العلمي العربي⁽⁷⁰⁷⁾.

2- التركيز على الأنشطة الاقتصادية الاستراتيجية:

هناك الكثير من النشاطات الاقتصادية المهمة والاستراتيجية التي يمكن أن
تتمتع فيها بالقدرة على المنافسة، كما إن هناك الكثير من النشاطات الاقتصادية التي
يمكن أن يعيش عليها ومنها المواطن العربي ومنها:

أ- النشاط الزراعي:

تعتبر البلاد العربية من بلدان العالم المنتجة زراعياً بسبب توفر الأرض
الزراعية الخصبة التي تسقى سيقاً من الأنهار وتلك الصالحة لزراعة الديوم في
بعض مناطق خطوط الأمطار، وفي فترة تركيز الوطن العربي على الزراعة بعد
منتصف القرن العشرين كان الوطن العربي يصدر الحبوب والقطن والفواكه، ولكن
مع إهمال الزراعة وتحول المزارعين إلى مستهلكين وهجرة أبناءهم إلى المدن
أصبحت البلدان العربية⁽⁷⁰⁸⁾ مستوردة رئيسة للأغذية والمنتجات الغذائية حتى
وصلت قيمة ماتستورد أواخر القرن العشرين 25 مليار دولار سنوياً⁽⁷⁰⁹⁾. وكان
يمكن توفير هذه المبالغ الضخمة وتسخيرها للتنمية لو أن إرادة المتوجه نحو الزراعة
قد توفرت لأنه يمكن توفير شروط الزراعة الضرورية ضمن إمكانيات الوطن
العربي الذاتي⁽⁷¹⁰⁾.

⁽⁷⁰⁷⁾ هدى جمال عبد الناصر وليلى شرف، في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص143-

144.

⁽⁷⁰⁸⁾ د.أنطوان زحلان، العولمة والتطور التقني في العرب والعولمة، مصدر سابق،

ص101.

⁽⁷⁰⁹⁾ المصدر نفسه، ص101.

⁽⁷¹⁰⁾ الباحث.

ب- الإنشاءات:

إن أكبر النشاطات الاقتصادية في الوطن العربي بعد الزراعة هو قطاع الإنشاءات، حيث يشكل حجم الاستثمار في مجال المباني والإنشاءات في الوطن العربي ما يعادل 50% من حجم الاستثمار بشكل عام⁽⁷¹¹⁾، حيث ينفق نحو 130 مليار دولار سنوياً في هذا النشاط وينفق أكثر من 70% من هذا المبلغ خارج الاقتصادات العربية على استيراد العمالة والخدمات التقنية والاستشارية والتعاقدية والمعدات وكلفة النقل والخدمات المالية، وبالإمكان توفير 80-90% من هذه الواردات على الأقل من داخل الوطن العربي وسيعني ذلك توفير زهاء 70% مليار إلى 80% مليار دولار سنوياً تتسرب حالياً خارج الوطن العربي⁽⁷¹²⁾، ولنا أن نتصور حجم ما سيعود به مثل هذا العائد في تحسين الأداء في هذا النشاط من ناحية وفي فرص العمل التي ستيحها.

إن الولوج بقوة في هذا النشاط يمكن أن يكون في نطاق قدراتنا وإمكانياتنا داخل الوطن العربي فليس من المستحيل إقامة شركات مقاولات عربية كبرى تكون قادرة على القيام بمهمة البناء والتشييد في مختلف الدول العربية وتنتقل من دولة إلى دولة بكامل أطقمها الفنية والاستشارية. ويمكن توفير ذلك لو توفرت الإرادة والنوايا الحسنة⁽⁷¹³⁾.

ج- صناعة البرامجيات:

⁽⁷¹¹⁾ د. عمرو محي الدين، في العرب والعمولة، مصدر سابق، ص 147.
⁽⁷¹²⁾ د. أنطوان زحلان، العمولة والتطور التقني، في العرب والعمولة، مصدر سابق، ص 101.
⁽⁷¹³⁾ د. عبد الرشيد عبد الحافظ، العمولة وآثارها السلبية، مصدر سابق، ص 74.

من النشاطات الاقتصادية والهامة والحديثة هو الاستثمار في مجال البرمجيات وتقنية المعلومات وبتزايد حجم الاستثمار في هذا المجال بشكل مطرد لدرجة يتوقع معها أن يتجاوز حجم الاستثمار في مجال البرمجيات حجم الإنفاق على العتاد المادي⁽⁷¹⁴⁾. وقد زاد الإنفاق العالمي على تقنية المعلومات والاتصالات من 202 تريليون دولار عام 1999 إلى 3 تريليون عام 2003م⁽⁷¹⁵⁾. وقد تنبعت لهذا الأمر دول عديدة مثل الهند التي اتجهت إلى تعزيز قدراتها في هذا المجال وقد حققت نجاحاً باهراً ومطرداً في هذا الاتجاه، ففي عام 1999 ولدت صناعة تقنية المعلومات للهند 7.7 مليار دولار وارتفعت الصادرات من 150 مليون عام 1990 إلى زهاء 4 مليار دولار عام 1999، ومن المتوقع أن يصل إلى 50 مليار دولار مع حلول عام 2008، ولدى الهند الآن 1250 شركة تصدر البرمجيات وتحصل 185 شركة من بين الخمسمائة شركة رئيسة في العالم على احتياجاتها من البرمجيات من الهند⁽⁷¹⁶⁾.

إن من الأهمية بمكان التركيز على هذا المجال من مجالات النشاط الاقتصادي وتوفير البنية الملائمة لازدهاره والإفادة من ميزتين في الوطن العربي ميزة السوق العربية الواعدة وحاجتها إلى برامج باللغة العربية وستكون الشركات العربية هي الأقدر على القيام بهذا الدور والميزة الأخرى قدرة المبرمجين العرب على المنافسة مع الأجانب نظراً لأن المستوى المعيشي في البلاد العربية واطىء بما يعاني رضا المبرمج العربي الحصول على أجر أقل مما يطلبه مثيله الأجنبي⁽⁷¹⁷⁾.

(714) د. محمود عبد الفضيل، في العرب والعولمة، مرجع سابق، ص 131.
(715) تقرير التنمية البشرية للعام 2001، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، العولمة وآثارها السلبية، مصدر سابق، ص 75.
(716) تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة للعام 2001، نقلاً عن: د. عبد الرشيد عبد الحافظ، المصدر السابق، ص 76.
(717) المصدر نفسه، ص 76.

د- الاهتمام بالبحث والتطوير:

إن تطور التقنية ونمو الإنتاجية في النشاطات المختلفة هو بلا شك ثمرة جهود حثيثة في البحث والتطوير في كل تلك النشاطات، وقد زادت أهمية البحث والتطوير في العصور الحديثة نتيجة للمنافسة الشديدة بين المنتجين والمصنّعين والتطور المتسارع في التقنيات على نحو لم يسبق له مثيل وبالذات في تقنية المعلومات والحاسبات حتى قيل أن قدرات الحاسبات تتضاعف كل 18 شهراً تقريباً وأصبحت نتائج البحث والتطوير هي العصا السحرية التي تؤهل المتفوقين فيها للريادة وإحراز قصب السبق في المنافسة المحمودة بينهم، وللدلالة على أهمية البحث العلمي فإن 500 مليار دولار تقريباً تنفق سنوياً على البحث والتطوير⁽⁷¹⁸⁾ وهو أكثر من الناتج الاقتصادي للدول الثلاثين الأكثر فقراً في العالم⁽⁷¹⁹⁾.

ومع هذه الأهمية للبحوث العلمية وتزايد أهميتها يوماً بعد يوم إلا أن واقع البحث العلمي في مجتمعاتنا شديد البؤس ويعكس بوضوح واقع التخلف الذي نعيشه في حياتنا كلها وبؤس مزدوج له وجهان⁽⁷²⁰⁾:

1- **الوجه الأول:** يتمثل في ضعف الأبحاث العلمية التي ينشرها العلماء في الوطن العربي.

2- **الوجه الثاني:** عدم القدرة على الاستفادة من نتائج هذه البحوث العلمية بصورة مناسبة، بل الغالب أنه لا ارتباط بين إجراء البحوث العلمية وبين

(718) د.أنطوان زحلان، العولمة والتطور التقني- في العرب والعولمة، مرجع سابق، ص86.

(719) تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة للعام 2001، نقلاً عن: د.عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص77.

(720) المصدر نفسه، ص77.

وضع نتائج هذه البحوث موضع التطبيق والعلاقات بين الشركات العربية ومؤسسات البحث العلمي مفقودة وغير قائمة في الواقع (721).

ويرى الدكتور أنطوان زحلان ان قاعدة التقانة العربية محدودة ولهذا تقوم حاجة دائمة للتفاعل مع الأسرة الدولية في هذا الخصوص كما إن رأس المال للمهارات التقانية للعلماء والمهندسين العرب هو في حدود 20 مليار و30 مليار دولار ولا تجري الاستفادة من معظم هذه الكفاءة التي يؤدي تطبيقها إلى تحسين الأداء الاقتصادي وزيادة إجمالي الناتج الوطني وخفض التبعية التقانية وزيادة التوظيف والمساعدة في إيجاد سوق دولية للخدمات العربية في التقانة (722).

3- التكامل الاقتصادي العربي:

أ- المسيرة التاريخية:

بعد منتصف القرن العشرين بدأ الوطن العربي يدرك أهمية أن يكون هناك تقارب اقتصادي أو غيره للمصلحة القومية التي تقتضي الحماية ونجمل هذه المحاولات فيما يلي (723):-

1- ميثاق الجامعة العربية: يعتبر الميثاق الوثيقة التأسيسية الأولى لجامعة الدول

العربية عام 1945 وهو يعتبر السند القانوني لكافة الاتفاقات الجماعية التي

عقدت في إطار الجامعة العربية وقد نص الميثاق في مادته الثانية على أن

الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق

(721) د.أنطوان زحلان، العولمة والتطور التقني، في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص98.

(722) المصدر نفسه، ص98.

(723) د.ثامر محمود العاني، التكامل الاقتصادي العربي والعلاقة بين الاستثمار والطاقة الاستيعابية للاستثمار في الوطن العربي، في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج4، بيت الحكمة، بغداد، 2002، ص16-21.

خطتها السياسية والتعاون فيها تعاوناً وثيقاً في الشؤون الاقتصادية والمالية والتبادل التجاري والجمارك والعمل وأمر الزراعة والصناعة وشؤون المواصلات.

2- **معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي**: أبرمت هذه المعاهدة عام 1950 إثر قيام إسرائيل، وقد شكل ذلك التحدي الأول للأمن القومي العربي، وقد أدركت الدول العربية ان أي تحالف بينها لن يصمد إذا لم يسنده تعاون اقتصادي فيما بينها فضمنت المعاهدة بنداً يهتم بالتعاون الاقتصادي⁽⁷²⁴⁾.

3- **اتفاقية تسهيل التبادل التجاري**⁽⁷²⁵⁾: اهتمت هذه الاتفاقية لعام 1953 بصفة أساسية في منح التفضيلات الجمركية بشكل إعفاءات من الرسوم الجمركية للسلع الوطنية بين الدول العربية، وقد نصت الاتفاقية على إعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية من رسوم الاستيراد.

4- **المرحومة السوق العربية المشتركة**: في شهر آب/أغسطس عام 1964 اتخذ مجلس الوحدة الاقتصادية في مقر جامعة الدول العربية قراره بإنشاء (السوق العربية المشتركة) في سبيل دعم الجهود المبذولة للتكامل الاقتصادي ومحاكاة للسوق الأوروبية المشتركة التي أنشئت عام 1958. (ثم نام العرب بعد ذلك لمدة خمسة عشر عاماً)

5- **ستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك وميثاق العمل الاقتصادي القومي (اسم يهز الدنيا)**: في مؤتمر القمة العربية عام 1980 وقعت هاتين الورقتين وهما أول اتفاقيتين يتم إقرارهما على مستوى القمة العربية، ثم نالت هذه الوثائق نصيبها من الإهمال والاندثار وعدم الالتزام بتطبيقها من

(724) المصدر نفسه، ص17.

(725) المصدر نفسه، ص18.

قبل الدول العربية كباقي ماسبقها من اتفاقيات ولم يشفع لها انها أقرت من قبل القمة العربية⁽⁷²⁶⁾.

6- اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بين الدول العربية: أبرمت عام 1981 وتضمنت إقامة (منطقة تجارة حرة عربية) تقوم على حرية انتقال السلع بشكل متدرج، لكن الدول العربية (تلكأت) في تطبيقها وبعضها طالب (بإعادة النظر) بالاتفاقية⁽⁷²⁷⁾.

7- البرنامج التنفيذي لاتفاقية التبادل التجاري بين الدول العربية و(تنميته) لعام 1995⁽⁷²⁸⁾.

ب- الظروف الضاغطة:

مع بداية انتشار العولمة في سبعينات القرن العشرين بدأ العالم يشهد تغيرات ومتغيرات تتزايد وتيرة تدفقها إلى درجة إرباك متخذ القرار العام والخاص في البلدان المتقدمة والنامية على حدٍ سواء، والوطن العربي كجزء من هذا العالم يدرك أن خصوصياته تواجه وضعاً جديداً وصعباً -وكما ضحك العرب على أنفسهم وعلى بعضهم بعضاً طوال أكثر من 50 سنة أخذوا يركضون اليوم سريعاً للتعامل مع الوضع الجديد الذي لم يستعدوا له كما يجب- عسى أن يتفادوا السلبيات وعدم الشعور بالمسؤولية واللامبالاة⁽⁷²⁹⁾. ويتعرض الوطن العربي في الوقت الحاضر إلى ضغوط هائلة لا قبل لمواجهتها من قبل الدول العربية منفردة ومن هذه الضغوط:

(726) د. ثامر محمود العاني، مصدر سابق، ص 19.

(727) المصدر نفسه، ص 19.

(728) المصدر نفسه، ص 21.

(729) د. ثامر محمود العاني، مصدر سابق، ص 22.

1- **العولمة الاقتصادية:** تسعى العولمة الاقتصادية إلى دمج الأسواق العالمية وتوحيدها وتكثيف المبادلات من حيث السلع والخدمات والأموال والأفكار والمعلومات والاتصالات في إطار حرية الأسواق المفتوحة والمنافسة الحرة، لذلك لا بد من عمل عربي مشترك في ظل هذه المتغيرات، فجهود الدول العربية منفردة لا تستطيع مواجهتها من أجل تحقيق المكاسب والتخفيف من الآثار السلبية في ظل التوجه العالمي نحو التكامل والتكامل وعليه لا يحد من التكامل العربي⁽⁷³⁰⁾.

2- **منظمة التجارة العالمية:** قامت هذه المنظمة بموجب اتفاقية مراكش عام 1994 ودخلت حيز التنفيذ عام 1995، ويتسع نشاطها إلى حوالي 90% من حجم التجارة العالمية، وقد بلغ عدد الدول العربية التي انضمت إليها إحدى عشرة دولة وبقية الدول العربية في طريقها إلى الانضمام إليها⁽⁷³¹⁾. وهناك معادلة في الانضمام لهذه المنظمة تقول أن سلبات المنظمة تشمل الأعضاء وغير الأعضاء ولكن إيجابياتها تشمل غير الأعضاء فقط، فالدخول إليها مشكلة وعدم الدخول إليها مشكلة لذلك لا بد من إقامة التكامل الاقتصادي العربي ليكون عازلاً وحبل إنقاذ يعصم الوطن العربي، ويعطي القوة (للمفاوض العربي) في المنظمة على كافة الاتفاقيات والقضايا قيد المناقشة⁽⁷³²⁾.

3- **الشراكة الأوروبية-المتوسطية:** إن التكافؤ بين الطرفين الأوربي والعربي مفقود اقتصادياً في هذه الشراكة، وتتقابل كتلة أوروبية موحدة ومتماسكة أمام

(730) د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص 22.

(731) عبد الرحمن السحبياني، التكامل الاقتصادي (منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى)،

الكويت، 2000، نقلاً عن: د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص 23.

(732) المصدر نفسه، ص 22.

دول عربية منفردة وستكون منافسة السلع الصناعية الأوروبية المتقدمة تقنياً لمثيلاتها العربية شديدة وسيقف ذلك حائلاً دون تطوير صناعات عربية تصديرية ودون تطوير لصناعة تحويلية جديدة بدون حماية استيرادية لسلع ذات تقنية عالية⁽⁷³³⁾. وعليه فإن سلبيات الشراكة الأوروبية المتوسطة تدفع الدول العربية بقوة لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية لتصحيح نمو العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والدول العربية⁽⁷³⁴⁾.

4- **الوضع العربي:** إن التغيرات التي حدثت على مستوى الوطن العربي جعلت الدول العربية أقرب من أي وقت مضى إلى تحقيق التكامل الاقتصادي ومنها⁽⁷³⁵⁾:

(1) الإصلاحات الاقتصادية ومنها النقدية والمالية والبنوية وإفساح المجال أمام القطاع الخاص، فذلك يزيل كثير من العقبات التي تعرقل الجهود العربية المشتركة.

(2) أصبحت القاعدة الإنتاجية تدعم التجارة بين الدول العربية.

(3) وجود مؤسسات مالية عربية مثل صندوق النقد الدولي في تمويل وضمن الصادرات.

(4) زيادة المعلومات التجارية لدى الدول العربية.

(5) زيادة متابعة تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه خاصة من قبل القطاع الخاص.

⁽⁷³³⁾ د. عبد الحسن زلزلة، العمل الاقتصادي العربي والمسيرة والتحديات، نقلاً عن: د. ثامر

محمود العاني، المصدر نفسه، ص 25.

⁽⁷³⁴⁾ د. سليمان منذري، الفرص الضائعة في مسار التكامل الاقتصادي والتنمية العربية،

نقلاً عن: د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص 25.

⁽⁷³⁵⁾ د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص 26-27.

6) العمل على إقامة تجارة حرة عربية أصبح مطلباً عربياً على مختلف المستويات وهذا ما أكده مؤتمر القمة العربية لعام 1996 ومؤتمر قمة الكويت الاقتصادية في شباط 2009⁽⁷³⁶⁾.

ج- فرص النجاح:

كنتائج للضغوط الخارجية الهائلة المتمثلة بعولمة الاقتصاد العالمي وان التقارب العربي مطلب جماهير الأمة العربية، وذلك كله يستوجب تجاوباً رسمياً، أدركت الحكومات العربية ان احتواء العولمة الاقتصادية يكون بالعمل الدؤوب والتجاوب مع متطلبات المرحلة، والتكامل الاقتصادي هو الطريق الواضح والعلمي والسليم ولهذا تم اتخاذ إجراءات تنفيذية تعالج الملهاة المؤسفة التي حدثت بعد منتصف القرن العشرين لعلها تستطيع معالجة -ولو قليل من الفجوة- بين الوطن العربي وبين تسارع التطور على الصعيد العالمي ويمكن تلخيص بعض هذه الخطوات كما يلي:-

1- منطقة التجارة الحرة العربية (الكبرى)⁽⁷³⁷⁾: دخلت الدول العربية عهداً

جديداً في عملية التكامل الاقتصادي فيما بينها بإقامة منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى وبدأ تنفيذها منذ الأول من كانون الثاني/يناير 1994 وكانت استجابتها من التطبيق مرتفعة، حيث بلغ عدد الدول العربية التي أعلنت عن اتخاذها لإجراءات التنفيذ أربع عشرة دولة يزيد نصيبها من التجارة الخارجية العربية 90%، وقد أولت القمة العربية الثالثة عشر في عمان

⁽⁷³⁶⁾ المصدر نفسه، ص26.

⁽⁷³⁷⁾ المصدر نفسه، ص28-29.

2001 والرابعة عشرة في بيروت 2002 الاهتمام بمتابعة القضايا والمشاكل

التي تعترض تطبيق منطقة التجارة الحرة العربية (الكبرى)⁽⁷³⁸⁾.

2- تحرير تجارة الخدمات بين الدول العربية: وجهت القمتان العربيتان (عمان

2001 وبيروت 2002) المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الجامعة

العربية بالإسراع في إدماج تجارة الخدمات وحثت الدول المعنية على تقديم

البيانات والمعلومات حول وضع تحرير تجارة الخدمات والالتزامات

الدولية⁽⁷³⁹⁾.

3- مشروع الاتحاد الجمركي العربي: كلفت القمة العربية الثالثة (عمان 2001)

المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالإسراع في دراسة الخطوات اللازمة

لإقامة الاتحاد الجمركي العربي مع مراعاة الأوضاع الاقتصادية في الدول

العربية وعلى مراحل⁽⁷⁴⁰⁾.

4- مشروع قواعد عربية موحدة للمنافسة والسيطرة على الاحتكارات: اهتم

بذلك المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الجامعة منذ دورته الثالثة والستين

في 8-11/2/1992.

5- الربط الكهربائي العربي: أولت الدول العربية اهتماماً خاصاً بهذا الموضوع،

وقد أوصت قمة عمان 2001 بالعمل من أجل ربط الوطن بشبكات كهربائية

⁽⁷³⁸⁾ التقرير الاقتصادي العربي الموحد، نقلاً عن: د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص29.

⁽⁷³⁹⁾ Cheneny, H.B. and Strout, A Foreign Assistant....

نقلاً عن: د. محمود ثامر العاني، المصدر نفسه، ص30.

⁽⁷⁴⁰⁾ د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص33.

وترتبط الآن سبعة دول هي المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، الأردن، وسوريا، ويجري العمل على ربط لبنان والعراق مع هذه المجموعة⁽⁷⁴¹⁾.

6- **النقل:** كلفت قمة عمان 2001 الأمانة العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي في الجامعة العربية بالتعاون مع كافة الأطراف المعنية في الدول العربية لبحث سبل تقوية الربط بين الدول العربية براً وبحراً وجواً⁽⁷⁴²⁾.

7- **النقل بالعبور (ترانزيت):** كلفت قمة عمان 2001 الجهات المختصة في الجامعة العربية على تفعيل اتفاقية تنظيم النقل بالعبور بين الدول العربية وتوجيه الإجراءات المنظمة لها⁽⁷⁴³⁾.

8- **الاتصالات:** أقرت القمة الثالثة عشرة الاستراتيجية العربية لمجتمع الاتصالات والمعلومات وطلبت من مجلس وزراء الاتصالات العرب بلورتها في أنشطة وبرامج عمل قابلة للتنفيذ⁽⁷⁴⁴⁾.

9- **السياحة:** وجهت قمة 2001 كافة الأجهزة والجهات ذات العلاقة بحركة السياحة العربية البينية للعمل بما يحفز هذه الحركة في ثلاث مجالات هي خدمة النقل بين الدول العربية وتسهيلات الدخول ودعم الاستثمارات والتنمية السياحية العربية⁽⁷⁴⁵⁾.

⁽⁷⁴¹⁾ د. سليمان المنذري، السوق العربية المشتركة في زمن العولمة، نقلاً عن: د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص 35.

⁽⁷⁴²⁾ د. ثامر محمود العاني، المصدر نفسه، ص 37.

⁽⁷⁴³⁾ الملف الاقتصادي لمجلس الجامعة على مستوى القمة، نقلاً عن: د. ثامر محمود العاني، ص 39.

⁽⁷⁴⁴⁾ المصدر نفسه، ص 39.

⁽⁷⁴⁵⁾ المصدر نفسه، ص 40.

وهكذا كانت القمة العربية في عمان 2001 قد وضعت حجر الأساس لانتقال الوطن العربي إلى مرحلة جديدة يستطيع بها مواجهة التحديات مهما بلغت جسامتها على ان ذلك يعتمد على صدق النوايا في الدول العربية. وسواء صدقت النوايا أم ساءت فإن كل دولة عربية ملزمة للانتظام ضمن المجموعة العربية مهما كانت الخلافات بينها لأن ذلك من مستلزمات السلامة والمصالح العليا للوطن العربي كله. في القرن الحادي والعشرين وبالنظر إلى الإجراءات التفصيلية التي اتخذتها هيئات ومجالس الجامعة العربية لتنفيذ المفردات آفة الذكر يكون الوطن العربي قد بدأ مرحلة التكامل الاقتصادي ولو بشكل تدريجي، وذلك استناداً إلى المؤهلات الكبيرة التي يحتويها والتي ستؤهلها لأن يقف بوجه تحدي العولمة ويحتويه أيضاً مهما كانت الإمكانيات محدودة⁽⁷⁴⁶⁾.

4- احتواء تأثير العولمة في تقنية المعلومات:

إن المعلومات لاغنى عنها الآن في كل نواحي النشاط الإنساني، فالمعلومات عنصر مهم في علاقة الإنسان بخالقه وعلاقة الإنسان بمجتمعه وبيئته، وعلاقة المجتمعات ببعضها البعض في السياسة والاقتصاد وإدارة المصالح، والظاهرة التي أمامنا الآن هي أن مجتمعات كثيرة عبر العالم كله تتغير وتلعب المعلومات دوراً مهماً ومنتزاعاً في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بغض النظر عن هذه المجتمعات كبيرة أو صغيرة، فنحن نعيش في عالم يتغير من يوم إلى يوم انه عالم تقنية المعلومات المتقدمة والفائقة وان عديداً من الدول المتقدمة والدول النامية تنتقل الآن إلى مجتمعات معلومات وهي تطور صناعات المعلومات بها وتشجع

الاستثمار في قطاع المعلومات وتنشئ نظم المعلومات التي ترفع من مستوى التعليم والاقتصاد⁽⁷⁴⁷⁾.

وقد تنبه الوطن العربي إلى ذلك منذ بداية القرن الحادي والعشرين وبدأ العمل حثيثاً بهذا الاتجاه لاحتواء المد العولمي المتزايد وقد أتخذت العديد من الإجراءات التي تنشأ وتنظم وتطور قطاع المعلومات ومجتمع المعلومات في الوطن العربي⁽⁷⁴⁸⁾، ويمكن أن نتناول هذا المحور في الجهود العربية الجماعية نحو مجتمع عربي للمعلومات وثانياً الرؤية الإقليمية العربية لاحتواء التأثير.

1- الجهود العربية الجماعية:

أ- الاستراتيجية العربية للمعلومات: أقرت القمة العربية الثالثة عشرة في عمان لعام 2001 الاستراتيجية العربية للمعلومات التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وفي الفترة 2-2002/11/5 نظمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبالتعاون مع مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء في مصر اجتماعاً عربياً لمناقشة وضع الاستراتيجية العربية للمعلومات التي وافقت عليها القمة العربية ناقشت فيه تقارير مقدمة من الدول العربية (الأردن، البحرين، تونس، السودان، ليبيا، اليمن، المغرب، السعودية ولبنان). وتم الاتفاق على إصدار وثيقة سميت (الاستراتيجية العربية للمعلومات) وبالتعاون مع مجموعة خبراء المعلومات تم تحديثها بما يتوافق مع التغيرات التي لحقت بالواقع العربي في الفترة التي تلت قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بصياغة الإصدار الأول للاستراتيجية⁽⁷⁴⁹⁾.

⁽⁷⁴⁷⁾ د.محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2008، ص23.

⁽⁷⁴⁸⁾ الباحث.

⁽⁷⁴⁹⁾ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 2002، الوثيقة، نقلاً عن: د.محمد فتحي عبد الهادي، مصدر سابق، ص131.

تشير الوثيقة إلى التحديات التي تواجه العرب لدخول مجتمع المعلومات وأهمها النظر الرقمي واقتصاديات قطاع الاتصالات وتقنية المعلومات وما يتميز به من ضرورة اتساع السوق ليعمل وفقاً لاقتصاديات الحجم وأهمية تعميم أنشطة البحث العلمي والبحوث والتطوير وإصلاح الهياكل الاقتصادية ومعالجة ضعف البنى الأساسية للاقتصادات⁽⁷⁵⁰⁾.

وحتى يقابل المجتمع العربي التحديات التي يواجهها ويتغلب عليها تبدو أهمية أن تنطلق الأقطار العربية متحدة معاً نحو تعميق استخدام تقنية المعلومات في جميع مناحي الحياة لتكون الرؤية العربية في مجال تقنية المعلومات هي التحول إلى مجتمع معلوماتي للإسراع بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة⁽⁷⁵¹⁾.

وتحدد الوثيقة أهداف الاستراتيجية على النحو الآتي⁽⁷⁵²⁾:

- 1- الحفاظ على تدفق المعلومات داخل المجتمع العربي من خلال بعض المبادرات المساندة لتحسين وخلق خدمات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في مختلف قطاعات المجتمع.
- 2- ربط المجتمع العربي بشبكات اتصالات ومعلومات تسمح بخفض تكلفة الاتصالات.
- 3- نشر الثقافة العربية عبر شبكات المعلومات الدولية.
- 4- تحقيق أكبر قدر من المنافع التي تتيحها الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات خلال زيادة معدلات النمو.

(750) المصدر نفسه، ص132.

(751) المصدر نفسه، ص132.

(752) المصدر نفسه، ص132.

5- خلق جيل جديد يستخدم وينتج تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

6- ربط الدول العربية بالعالم من خلال تحسين تدفق تقنية جديدة⁽⁷⁵³⁾.

وتعتمد الاستراتيجية أساساً خمسة محاور تعتبر استراتيجيات جزئية لتكوين

الاستراتيجية العامة المستهدفة وهي:

1- الترابط الشبكي.

2- تنمية رأس المال البشري.

3- القيادة في كل مجتمع معلوماتي.

4- تدفق وتأمين المعلومات.

5- البيئة التشريعية والإدارية والتنظيمية للأعمال الإلكترونية⁽⁷⁵⁴⁾.

وتشير الوثيقة إلى إجراءات التنفيذ ودور الحكومات ومؤسسات الأعمال

والأفراد والأولويات والمبادرات الأساسية التي تتمثل في تطوير البنى الأساسية

للاتصالات، تنمية الأعمال وتشجيع الاستثمار، أنشطة البحوث والتطوير، صناعة

المعلومات وتطوير استخدامات الإنترنت وتنمية الموارد البشرية⁽⁷⁵⁵⁾.

ب- إعلان بيروت وصناعة المحتوى العربية⁽⁷⁵⁶⁾:

(753) المصدر نفسه، ص132.

(754) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وثيقة الاستراتيجية العربية للمعلومات، القاهرة، 2002، نقلاً عن: د.محمد فتحي عبد الهادي، مصدر سابق، ص133.

(755) المصدر نفسه، ص133.

(756) إعلان بيروت، نقلاً عن: د.محمد فتحي عبد الهادي، مصدر سابق، ص134.

في شباط عام 2003 أصدرت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا
(أسكوا) التابعة للأمم المتحدة والمعنية بالدول العربية مايسمى (إعلان بيروت)

والذي تضمن عدة أهداف ومنها⁽⁷⁵⁷⁾.

- (1) تعزيز رؤية مشتركة لتنمية مجتمع المعلومات على الصعيدين الوطني والإقليمي في الوطن العربي.
- (2) صياغة سياسات مبتكرة واستراتيجيات لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
- (3) إنشاء بيئة تشريعية وتنظيمية ممكنة.
- (4) إنجاز أهداف الأمم المتحدة الإنمائية للألفية من خلال تحويل المنطقة إلى مجتمع للمعلومات⁽⁷⁵⁸⁾.

واهتمت اللجنة بعنصرين على جانب كبير من الأهمية هما⁽⁷⁵⁹⁾:

الأول: صناعة المحتوى العربية، حيث قدمت مبادرة (المحتوى العربية) في عام 2003 بعد عقد اجتماع الخبراء حول تعزيز المحتوى الرقمي العربي في حزيران 2003.

الثاني: مشروع مؤشرات مجتمع المعلومات حتى عام 2005، حيث قدمت اللجنة دراسة مفصلة تناقش الحاجة إلى وجود مؤشرات تسهل تقرير سياسات مدعمة بالبراهين ترمي إلى بناء مجتمع معلومات في منطقة الأسكوا وتقدم الدراسة مؤشرات تقنية المعلومات والاتصالات المفتوحة في منطقة الأسكوا وتركز على مجالين هما: الجاهزية والتمكين مع إشارة إلى البنى الأساسية والسياسات وكثافة الاستخدام في قطاعات مختلفة هي الأعمال التجارية والحكومية والتعليم⁽⁷⁶⁰⁾.

⁽⁷⁵⁷⁾ المصدر نفسه، ص134.

⁽⁷⁵⁸⁾ د.محمد فتحي عبد الهادي، المصدر نفسه، ص133-134.

⁽⁷⁵⁹⁾ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، مؤشرات مجتمع المعلومات، الأمم المتحدة، نيويورك، 2005، ص81.

⁽⁷⁶⁰⁾ المصدر نفسه، ص134.

ج- تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003:

تقوم منظمة التنمية الإنسانية العربية في هذا التقرير الأوضح الراهنة لمجتمع المعرفة في البلدان العربية إنتاجاً ونشراً وتوظيفاً وبنية أساسية وبيداً بنشر المعرفة في البلدان العربية متناولاً التنشئة والتعليم ووسائل الإعلام والترجمة، ويتناول إنتاج المعرفة في البلدان العربية سواء في مجال العلوم الطبيعية والتطوير التقني أو في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية أو الإنتاج الأدبي والفني ويدل تحليل حال إنتاج المعرفة في البلدان العربية على وجود رأس مال بشري عربي مهم يبدع الآن أخلاقاً من بيئة مجتمعية وسياسية مقيدة، ويمكنه في ظروف مواتية أن يكون بنية أساسية قوية لقيام نهضة معرفية في الوطن العربي⁽⁷⁶¹⁾.

وينتهي التقرير إلى رؤية استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية تنتظم حول خمسة أركان هي⁽⁷⁶²⁾:

- 1- إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم وضمانها بالحكم الصالح.
- 2- النشر الكامل للتعليم راقى النوعية مع إيلاء عناية خاصة لطرفي المتصل التعليمي وللتعلم المستمر مدى الحياة ويتطلب هذا إعطاء أولوية للتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة وتصميم التعليم الأساسي للجميع.
- 3- توطين العلم وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير التقني في جميع النشاطات المجتمعية من خلال تشجيع البحث الأساسي وإقامة نسق عربي للابتكار.
- 4- التحول الحثيث نحو نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية العربية.

⁽⁷⁶¹⁾ تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003، نحو إقامة مجتمع المعرفة المكتب الإقليمي للدول العربية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، عمان، 2003، ص134-135.

⁽⁷⁶²⁾ المصدر نفسه، ص135.

5- تأسيس نمو ذهني معرفي عربي أصيل، منفتح ومستنير يعتمد الاتجاهات الرئيسية التالية⁽⁷⁶³⁾.

أ- العودة إلى صحيح الدين وحفز الاجتهاد.

ب- النهوض باللغة العربية من خلال إطلاق نشاط بحثي ومعلوماتي جاد.

ج- استحضار إضاءات التراث المعرفي العربي وإدخالها في لحمة النموذج المعرفي العربي.

د- إثراء التنوع الثقافي داخل الأمة.

هـ- الانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى.

وترى الدكتورة ليلي عبد المجيد أن التقرير أكد حقيقة مهمة هي ان لدى البلاد

العربية إمكانات هائلة لتطوير مقدراتها المعرفية تتمثل في رأسمال بشري لم يستغل

بعد وتراث ثقافي ولغوي وفكري ثري⁽⁷⁶⁴⁾.

⁽⁷⁶³⁾ المصدر نفسه، ص134.

⁽⁷⁶⁴⁾ د. ليلي عبد المجيد، الطريق العربي إلى مجتمع المعرفة، الأهرام، 16 نوفمبر 2003، ص12.

2- الرؤية العربية لمجتمع المعلومات:

تنبه العرب على المستوى الرسمي والشعبي إلى خطورة التحدي الذي يواجهه الوطن العربي على الصعيد المعرفي والمعلوماتي -ولو متأخرين- فسارعوا إلى اتخاذ إجراءات منظمة ترتبط إلى حد كبير بالتجهيزات والمشاركات العربية في القمة العالمية لمجتمع المعلومات بدورته في جنيف عام 2003 وفي تونس 2005، ومن هذه الإجراءات الآتي⁽⁷⁶⁵⁾:

- 1) اتخذت القمة العربية الثالثة عشرة في عمان 2001 قراراً بتكليف وزراء الاتصالات العرب بكافة النشاطات المتعلقة بالمعلوماتية على مستوى الجامعة العربية، وبناءً على هذا القرار أصدر المكتب التنفيذي لوزراء الاتصالات العرب في تشرين الثاني 2001 قراراً بشأن التحضير للقمة العالمية لمجتمع المعلومات⁽⁷⁶⁶⁾.
- 2) أصدر مجلس وزراء الاتصالات العرب قراراً في حزيران 2002 بعقد الاجتماع التحضيري العربي الأول للقمة العالمية وعقد الاجتماع بالفعل في دمشق يومي 12 و13 كانون الأول 2002 وكان ذلك بداية الجهد العربي الجماعي للتحضير للقمة العالمية وبعد ذلك سار الأداء العربي في قمة المعلومات في مسارين⁽⁷⁶⁷⁾، الأول يتعلق بالأعمال التحضيرية التي جرت على المستوى الوطني والقومي ككل، واستهدفت تكوين خطط واستراتيجيات محددة حول كيفية بناء مجتمع المعلومات سواء داخل كل دولة عربية على حدة أو مجتمع معلوماتي

⁽⁷⁶⁵⁾ د.محمد فتحي عبد الهادي، مصدر سابق، ص136.

⁽⁷⁶⁶⁾ المصدر نفسه، ص136.

⁽⁷⁶⁷⁾ المصدر نفسه، ص137.

عربي ككل وأفاق التعاون العربي البيني في هذا الصدد والمشاركة في القمة⁽⁷⁶⁸⁾. أما المسار الثاني فتمثل في مشاركة وفود وممثلي الدول والحكومات العربية في جلسات التفاوض الرسمية بالقمة سواء في الجلسات التحضيرية الرسمية لدورتي القمة أو الجلسات التي جرت أثناء انعقاد دورتي القمة في جنيف وتونس، وفي هذا المسار قدم العرب تصوراتهم لقضايا مجتمع المعلومات مالياً ومستقبلاً. وفي هذه الجلسات تم التقدم بشكل جماعي باسم المجموعة العربية والجامعة العربية لجلسات التفاوض الرسمية للقمة قبل وأثناء انعقادها بوثائق تتضمن الاقتراحات والمطالب المحددة التي تعكس مصالح ورغبات الدول العربية فيما يتعلق بمجتمع المعلومات⁽⁷⁶⁹⁾.

3- إعلان القاهرة 2003⁽⁷⁷⁰⁾:

عقد في القاهرة بتاريخ 18 حزيران 2003 المؤتمر التحضيري العربي رفيع المستوى للقمة العالمية وصدر عن هذا الاجتماع ثلاثة وثائق هي: إعلان القاهرة وخطة عمل القاهرة ووثيقة القطاع الخاص العربي، وقد شكلت هذه الوثائق الخلاصة الأساسية لما تم التوصل إليه خلال الاجتماعات التحضيرية والأعمال الوطنية وجهود فريق العمل العربي للتحضير للقمة منذ كانون الأول 2002، وقد أكدت وثيقة إعلان القاهرة على الدور المحوري للمعرفة في صياغة المجتمع الإنساني الجديد (مجتمع الاقتصاد المعرفي)⁽⁷⁷¹⁾، وإن التكامل الإقليمي وحشد الإمكانيات والموارد العربية

(768) المصدر نفسه، ص136-137.

(769) المصدر نفسه، ص137.

(770) المصدر نفسه، ص138.

(771) المصدر نفسه، ص138.

هو السبيل الوحيد للتحويل إلى الاقتصاد المعرفي وبناء البنية التحتية اللازمة لنشر التطبيقات المعلوماتية العربية وأكدت الوثيقة على أهمية العمل على مجموعة محاور ومنها⁽⁷⁷²⁾.

- 1- تنمية البنية الأساسية بإقامة العصب المحوري الإقليمي لشبكة الاتصالات العربية ذات سعات عالمية لتبادل المعلومات بنظام السعات الفائقة.
- 2- تنمية الثروة البشرية المختصة.
- 3- إنشاء الحكومة الإلكترونية وذلك من خلال مساندة الحكومات العربية للجهود الرامية للارتقاء بالأداء الحكومي إلكترونياً.
- 4- أقلمة صناعة للمحتوى العربي.
- 5- تشجيع أنماط الشراكة المختلفة بين مؤسسات القطاع الخاص وبينها وبين القطاع العام والشركات متعددة الجنسية.
- 6- تفعيل دور المنظمات العربية المتخصصة تحت إشراف جامعة الدول العربية لتنمية التعاون العربي في مجال تقنية المعلومات والاتصالات⁽⁷⁷³⁾.

⁽⁷⁷²⁾ وثيقة إعلان القاهرة، نقلاً عن: د. محمد فتحي عبد الهادي، المصدر نفسه، ص138.

⁽⁷⁷³⁾ المصدر نفسه، ص137.

4- نداء دمشق لبناء مجتمع المعلومات العربي 2004⁽⁷⁷⁴⁾:

صدرت هذه الوثيقة عن المؤتمر الإقليمي التحضيري الثاني للقمّة العالمية لمجتمع المعلومات، الذي عقد في دمشق للفترة من 23-24 تشرين الثاني 2004 تحت شعار (الشراكة في بناء مجتمع المعلومات العربي) وقد طالبت الوثيقة بتوفير البيئة التمكينية المناسبة لتشجيع الاستثمارات المباشرة من داخل وخارج المنطقة العربية عن طريق وضع الاستراتيجيات والسياسات والخطط المناسبة وآليات تنفيذها وسن التشريعات والقوانين المتوافقة، وتسهيل الإجراءات المحفزة لهذا الاستثمار على مستوى الوطن العربي⁽⁷⁷⁵⁾. وقد أصدر المؤتمر التحضيري الثاني هذا الذي خصص للاستعداد لدورة تونس، مجموعة من الوثائق وأوراق العمل التحضيرية ومنها الاستراتيجية العربية لمجتمع الاتصالات وتقنية المعلومات⁽⁷⁷⁶⁾. وقد تناولت الوثيقة الفجوة التكنولوجية والعلمية والاقتصادية بين الدول العربية وبعض الدول التي لها نفس البدايات التنموية. كما تناولت انطلاقة مجتمع الاتصالات وتقنية المعلومات العربي معتبرة ان الهدف الاستراتيجي هو تحويل المنطقة العربية إلى منطقة منتجة ومستخدمة ومصدرة للتقنية المتطورة للاتصالات والمعلومات للإسراع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال إنشاء قاعدة إنتاجية عريضة تعتمد في المقام الأول على القطاع الخاص تعمل في هذا المجال أو تقوم بالتبعية بتطوير المجتمع بكامل مكوناته للوصول به إلى مجتمع يعتمد على تقنية الاتصالات

⁽⁷⁷⁴⁾ المصدر نفسه، ص139.

⁽⁷⁷⁵⁾ وثيقة إعلان الاستراتيجية العربية لمجتمع الاتصالات وتقنية المعلومات، نقلاً عن:

د. محمد فتحي عبد الهادي، مصدر سابق، ص139.

⁽⁷⁷⁶⁾ المصدر نفسه، ص139.

والمعلوماتية متناغماً في ذلك مع الاتجاه المستقبلي للعالم المتقدم وذلك بحلول عام 2020م⁽⁷⁷⁷⁾.

وقد حددت وثيقة نداء دمشق التي نحن بصدد الحديث عنها سبعة محاور لما أسمته: الإنطلاقة العربية نحو مجتمع المعلومات هي⁽⁷⁷⁸⁾:-

- 1- تهيئة المناخ العربي العام وتشجيع الاستثمار.
- 2- تهيئة البنية التحتية للاتصالات وتقنية المعلومات.
- 3- تنمية الموارد البشرية.
- 4- توسيع قاعدة أعمال التقنية للاتصالات والمعلوماتية.
- 5- تنمية السوق المحلي للتصدير.
- 6- استخدام تقنية الاتصالات والمعلوماتية لدعم تطبيقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- 7- توسيع مجالات البحث التطبيقي والتطوير ونقل التقنية⁽⁷⁷⁹⁾.

ويرى جمال محمد غيطاس خلال عرضه المفصل للأداء العربي خلال قمة المعلومات أن هناك بعض النتائج منها إثارة الوعي بالقضية داخل المجتمعات العربية وتبادل الرأي حولها، وتصاعد الاهتمام بها من المستوى التقني عند المتخصصين إلى المستوى السياسي لدى القيادات السياسية والإقرار بها كألية من آليات التنمية المحلية والدولة، بالإضافة إلى الكم الكبير من المعارف التقنية

⁽⁷⁷⁷⁾ وثيقة نداء دمشق، نقلاً عن: د. محمد فتحي عبد الهادي، المصدر نفسه، ص 139.

⁽⁷⁷⁸⁾ وثيقة نداء دمشق، ص 139.

⁽⁷⁷⁹⁾ وثيقة نداء دمشق، ص 199.

والمفاهيم الجديدة التي احتوتها عشرات التقارير والدراسات التي استعرضتها الندوات وورش العمل وركزت بالأساس على الدور التنموي لتقنية المعلومات والاتصالات في جميع المجالات⁽⁷⁸⁰⁾.

(780) جمال محمد غيطاس، العرب والقمة العالمية للمعلومات، الإهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2006، ص46.

المبحث الثالث احتمالية تراجع العولمة

- قال هيراقليطس- الفيلسوف اليوناني الكبير: [كل شيء يتغير إلا قانون التغيير، إنك لن تغطس في ماء النهر مرتين لأن الماء يتغير]⁽⁷⁸¹⁾.
- قال كارل ماركس: [كل نظام يحمل في طياته عوامل انهياره] ولم يستثنى نظامه الشيوعي الذي انتهى بعوامله الداخلية⁽⁷⁸²⁾.
- قال شاعر العرب في كتاب نفح الطيب:
كل شيء ما عدا الله باطلٌ وكل شيء ما خلا الله زائل

أولاً- العوامل الذاتية:

يرى الدكتور عبد الإله بلقزيز أن هناك عاملان أساسيان ينخران في جسد القوى الرئيسية للعولمة- أوربا والولايات المتحدة في سياساتهما تجاه الوطن العربي والإسلامي هما العامل الأيديولوجي والعامل الاقتصادي⁽⁷⁸³⁾.

1- العامل الأيديولوجي:

هناك فارق كبير بين الرؤية الأوروبية والرؤية الأمريكية للإسلام، فالأوروبيون يهتمون كثيراً ببقاء نظرة ثقافية وموقف أيديولوجي من الإسلام تحت وطأة الشعور بالمغايرة الثقافية وبمركزية المرجعية الحضارية الأوروبية فعاء مثقفهم وساستهم للإسلام يتغذى من هذه الخلفية الثقافية، الشعور بالأنا الحضاري والتفوق الثقافي، وهذا العداء ليس مستغرباً من ثقافات أنجبتها ثورات عقلية مريرة ضد الكنيسة نفسها،

(781) ديل كارنيجي، كيف نقهر القلق ونبدأ الحياة، ترجمة: عبد المنعم محمد الزيايدي، ط6، مكتبة الديوان، بغداد، بلا تاريخ، ص34.
(782) النظرية الماركسية في هذه الأطروحة، ص84.
(783) د. عبد الإله بلقزيز في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص265.

ولعل من يكون مطلوباً منهم أكثر رافة بالإسلام إزاء مسيحية شيعوها باسم النظام المدني وحرية الاعتقاد، أما الأمريكيون وبسبب غياب خلفية حضارية لمجتمعهم الحديث التكوين والمتعدد الأصول والمشارب الثقافية فلا يهتم من موضوع الإسلام ولا العرب إلا مقدار العائدات التي يمكن أن يحصلوها منه وهم لايهتمون -على خلاف الأوربيين- بموقف عقائدي- منهما بمقدار احتفالهم بالمصلحة الناجمة عن الموضوع (وهم أعرف العاملين بقاعدة المصلحة والقوة حسب نظرية مورجنتاؤ)⁽⁷⁸⁴⁾، لذلك كما يقول الدكتور عبد الإله، فهم يتصالحون مع إسلام يعقد الولاية الكونية لواشنطن أو مع إسلام مطيع يقدم خدمات استراتيجية إقليمية. لكنهم يشحنون أسلحتهم ويستنفرون غرائزهم حين يصبح الإسلام تحريراً في النزاع أو إسلاماً جهادياً لأن ذلك يجافي منطق مصلحتهم، وبالجملة لا يخيف أمريكا من الوطن العربي إلا أن يخرج النفط عن سيطرتهم أو أن يمتلك العرب إسلاماً استراتيجياً يهدد به الدولة التوراتية، وهذا الموقف سياسي في المقام الأول وليس ثقافياً⁽⁷⁸⁵⁾.

2- العامل الاقتصادي:

تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بمركز التفوق الكوني حالياً وتحرص عليه فهل سيقودها حرصها هذا على الاحتفاظ بمركز التفوق الكوني إلى الجدلية التاريخية التي صنعت دائماً انهيار الامبراطوريات الكبرى؟ وهي جدلية الدفاع المكلف عن قوة الدولة التي يقودها هو (الدفاع المكلف) إلى الانهيار الكبير. ستظل الولايات المتحدة في حاجة إلى قوتها العسكرية لحراسة تفوقها الكوني وستظل مجبرة على الانفاق على ذلك باستمرار وبمعدلات تتزايد مع تزايد المنافسة الاقتصادية العالمية وسيمثل

(784) الباحث.

(785) د. عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 265.

ذلك لها -مثلما مثل للاتحاد السوفيتي من قبل- نزيفاً اقتصادياً مستمراً⁽⁷⁸⁶⁾. وإذا ما أضيف إلى هذا النزيف الاقتصادي الرديف الذي يمثله الحرص على صون معدلات الاستهلاك العالية لدى المواطن الأمريكي، فإن الولايات المتحدة ستكون أمام مخاطر فقدان اقتصادها القدرة على الاستجابة لمطالب الرفاه والقوة المتزايدة فيها⁽⁷⁸⁷⁾. ولعل ما يفاقم هذا التحدي أن القوى الاقتصادية الكبيرة الجديدة وهي (اليابان وألمانيا) متحررة- بقوة أحكام المعاهدات من تنمية قدرة عسكرية استراتيجية وبالتالي متحررة من كلفة ذلك الأمر الذي سيعزز قدرتها الاقتصادية على منافسة التفوق الأمريكي في المستقبل⁽⁷⁸⁸⁾.

ثانياً- التغيير في الخطاب السياسي الأمريكي:

سمعنا وقرأنا الكثير من خطب وأحاديث الساسة والمفكرين والرؤساء في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثين سنة الماضية عن الإسلام والعدو الأول وصراع الحضارات وتطويع العالم باتجاه السلوكية الأمريكية ونمط الحياة الغربي والدول الفاشلة والإرهاب. من بريجنسكي إلى صموئيل هنتنكتون إلى بيل كلينتون وجورج بوش وغيرهم، إلا أننا نلاحظ أن تغييراً جديداً وجذرياً قد حدث في صيغة ومفردات الخطاب السياسي الأمريكي منذ مطلع هذه السنة 2009م فمع وصول الرئيس الأمريكي الرابع والأربعون باراك أوباما إلى البيت الأبيض بدأت خطباته وأحاديثه المتلفزة تتم عن تغيير حقيقي في السياسة الخارجية الأمريكية⁽⁷⁸⁹⁾.

(786) المصدر نفسه، ص265.

(787) المصدر نفسه، ص265.

(788) المصدر نفسه، ص265.

(789) الباحث.

1- 20 كانون الثاني 2009⁽⁷⁹⁰⁾:

في هذا اليوم ألقى باراك أوباما خطاب التنصيب وفيه صدرت الإشارة الرسمية الأولى عن رغبة بلاده المصالحة مع العالم الإسلامي وأعلن عن إغلاق سجن كوانت نامو الذي يقبع فيه عشرات المسلمين بتهم الإرهاب.

2- 1 حزيران 2009⁽⁷⁹¹⁾:

تكررت دعوته للمصالحة مع العالم الإسلامي وبأنه سيزور القاهرة ويوجه منها خطاباً للعالم الإسلامي⁽⁷⁹²⁾.

(790) إذاعة BBC العربية نشرة أخبار الساعة السادسة صباحاً يوم 20/كانون الثاني/2009.

(791) إذاعة BBC العربية نشرة أخبار الساعة السادسة صباحاً يوم 2/حزيران/2009.
(792) نقلت الخطاب في يومه وساعته مع الترجمة إلى اللغة العربية بشكل مباشر قناة دريم الفضائية المصرية وعنها تم الاستماع إليه. كما نقلته بالطبع قناة الجزيرة الإخبارية والعربية وقناة الحرة ونقلت إذاعة BBC العربية في نشراتها الإخبارية فقرات مطولة من الخطاب مع التحليلات وردود الفعل لدى الخبراء والمحللين السياسيين في مختلف العواصم.

3- 4 حزيران 2009⁽⁷⁹³⁾:

وصل الرئيس الأمريكي باراك أوباما إلى القاهرة في حوالي التاسعة صباحاً وبعد استقباله الرسمي تجول في بعض الأماكن الدينية القديمة برفقة وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون، وفي الساعة الواحدة ظهراً بتوقيت بغداد ألقى خطابه المرتقب إلى العالم الإسلامي. تناول فيه مسألتين هما العداء الأمريكي غير المبرر للعالم الإسلامي والعولمة.. وتكلم بلغة تصالحية متوددة واستشهد بكثير من الاقتباسات من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة حتى خيل إلى البعض أن هذا الرجل مسلم يخفي إسلامه، وندرج في أدناه أهم ما جاء في الخطاب⁽⁷⁹⁴⁾:

- 1- جئت إلى القاهرة لإقامة علاقات مشتركة بين الولايات المتحدة والمسلمين على أرضية مشتركة.
- 2- كان الإسلام يحمل النور لكثير من الأجيال وإن الثقافة الإسلامية أعطتنا العلوم وبرهن الإسلام على روح التسامح الديني.
- 3- منذ البداية لم يكن هناك خلاف بيننا وبين المسلمين وان الشراكة بين الولايات المتحدة والإسلام يجب أن تبنى على أسس صحيحة.
- 4- إن أمريكا ليست امبراطورية وإنما بنينا كياننا على أساس أن الاتحاد قوة.
- 5- إن أي نظام في العالم يرفع أمة أو شعب على الآخرين مصيره الفشل.
- 6- إن أمريكا لن تكون في حالة حرب على الإسلام.
- 7- ستدافع أمريكا عن نفسها ولكنها لن تفرض رأيها وثقافتها على الآخرين.
- 8- إن على إسرائيل وفلسطين أن يفكروا في العيش بدولتين.

⁽⁷⁹³⁾ محطة دريم الفضائية المصرية، 4 حزيران 2009.

⁽⁷⁹⁴⁾ المصدر نفسه.

9- نريد أن نتفاهم مع إيران.

10- سنسحب من العراق حسب المواعيد المحددة مع الحكومة العراقية.

الديمقراطية..

1- لا يمكن لنظام حكم أن يفرض على دولة من دولة أخرى وأمريكا لا تفرض أي نظام يصلح للشعوب حسب اختيارها.

2- أمريكا تحترم كل الأصوات وكل الحكومات طالما تحترم شعوبها.

3- أياً كانت الأماكن التي تتخذ فيها حكم الشعب من الشعب، عليها أن تجعل المصالح السياسية فوق الأحزاب.

القضية الدينية..

1- الحرية للمعتقدات الدينية في كل مكان والتنوع الديني يجب أن نحافظ عليه.

2- إن حرية التدين ضروري لبناء التقدم.

3- نرحب بالحوار بين الأديان والحوار بين الحضارات.

العولمة..

1- العولمة يجب أن تنهي الفوضى والإباحية والخوف من الحداثة لا أن تنميتها.

2- إن على الأمم المحافظة على حضاراتها وثقافتها الأصلية جنباً إلى جنب مع التنمية.

3- التعليم والإبداع مصدر الثروة في القرن 21 ومن خلال التعليم ستزيد الفرص وسنطور الفرض من خلال الإنترنت.

4- الكل عيال الله في كل مكان.

5- كل الحكومات مسؤولة عن شعوبها.

6- نريد عالماً نشترك في العيش فيه بجهد لتحقيق أرضية مشتركة ويحترم كرامة كل بني البشر.

7- إننا نحب للآخرين مانحاً لأنفسنا.

8- شعوب العالم يجب أن تعيش سوية على الأرض متحابين هذا هو الاختيار الذي اختاره الله.

وبعد.. فنحن نجد في خطاب الرئيس الأمريكي الجديد تحولاً واضحاً في اتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي والعالم الإسلامي مما يفتح الباب أمام التفاؤل الحذر بتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي على أسس صحيحة ومشتركة لمصلحة الطرفين كما قال أوباما، وفي هذا الخطاب نجد تراجعاً كبيراً عن الكثير من أطروحات العولمة إذا لم تكن أكثرها وهذا ما يدعو لتخفيف الضغط على الدول النامية ومنها العربية التي تتعرض لرياح العولمة العاتية.. ولكن ينبغي الانتظار في الوقت الحاضر، فهل يستطيع باراك أوباما تغيير السياسة الأمريكية الخارجية والتي سارت على نهج واحد يختلف عن اتجاهاته الجديدة على مدى قرون من الزمن.

الخاتمة والاستنتاجات

الختامة

نخلص مما تقدم إلى أن للعولمة آثاراً سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية في دول العالم ومنها الوطن العربي، إذ تعرضت البنى والهيكل السياسية للوطن العربي لمخاض من التغيير والتعقيدات ليس مفاده أن هذا المتغير كان مفاجئاً لهم ولم يكن لهم دور في صيرورته، ولذلك كانت الآثار السلبية جسيمة شملت الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وخضعت لها عدة أجيال نتج عنها التغيير الكبير في سلوكية الأفراد في المجتمع العربي بحيث انتقلت العلاقات بعيداً عن الجانب القيمي والروحي الذي عرف به المجتمع العربي وتهدف إلى ما تطمح له العولمة من جعل المجتمعات البشرية كلها تعيش ضمن سلوكية واحدة. وللعولمة أيضاً آثار إيجابية كثيرة تشمل التطور التقني الذي وصل إليه المجتمع الإنساني، ويمكن الاستفادة منها وتطويعها بفهم طروحات العولمة وأهدافها ومن ثم اتباع منهج التطوير الذاتي أو الجماعي في الوطن العربي للحاق بركب التطور البشري. والعولمة ليست جبلاً صليداً لا يسمع ولا يرى بل تريد وتأخذ وتعطي ولو بقدر مصالحها هي فيمكن الدخول إلى عوالمها المختلفة بثتى الطرق والوسائل لغرض معالجة السلبى منها والاستفادة من الإيجابى، بل يمكن حتى احتوائها، وفي الوطن العربي إمكانية ليست هينة لذلك إذا عرفت الحكومات والأفراد استخدامها. وقد أشرنا إلى الجهود العربية التي تمت لاحتواء العولمة وهي مستمرة وتتطور مع الحاجة وما تجربة مصر والإمارات العربية والمملكة العربية السعودية وتونس إلا أمثلة على ذلك.

وبعد، فإن العولمة كغيرها من النظريات والأفكار التي اجتاحت العالم في مختلف العصور فإن لها محدودية في الاستمرار حسب قانون هريكليس (كل شيء يتغير إلا قانون التغيير) وحسب نظرية ماركس -كل نظام يحمل في طياته عوامل

انهياره ولم يستثن نظام الشيوعي، ويخضع العولمة إلى التغيير والتطور المضطرد الذي يشهده العالم يومياً. فقد تظهر أفكار ونظريات جديدة تجعل من العولمة غير صالحة، وفي العولمة كفكر عوامل كثيرة لاحتمال تراجعها تنصب على الاختلافات العقائدية لدى قوى العولمة نفسها، ويبقى العامل الاقتصادي هو الأهم سلباً أو إيجاباً في تحريك العولمة إلى الأمام أو تراجعها، زد على ذلك فقد لاحظنا تراجعاً في منطق الخطاب السياسي لرئيس زعيمة العولمة الولايات المتحدة الأمريكية لعام 2009 حاول فيه تبديد المخاوف لدى الوطن العربي والعالم الإسلامي من خطورة العولمة. ويبقى الأهم في إلحاق الهزيمة بالعولمة هو وقوف الوطن العربي على قدميه، في تقارب سياسي واقتصادي وثقافي والتعلم والتطور وامتلاك التقنية والانفتاح على العالم أكثر والعرض بالنواجز على ثوابت الأمة، دينها العظيم، وحضارتها العريقة وقيمها الخالدة.

الاستنتاجات

مما تقدم نخلص إلى القول أن هنالك جملة من الاستنتاجات تولدت عن العولمة

أبرزها:-

- 1- إن العولمة ظاهرة جديدة في المجتمع شملت نواحي الحياة للمجتمع البشري كلها، هدفها تغيير العالم ووضعها في قالب واحد من السلوكية ونمط العيش يتلاءم مع النمط الغربي والأمريكي.
- 2- نشأت العولمة في ظل التطور التقني للمجتمع البشري وهذا التطور مستمر وقد يصل إلى مستوى استبدال آلياتها ومناهجها بأشياء جديدة.
- 3- للعولمة تأثيرات سلبية وإيجابية في الوطن العربي، أما السلبية فيمكن التعامل معها ومعالجتها استناداً إلى المقومات الحضارية والقيمية الثابتة للأمة وأما الإيجابية فيمكن الاستفادة منها والتكيف معها بما يخدم مصالح الأمة.
- 4- إن لشعوب وأمم الأرض جميعاً حضاراتها وقيمها التي قد تتفق أو لا تتفق مع طروحات العولمة وهذا معروف لدى قادة وقوى العولمة، ولهذا فإن فرصة نجاح العولمة في تغيير المعالم إلى سلوكية واحدة مسألة نسبية.
- 5- يمكن احتواء العولمة بفهمها وفهم ماتريده والأخذ منها بما يتناسب مع البيئة العربية والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى مثل الصين وكوريا، أما السلبية فيمكن معالجته وترويضه وتطويعه أو مقاومته بما في الوطن العربي من قيم حضارية ودينية واقتصادية وعقول بشرية لم تستثمر بعد.
- 6- إن في العولمة عوامل ذاتية للتراجع وفق نظرية ماركس القائلة بأن كل نظام يحمل في طياته عوامل انهياره، وقد ظهرت علامات هذا التراجع في خطاب الرئيس الأمريكي في القاهرة يوم 4 حزيران 2009م إلى العالم الإسلامي.

7- يطغى الطابع المادي والاقتصادي على الاتجاهات الرئيسية لمركز العولمة في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان ولكن يلاحظ أن هناك قوى اقتصادية تنمو بشكل متواتر وسريع قد تصبح منافسة في وقت قريب إلى مراكز العولمة مثل الاقتصاد الألماني واقتصاديات جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية.

8- إن نشأة التكتلات الاقتصادية العالمية آخذة بالتوسع في كل القارات وستؤدي إلى زيادة هذه التكتلات إلى حماية أكثر للشعوب من تأثيرات العولمة مع الأخذ بأسباب التطور العلمي والتقني.

9- ينصب الاتجاه في الوطن العربي حالياً إلى الاستفادة من الفرص التي تتيحها العولمة في الحصول على التقنية الحديثة مثلما يجري في مصر كرائدة في الوطن العربي في توطين التقنية وكما يحدث في مجمع ينبع في المملكة العربية السعودية وتونس ودولة الإمارات وغيرها، وعلى الصعيد الرسمي عقدت في الكويت القمة الاقتصادية العربية لأول مرة للفترة 2009/9/8. وهذا كله يبعث على التفاؤل بأن الوطن العربي لم يعد خائفاً من العولمة وأنه يأخذ بأسباب التأقلم معها بما يدفع الضرر ويحقق المصلحة القومية العليا.

المصادر

المصادر

أولاً- المصادر العربية والمترجمة:

أ- الكتب:

- 1- ابن النديم، محمد بن اسحق القاهرة، العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت.
- 2- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ط دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
- 3- أحمد حسين الابياري، المنظمات الدولية الحديثة وفكر الحكومة العالمية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1978.
- 4- أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها، بغداد، 1978.
- 5- أحمد سيد مصطفى، تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي، ط4، القاهرة، 1999.
- 6- أحمد شيلي، الاقتصاد في الفكر الإسلامي، موسوعة النظم والحضارة الاسلامية، ج4، ط6، القاهرة، 1976.
- 7- أحمد صدقي الدجاني، في كتاب (العرب والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2000.
- 8- أحمد مجدي، مجازي الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
- 9- أرشي خان، العولمة والألفية الليبرالية السعيدة في كتاب العولمة والرضا في الاقتصاد العربي، بيت الحكمة، بغداد، 2000.

- 10- أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة: د.نصر الدين العياضي ود.الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
- 11- أسامة عبد الرحمن قشمية، التخلف، سلسلة ثقافة قومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
- 12- إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة الرأسمالية العالمية، مابعد الامبريالية في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
- 13- آمال شلاش، أساسيات ووسائل التنمية الاحتكارية، الندوة الفكرية السياسية الدولية من أجل عالم وتقدم دائم، بيت الحكمة 5-7/ آذار/2000، بغداد، 2000.
- 14- أنا شيرونين، خفايا الانهيار، ترجمة: يوسف إبراهيم ود.جمال الأسعد، دار صوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998.
- 15- البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية لعام 1999، البحرين.
- 16- برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، بالاشتراك مع د.سمير أمين، دار الفكر، ط2، دمشق، 2000.
- 17- برهان محمد نوري، آفاق التطورات الاقتصادية الدولية المعاصرة، العولمة وتحرير التجارة، بيت الحكمة، بغداد، 1999.
- 18- بول سالم، الولايات المتحدة الأمريكية- معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين-، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، أبريل 2000.

- 19-بيتر مارتين وهارد شومان، في العولمة- الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، تقديم: رمزي زكي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- 20-البير باييه، تاريخ إعلان حقوق الإنسان، ترجمة: محسن مندور، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1950.
- 21-بيل جيتس، المعلوماتية بعد الإنترنت طريق المستقبل، ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عمالة المعرفة، الكويت، 1998.
- 22-ثامر الزمالي، مدخل إلى القانون الدولي الإنساني، منشورات المعهد العربي لحقوق الإنسان واللجنة الدولية للصليب الأحمر، تونس، 1997.
- 23-ثامر محمود العاني، التكامل الاقتصادي العربي والعلاقة بين الاستثمار والطاقة الاستيعابية للاستثمار في الوطن العربي في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج4، دار الحكمة، بغداد، 2000.
- 24-جابر إبراهيم الراوي، حقوق الإنسان وحياته الأساسية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 1999.
- 25-جان فوشار، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: د.علي مقلد، الدار العالمية، 1987.
- 26-جلال أمين، العولمة والدولة، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
- 27-جلال أمين، تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية، مطبوعات القاهرة، القاهرة، 1983.

- 28-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت-
القاهرة، ط1، 1971.
- 29-جورج ثوم، الفوضى الدولية الجديدة، في كتاب العرب وتحديات النظام
العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
- 30-جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة: حسن جلال العروسي، ج2،
ط2، دار المعارف، القاهرة، 1969.
- 31-جورج فرح، الفوضى الاقتصادية المالية الجديدة جذورها آفاق التنمية،
تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليقات، بيروت، 1994.
- 32-حسام الدين عبد الغني الصغير، أسس ومبادئ اتفاقية الجوانب المتصلة
بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية (تربس)، دار النهضة، القاهرة، 1999.
- 33-حسام الدين عبد الغني الصغير، أسس ومبادئ الفردية، دار النهضة، القاهرة،
1999.
- 34-حسن عماد مكاوي ومحمود سليمان علم الدين، تكنولوجيا المعلومات
والاتصال، جامعة القاهرة، 2000.
- 35-حسين أغا، وثائق حول العقبة الاستراتيجية السوفيتية، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
- 36-حسين عنبه، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية الشيوعية، شركة المطبوعات
للتوزيع والنشر، بيروت، 1995.
- 37-حميد الجميلي، آليات الهيمنة والاحتكار الجديدة، الندوة الفكرية السياسية
الدولية من أجل عالم عادل وتقدم دائم، بيت الحكمة، بغداد، 2000.

- 38- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب (38) هـ، مفاتيح العلوم، إدارة المطبعة الأميرية، القاهرة.
- 39- د. عبد المنعم العمدة، مبادئ القانون والحق، منشورات جامعة فاريون، ط2، ليبيا-بنغازي، 1998.
- 40- ديفيد وجوان أوتيس، نشوء الحضارة، بغداد، 1988.
- 41- ديل كارنيجي، كيف نقهر القلق ونبدأ الحياة، ترجمة: عبد المنعم محمد الزياي، ط16، مكتبة الديوان، بغداد، بلا تاريخ.
- 42- رجاء بهلول، حكم الله حكم الشعب حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية، دار الشروق، عمان، 2000.
- 43- رضا كرم، بحوث العلم والتكنولوجيا في محمد السيد سعيد - الثورة التكنولوجية، ترجمة: محمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.
- 44- روجيه جارودي، العولمة المزعومة- الواقع والجذور، تعريب: د. محمد السببلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء، 1998.
- 45- روي فوكس، علم التكنولوجيا اليوم، ترجمة: مديحة محمد سعيد الهلالي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990.
- 46- ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة- التحديات التي تواجه أمريكا في عالم ليس به إقوة عظمى واحدة، ترجمة: أحمد صدقي مراد، دار الهلال، 1992.
- 47- سرمد كوكب الجميل، المسؤولية الاجتماعية للاستثمار الأجنبي المباشر، في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج4، دار الحكمة، بغداد، 2002.

48-سعد حقي توفيق، النظام الدولي الجديد، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1999.

49-سعد زيداني، الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان في الوطن العربي، في كتاب حول التيار الديمقراطي، دراسات نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

50-سمير أمين، في مواجهة أزمة عصرنا، سينا للنشر، القاهرة، ومؤسسة الانتشار، بيروت، 1997.

51-سناء كاظم كاطع، الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة، النجف، 2001.

52-سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي في الشرق الأوسط مفاهيم عصر قادم، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1997.

53-سيد أمين، مناخ العصر رؤية نقدية، مؤسسة الانتشار العربي، سينا للنشر، بيروت، 1999.

54-سيد شوربجي عبد المولى، المتغيرات الدولية وانعكاساتها على الأمن العربي، دار النشر بالمركز العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1992.

55-سيد ياسين، في مفهوم العولمة، في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

56-سيمون رايش، العولمة والأقليمية، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1998.

- 57-شوقي جلال، كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.
- 58-صادق العظم، ما العولمة، بالاشتراك مع د.حسن حنفي، دار الفكر، ط2، دمشق، 2000.
- 59-صلاح زين الدين، الاقتصاد الدولي، مطبعة دار الشعب، مصر، طنطا، 1998.
- 60-صلاح زين الدين، تكنولوجيا المعلومات والتنمية، الطريق إلى مجتمع المعرفة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2008.
- 61-عادل دوتيش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة: محمود نافع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 62-عادل فتحي ثابت، النظرية السياسية المعاصرة.
- 63-عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2000.
- 64-عبد الرحمن الحبيب، التنمية الاقتصادية العربية والإمكانيات والتهديدات في كتاب إشكالية العلاقة الثقافية مع العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
- 65-عبد الرحمن السحيباني، التكامل الاقتصادي (منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى)، الكويت، 2000.
- 66-عبد الرشيد عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005.

- 67- عبد القادر محمد مهني، الصراع الدولي وانعكاساته على الصراعات الإقليمية، بغداد، 1990.
- 68- عبد الكريم كامل يوهات، الشركات المتعدية الجنسية والعولمة، دراسة في التحولات الأساسية، العولمة والمستقبل العربي، سلسلة المائدة الحرة، بيت الحكمة، في 37، بغداد، 1999.
- 69- عبد المحسن الحسيني، معجم المعلوماتية، دار التعلم، بيروت، 1986.
- 70- عبد المنصف حسن علي رشوان، العولمة وآثارها، المكتب الجامعي الحديث، مكة المكرمة، 2006.
- 71- عبد المنعم الحسني، العولمة والأمن الثقافي، في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج6، الكتاب الثقافي، بيت الحكمة، بغداد، 2000
- 72- عبد المنعم السيد علي، العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية-دراسات استراتيجية، أبو ظبي، 2003.
- 73- عبد الواحد العنوري، العولمة والجات: التحديات والفرص، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
- 74- عبد الوهاب الأمين، النظام الاقتصادي- دراسة مقارنة، الكويت، 1986، الرأسمالية الاشتراكية للإسلام.
- 75- عزت قرني، المنهج عند أفلاطون، في موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1993-1994.
- 76- علي كنعان، الإقليمية الجديدة والمفتوحة الأوسطية والمتوسطة في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.

- 77-فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والرجل الأخير، ترجمة وتعليق: د.حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، 1993.
- 78-قحطان أحمد سليمان الحمداني، النظرية السياسية المعاصرة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2003.
- 79-كامل أبو صقر، العولمة التجارية والإدارية والقانونية، سلسلة العولمة والاستثمار (1)، منشورات دار الوسام، بيروت، 2000.
- 80-كولن ياون، بين الحرب الباردة حتى الوفاق 1945-1980، تعريب: صادق إبراهيم عودة، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، 1983.
- 81-المؤتمر القومي العربي التاسع، حال الأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
- 82-ماذا يجري في العالم الفقير- شركاء في التنمية-، ترجمة: إبراهيم نافع، دار المعارف، القاهرة، 1971.
- 83-مجيد فهم يوسف، حقوق الإنسان في ضوء التجليات السياسية للعولمة، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 35، بيروت، أيلول 1998.
- 84-محسن أحمد الخضيرى، مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة اللادولة، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ب.ت.
- 85-محمد إبراهيم غزلان، موجز في العلاقات الاقتصادية الدولية، تاريخ الفكر الاقتصادي والجامعات المصرية والاسكندرية.
- 86-محمد السيد سعيد، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية، سلسلة عالم المعرفة، ع107، الكويت، تشرين الثاني 1986.

- 87-محمد حسن كاظم، المعلومات، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005.
- 88-محمد دويدار، المنظمة العالمية للتجارة فلسفتها الاقتصادية وأبعادها القانونية، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.
- 89-محمد طه بدوي، النظرية العامة للمعرفة السياسية، المكتب المصري الحديث.
- 90-محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2000.
- 91-محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998.
- 92-محمد عبد الشفيق عيسى، الدولة والعولمة في الوطن العربي، في كتاب العولمة وتداعياتها على الوطن العربي.
- 93-محمد علي محمد ود.علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
- 94-محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2008.
- 95-محمد محمود الامام، الظاهرة الاقتصادية الاستعمارية الجديدة ومغزاها بالنسبة للوطن العربي، في كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، مركز البحوث العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
- 96-محمد محمود ربيع، الليبرالية في موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1994-1993.

- 97- محمد محمود ربيع، د. إسماعيل صبري مقلد (محرران)، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1996.
- 98- محمود أديب غنيمي، مستقبل الحاسبات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001.
- 99- محمود السيد، الهيمنة المعلوماتية والإعلامية وآثارها، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.
- 100- مستر ثرو، المتناظرون والمعركة الاقتصادية القادمة بين أمريكا واليابان وأوروبا، ترجمة: محمد فريد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.
- 101- مصطفى سويف، دراسات نفسية في الابداع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1995.
- 102- مصطفى عبد الغني، الجات والتبعية الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999.
- 103- مصطفى مجدي الجمال، تأملات في أيولوجية التدخل الإنساني، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.
- 104- منير الحمش، الطابع المزدوج الذي تفرضه العولمة على الدولة الوطنية، في كتاب الدولة الوطنية وتحديات العولمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.
- 105- مونتسكيو، روح القوانين، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1953.
- 106- ناريمان إسماعيل متولي، اقتصاديات المعلومات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1995.

- 107- ناصر الدين الأسد، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، منشورات
المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن-عمان، 2000.
- 108- نبيل الدجاني في كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية،
بيروت، 2000.
- 109- نبيل شبيب، ندوة دافوس العالمية- عولمة الهيمنة، مجلة قضايا دولية،
س8 ع372، فبراير-مارس 1997.
- 110- نبيل علي، ثورة المعلومات والبحوث الثقافية، في كتاب العرب والعولمة،
ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
- 111- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالي
للفكر الإسلامي، واشنطن، 1992.
- 112- نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2،
بيروت، 1998.
- 113- نوال السعداوي، الحراك والشراك عند الرأسمالية في كتاب العولمة
والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، مركز البحوث العربية، مكتبة
مدبولي، القاهرة، 1999.
- 114- نيقولا ميكافيلي، الأمير، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1993.
- 115- هارتلي أ.جي، البحث بالاتصال المباشر، ترجمة: عبد الرزاق يونس،
عمان، 1994.
- 116- هاشم القروي، التوازن الدولي في الحرب الباردة إلى الانفراج، الدار
العربية للكتاب، تونس، 1985.

- 117- هاشم حيدر، السيولة النقدية للبلدان النامية، المكتبة الأساسية للنشر والتوزيع، بيروت، 1977.
- 118- هانز مورجتا، السياسة بين الأمم، ترجمة: خيرى جمال، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1965.
- 119- هناء عبد الغفار السامرائي، تأثيرات اتفاقات الاستثمار المتصلة بالتجارة في إطار منظمة التجارة العالمية على الاقتصادات العربية في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، ج4، بيت الحكمة، بغداد، 2002.
- 120- هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ بدار العقل في التاريخ، د.امام عبد الفتاح امام، دار التنوير، ط2، بيروت، 1993.
- 121- ولتر ب. رستون، أفول السيادة، ترجمة: سيدو عزت نصار وجورج خوري.
- 122- يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2000.
- 123- يوسف مرسى، المفاهيم الأساسية لوضع استراتيجية تكنولوجية في محمد السيد (محرر)، الثورة التكنولوجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1996.
- ب- المجالات والبحوث والتقارير:**
- 1- الاتحاد الدولي للاتصالات، المكتب الإقليمي للدول العربية: دراسة عن البحث والتطوير في الاتصالات، القاهرة، 1998.
- 2- أحمد الرشيدى، حول بعض إشكاليات حقوق الإنسان الديمقراطية، العدد 2، القاهرة، 2000.

- 3- أحمد ثابت، العولمة والخيارات المستقلة، المستقبل العربي، السنة 21، العدد 240، شباط 1999.
- 4- أحمد ثابت، العولمة وخيارات المستقبل، المستقبل العربي، العدد 2، بيروت، 1999.
- 5- أحمد جامع، العلاقات الاقتصادية الدولية، ج1، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1979.
- 6- احمد جلال-الخبير الدولي، البنك الدولي يعيد هيكله سياساته، مجلة اقتصاديات السوق، شركة كندا للنشر والمعلومات المساهمة المحدودة، س2 ع23، كانون الأول 1998.
- 7- أسامة الخولي، المعلومات في الوطن العربي، مجلة العربي، ع281، الكويت، 1982.
- 8- إسماعيل صبري عبد الله، في توصيف الأوضاع العالمية المعاصرة، أوراق مصر، 2002، منتدى العالم الثالث، القاهرة.
- 9- الاونكتاد، تقرير الاستثمار العالمي لعام 1999.
- 10-البنك الدولي، تقرير التنمية في العالم، الطبعة العربية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1994.
- 11-تقرير التنمية في العالم، الطبعة العربية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1994.
- 12-تقرير لجنة الجنوب للأمم المتحدة المنشور 1990.
- 13-جان قوسي، دولة الحد الأدنى ومساراتها الخفية، مصر والعالم العربي، العدد 5، القاهرة، يونيو 1995.

- 14-جمال محمد غيطاس، العرب والقمة العالمية للمعلومات، تقرير تغطية القمة العالمية لقمة المعلومات في محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق، القاهرة، 2002.
- 15-حسن أبو طويلة، الاتفاقية ومهمة المادة تخليق النظام الدولي، السياسة الدولية، العدد 92، القاهرة، أبريل 1988.
- 16-حسنين توفيق إبراهيم، العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية، عالم الفكر، م8، العدد 2، الكويت، أكتوبر-ديسمبر 1999.
- 17-خالد بن عبد العزيز الشرايدة، رؤية نقدية لاشكالية الشورى والديمقراطية، بحث مقدم إلى مؤتمر الديمقراطية والتربية في الوطن العربي، جامعة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 18-رياض المؤمني، صندوق النقد الدولي وأزمة المديونية العالمية، مجلة اليرموك، ع37، الأردن، 1989.
- 19-رياض عزيز هادي، العالم الثالث وحقوق الإنسان، سلسلة آفاق عربية، العدد 19، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000.
- 20-ستيفن كاسلر، نقلاً عن: د. ناجي جواد ود. حسن علي السبطاوي في: العولمة من وجهة نظر عالم ثالثة، مجلة قضايا استراتيجية، العدد 7، القاهرة، سبتمبر 2001.
- 21-السيد زهرة، الإدارة الأمريكية، مصير سالت، السياسة الدولية، العدد 65، القاهرة، يوليو، 1981.
- 22-السيد ياسين، الطريق الثالث- ايدولوجية سياسة جديدة، مجلة السياسة الدولية، العدد 139، القاهرة، يناير 1999.

- 23- عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 24- عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، مجلة المستقبل العربي، العدد 1، بيروت، 2001.
- 25- عبد الخالق عبد الله، عولمة السياسة والعولمة السياسية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 414، بيروت، 2000.
- 26- علي عقلة عرسان، العولمة والهوية، مجلة أوراق، رابطة الكتاب الأردنيين، 14ع، عمان، 2000.
- 27- فالك توني، الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وموقعها من السياسة الخارجية الأمريكية، السياسة الدولية، العدد 127، القاهرة، يناير 1997.
- 28- الفريد فرج، العولمة في مرآة الثقافة العربية، مجلة المستقبل العربي، 256ع، حزيران 2000.
- 29- فلاح سعيد جبر، اتفاقيات الغات ونظام الايزو وأثرها على الأمن الغذائي والصناعات الغذائية في الوطن العربي، الاتحاد العربي للصناعات الغذائية، 1996.
- 30- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، مؤشرات مجتمع المعلومات، الأمم المتحدة، نيويورك، 2005.
- 31- ليلي عبد المجيد، الطريق العربي إلى مجتمع المعرفة، الأهرام، 16 نوفمبر 2003.
- 32- محمد الأطرش، العرب والعولمة ما العمل، المستقبل العربي، السنة 20، العدد 229، بيروت، 1998.

- 33-محمد الأطرش، المشروعان الأوسطي والمتوسطي والوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 10، 1996.
- 34-محمد سكران، العولمة والخصوصية الثقافية، جريدة الأهرام في 2000/2/4.
- 35-محمد سيد أحمد، هل الأمم المتحدة فقط لملء الفراغ، السياسة الدولية، العدد2، القاهرة، أكتوبر 1995.
- 36-محمد صفي الدين طربوشي، العولمة ودراسة العلوم السياسية في الجامعات العربية، مجلة المجتمع، العدد 3، القاهرة، أبريل 2000.
- 37-محمد عزيز شكري، التكتلات والأحلاف الدولية في عصر الوفاق، السياسية الدولية، القاهرة، أكتوبر، 1974.
- 38-محمد قدوري سعيد، حرب النجوم والعودة إلى استراتيجية الدفاع، السياسة الدولية، العدد 88، القاهرة، أبريل 1988.
- 39-محمود إسماعيل محمد، نظريات الصراع الدولي وتوازن القوى، اللجنة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، عدد1، م19، القاهرة، يناير 1982.
- 40-مصطفى عبد الله خشيم، التحديات السياسية والأمنية التي يواجهها النظام الإقليمي العربي في إطار عملية برشلونة، المستقبل العربي، العدد (1)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 41-الملفات الاقتصادية لمجلس الجامعة على مستوى القمة.
- 42-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وثيقة الاستراتيجية العربية للمعلومات، القاهرة، 2002.

43-وثائق مؤتمر برشلونة، ترجمة: المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية، تونس، 1997.

44-وثيقة إعلان الاستراتيجية العربية لمجتمع الاتصالات وتقنية المعلومات.

45-وثيقة إعلان القاهرة.

46-وثيقة عمل المؤتمر الحكومي للسياسات الإعلامية في الدول العربية، 1987.

47-وثيقة نداء دمشق.

48-يورغين دورمان، وجهة نظر، تحديات العولمة، مجلة اقتصاديات السوق العربي، شركة كندا، س2، ع23، 1998.

49-يوسف حتي، المدينة رمز الحضارة، آفاق عربية، 1995/10/9.

50-اليونسكو، باريس 1993.

ثانياً- المصادر الأجنبية:

1- Books:

1. Crede A. Mansell, R., Knowledge Society in a Nut Shell Development Research Center, Ottawa 1998.
2. David Easton, The political system, New York, Rinoff Alfred 1953.
3. Duning, A History of Political Theories, Book 1, Oxford University.
4. E.T. Moftram, First transatlantic telephone cable, Bell Laboratories, Record Febuar, 1957.

5. Ernest Barker, Principles of Social and Political Theory, Oxford University Press, 1951.
6. Granstrand, Ove, Economic of technology, Amsterdam, 1994.
7. Harold Lasswell, The structure and function of communication of idea, New York, 1948.
8. Jennifer Clapp, Threats to the environment in an Era of globalization, An end to state sovereignty in schrecken, op.cit.
9. Johnson. H.G., The efficiency and welfare implication of international corporation, Cambridge press, 1970.
10. Joseph Frankel, International Politics, Conflict and Narmony, London, Penguin press, 1969.
11. Keneth Dam, The global electronic market paper presented at the IIC conference, Washington on D.C., 1988.
12. Lary, H.B. Imports of manufactures from less development countries, New York, London, 1968.
13. Morton A. KaPlan, New approaches to international resolution S.N.Y st, Martins press, 1968.
14. Morton A. Kaplan, System and process in international politics, New York, Wilegan sons, 1964.

15. Nordhaus W.D, Invention, Growth and Welfare, Cambridge, Mass, M.I.T. Press, 1969.
16. Oswald H. and Gladr S.D. Gunly, Information control 2nd, (Nerwood NJ, Alex publishing carp), 1989.
17. Paul Hirst and Graham Thompson, Globalization in Question, Cambridge, Polity Press, 1996.
18. Raymond Aron, Peace and War, Translated by Haward R. and Fox A.B., Double day 2nd company INC, New York, 1966.
19. Robert Lewenzel, International politics policy, ?? and policy, Marring J.Y. Jon Wiley sons, 1981.
20. Sinan Li, Initial analysis of the economy technological forecasting an social change, r.31, N4, July 1987.
21. Timothy Carton Ash, The magic lantern, New York random house, 1990.
22. Umbrto Eco, "Peirce and contemporary, versus", 1976, No.15, internet.
23. Y.J. Holsti, International Politics, Frame world for analysis, N.J. Prentice Hall, 1974.

2- Reports:

1. Baranson J., Changing Role of MNC's Technological Advancement of LDC's, In: Atlanta Economic Review, Sep. 1972.
2. Caning. D., Tele communications infrastructure and the internet mimeo, Harvard institute for international development, 1999.
3. Financial Times, London, 9 January 1989.
4. Gabriel A. Almond, Comparative system, Journal of politics, XVII, August 1955.
5. Girish Mishra, Globalization and India, some Implication Review of International affairs, No1089-90, February-March 2000.
6. Industry basics, Washington D.C. North America Tele communication association, 1986.
7. Information from IBM, A letter dated November 10/1989 signed by D.S. Hager.
8. J. Carson, Consequences of nuclear war in the dangers of nuclear war, Edited by Frankly Erifths, London University of Toronto press, 1979.
9. Kenich Ohmae, The bordless world, Happer business, New York, 1990.

10. Leonardo Silk, America in the world economy, edited by-
Recharad Rose crace University press, London, 1996.
11. Lucas R.E., On the Mechanics of Economic
Development, In Journal of Monetary Economics, Vol.11.
12. Maddison A., Foreign svills and technical assistance in
development center, OECD (ed), Paris, 1965.
13. Mason, R.H., Observation on the en dice of technology
multinational forms in developing countries, In review of
economics, VOL. 55, 1973.
14. Mohamed Elsayed Radwan, Institutional aspects of
privatization a comparative approach in the Escwarigion,
Beirut, 1997.
15. New York Times report of numbers released by central bank,
14 September, 1989.
16. Richard L.-Kirkland J.R, Entering are wage of boundless
competition, forune, 14 March, 1988.
17. University of Texas's Center Research in Electronic
Commerce.
18. World Bank, Private Sector Development: The Status and
the Challenges, Washington DC, 1994.